

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



تجليد صالح الدقر

تلفون ٢٢١٧٧

مختار الأغانى

البريد الخليلي

مَهْذِبُ الْأَعْمَانِي

المغنون

89.2.7109
A2195asA
v.10

تهذيب وترتيب وتحقيق

الأستاذ

عبد المنعم ساي

ليسانسيه في الآداب

وقدم له الأستاذ

ابراهيم الأبياري

عضو لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري

الجزء العاشر

يطلب من المكتبة البخارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها، مصطفى محمد

الذئاب بنه



من مخطوطات

[حقوق الطبع محفوظة]

مكتبة

الذئاب بنه

بمطبعة

الذئاب بنه

طبعة السعادة بمطبعة

بمطبعة

بمطبعة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد وتقديم

بقلم الأستاذ

إبراهيم الأياري

عضو لجنة إحياء آثار أبي العلاء

هذا جزء متمم لأجزاء بدأ بها المرحوم الخضرى بك ، تناول فيها شعراء الأغاني ، وانتهى رحمه الله عند هذا ، وترك كتابه «مذهب الأغاني» ينقص جزءاً يُسميه في أخبار المغنين .

فكانت التفاتة طيبة تلك التى هيات لهذا الجزء أن يكون ؛ فأصبحنا نرى به للمغنين مكانهم من كتاب «مذهب الأغاني» على اختلاف ما بين النهجين . فالأجزاء الأولى من المذهب ذكرت فيها أخبار الشعراء بعد ردهم إلى قبائلهم التى إليها ينتمون ، وهذا الجزء الأخير فى أخبار المغنين ، رتبته الأستاذ المذهب على مكان أوائل الأسماء من الألف ياء .

وعندى منه علم ذلك : فقد رأى الشعراء كثرهم بقبائلهم يُعرفون ، وما كان منهم مولى فهو إلى ولاته . والامر مع المغنين لا يقاس على حذوه عند الشعراء ، فُجِّل المغنين موالى ، وما هم ممن تتنازعهم القبائل للفخر ، شأن الشعراء فى ذلك . ثم إن البلاد التى ظن أن يُردوا إليها ، بعد أن لم تُظلمهم قبائل ، كانت هى الأخرى غير مقطوع فيها برأى . فقد نجد منهم المكي ، كما نجد منهم المدني ، لاشك فى هذا

أو ذاك ، ولكنك تجد غير هذين الكثير ممن عاش هنا وهناك ممن لم يُسعدنا فيه أبو الفرج بإشارة إلى موطنه .

وفرق بين الشعر والغناء ، إذ الشعر مع القبائل العربية من مهدا أداة كفاح ونضال ، تحرص كل قبيلة على شاعرها ، وتحتفل بظهوره ، وترعى وجوده بينها . والغناء غير الشعر ، شيء دخلت ضروبه أخيراً بعد أن أصبحت الأمة العربية دولة اتصلت فيها حياة القبائل ، وزالت الفروق أو أوشكت . كما لم يكن الغناء شيئاً يُفخر به فيحل محل الشعر ، ويحرص على رجاله الحرص على الشعراء ، بل كان على العكس أمراً آخر لطبقة عاشوا لهذا الفن يجمعهم شمله ، لا كما كانت الحال عند الشعراء كلٌّ إلى قبيله .

ولا يدفع هذا ما كان من تعصب أهل مكة أو أهل المدينة لمغنيهم ، فإن هذا لم يعش طويلاً . ذلك إلى مارأينا من انحياز المدنيين إلى غير المدني ، وتعلق المكين بغير ماهو مكى .

وكان القصد من جمع الشعراء تحت لواء القبائل تعرف لغة كل قبيلة فيما شاع على ألسنة شعرائها ، وليست كذلك الحال في الغناء ، فلم ينقل إلينا لقبيلة أداء - غير اللهجات - تمتاز به ، ولا نغفات اختصت بها دون سواها ، كما هي الحال بين الشعوب المتباينة . وليس ببعيد أن تكون للقبائل العربية في الغناء ، أيام انقطاع الصلة بينها ، مثل هذا الذي بين الأمم المختلفة ، ثم ضاع هذا مع الامتزاج والاختلاط ، وبقي ما بقي في اللغة ، لأن اللغة أعصى من الفنون اندماجاً ، وأبقى على الأيام احتفاظاً بكيانها ، أو بما يشير إليه ويدل عليه .

فكان هذا الترتيب الذي سلكه الأستاذ مذهب للمغنين أولى ، وأنفى لكثير من الاحتمالات ، وأقطع لمثلها من الشكوك ، وأبعد عن طريق ليست مأمونة المغبة ، ولا نفى جدواها بعنائها .

وغير هذا أحق بالحديث ، فلقائل أن يقول : وما وراء أخبار المغنين من نفع بعد أن عجزنا عن تعرف رموز أبي الفرج وإشاراته عن الأصوات وطريقاتها . ما نفعنا من أغاني لا نصل إلى أدائها وطرائقها فنحتذيها ، وندفع بانضمامنا لها طغيان غيرها مما هو غير عربي ، على فننا الغنائي الذي كاد أن يصبح صدى لتلك الفنون الأجنبية .

هذا صحيح . ولكن ليس هذا الكتاب ميدانه ، وما نعرف أن الوقت حان لأن يطلع علينا من له دراية بالغناء وأصوله فيفسر لنا ما عصى علينا من هذه الاصطلاحات ، التي لا تزال تُحفظ بأسمائها ولا تُعرف مدلولاتها (١) .

ما أوجنا إلى هذا أو قريب منه . ولست ممن يحرص أن يكون هذا الفن الفائت لنا كله ، إذا صحت حياته ، ولكني أرى أنه ستكون لنا منه نواة تزيد حولها وليس في غيرها عوض . فهذه النواة متصلة بالكثير من وجداننا وإحساسنا اتصالاً وثيقاً ، هي لون قريب من لون حياتنا ، أو مُعبر أقرب إلى الصدق عما في صدورنا . والغناء كغيره تكييفه البيئة بجميع مظاهرها ارتفاعاً وضعفاً ، إطالة وقصراً . قوة ووهنا . وما من شك في أننا أقرب في بيئتنا إلى العرب ومن إليهم ، ولنا بهم صلات تاريخية وسياسية حدثت بعد الفتح قاربت بين تلك المظاهر ، وكادت أن توحد بينها . لذا كان اتصال آذاننا بالغناء العربي ثم الشرقي ، وانصبابه فيها من غير عناء ، وحنين النفوس إليه ، أمراً هذا في الظن تعليله . فنحن إذا حرصنا على أن نتعرف هذا المجهول من ماضينا لنتخذ منه أساساً نضيف عليه ، فذلك ليكون لنا فن قوى الصلة بنفوسنا ، مزيج من وجدانات الماضي والحاضر ، يتحدث عنا ويعبر عما نملك ، نُعرف به كما تُعرف الأمم بلغاتها وفنونها .

(١) للدكتور بشر فارس بحث حول مدلول هذه الاشارات والرموز سيصدر قريباً في كتاب قيم .

وكما تصل اللغات بين الأفراد تصل الفنون ، والأمة لا تغنى ببلغتها دون سائر المقومات الأخرى ، كي تنهض وتتوكد الصلة بين آحادها ، بل عليها أن تجمع الأفراد على جميع ما تملك من أسباب تميزها ووجودها ، كاللغة والدين والعادات والفنون ، فكلما زالت الخلافات في هذه أوقاربت قويت الصلة بين الأفراد ، واجتمع الكل على شعور واحد يجعل منهم يداً واحدة وتفكيراً واحداً وشعوراً واحداً .

وإن ما نشكوه في مصر من هذا الانحلال المعطل لكثير من تعاوننا ، والذي إليه نخاذلنا ، هذا مأثمة . إنك لتكاد تجس فرقابينك وبين من يخالفك في اللباس ، وكم لهذا في مصر من صدام لا تختص به فئة الجاهلين دون فئة المتعلمين ، بل هو بين المتعلمين أشد وأنكى . وليست دون ذلك العادات ، فالناس فيها شيع ، لا ترضى شيعة ما عليه الأخرى ، فسادت الوحشة محل الأئس ، وشاع الاستهجان مكان الاستحسان . وأبعد من هذا وذاك أثراً الفنون ، وذلك شيء أغفلناه ومارعينا . فحتى يجيء اليوم الذي أقف فيه إلى لوحة المصور فأقول هذه ريشة مصرية ، كما يقول الناس هذه ريشة صينية أو يابانية .

حدثني أستاذ الرسم قدير أنه يبكيه ما يبكي من انسياقنا في الرسم وراء التقليد ، وأنا لا تنطلق أيدينا للتصوير ما نحس ، وأنا فطرب للرسم ينقل عن الكتب ما لا وجود له في البيئة وما لا يتصل بها . هو لا يمنع أن تنطلق ريشة الرسام أو المصور بشيء من هذا ، ولكنها حين تفعل لا تكون معبرة عن وطنية مصرية بل حاكية مقلدة . هو يريد أن تكون البيئة مصدر إلهامنا وتعبيرنا . وقد هداه الفكر بعد كثير تقليب إلى أسس مصر بها الرسم حتى جعلني بعدها أقول : هذا مصري ، هذا غير مصري ، يالها من غبطة حبذا لو تبعتها غبطة أخرى حين أسمع الغناء فأقول ويقول غيري : هذا مصري ، هذا غير مصري .

إن تفكيرنا في خلق أمة مجموع شملها، يُحس أفرادها إحساساً واحداً، وينطوي الكل على شعور واحد . أمه يتبادل المحبة فرادها ، ويعيش على وئام آحادها ، أمه إذا دعى داعي العون لبنته جميعها ، لن يكون إلا إذا فكرنا في أن نجمها على مقومات واحدة ، وهذا ليس عسيراً لو كنّا جادين .

نعم : نحن في حاجة ، إلى أن يكون لنا هذا الطابع الغنائى ويشيع ، فيكون مقوماً من مقومات حضارتنا ، ومظهراً من مظاهر حياتنا ، وصوتاً لنا يدل علينا . وما أنت بمجمع أمة على شئ ما لم تجمعها على هذه المقومات المشتركة التي من أكثرها خطراً الغناء . زُر ضاحية كتاك التي يجمع فن البناء بين أشكال بيوتها ، والمس أثر ذلك من نفسك وأثره من نفوس السكان . ثم عد إلى حي من تلك التي تتباين فيها المنازل ويختلف المأوى ، وانظر ما تجد لذلك ، وما يجده المقيمون . تجد أمماً تعيش باسم أمة ، وطبعا تختلف بطبيعة كل مقر ، وفرة بين القلوب منشؤها الميول والأهواء التي خلفها التباين والبعد بين الوحدة .

فما أحوّجنا إلى مدرسة تأخذ الناشئين بأكثر مما تأخذهم به اليوم ، فتعنى ، إلى جانب ملء الرؤوس ، بتنشئة الأجيال على ألوان مصرية خاصة . وما أحوّجنا إلى بيت تتحد نزعاته ، ولا يرى فيه هذا التباين ، الذي لا يكاد يجتمع معه بيتان على نهج في الحياة . وما أحوّجنا إلى رأى نافذ عن سلطان قاهر ، يمحو من تحت سمعنا وبصرنا ذلك الخلط في مظاهر حياتنا ، فلا تقام البيوت إلا على نمط مصرى ، ولا تغرس الحدائق إلا على نظام مصرى ، ولا تجري الأمور إلا على أوضاع مصرية . أما أن ترى نفسك وأنت تتنقل بين البيوت كأنك تتنقل بين مدن في غير قطر واحد ، ثم وأنت في المتنزهات كأنك تزور معرضاً لختلف الشعوب ، ثم وأنت تسمع للناس كأنك بين خليط من أجناس مختلفة ، ثم وأنت ترى الأزياء كأنك أمام جمع يضم نماذج لأمم متباينة . ليست بأمة يكتب لها الفوز والفلاح في الحياة تلك التي تفقد أول ما

تفقد مقوماتها الرئيسية. مصروا كل شيء يكن لكم كل شيء ، ولا يبهرنكم بادیء
 ذی بدء ما لنيركم وإن بزه، فما كتب الفوق لما ترون إلا بحرص أهله عليه ،
 وما بعد الحرص الأول من حرص ثان في أن يكون ثرائهم خير تراث وأكماله .
 هذا استطراد لن يمنعني أن أعود إلى جهد الزميل في هذا المهنذب ، فقد ساق
 أخبار هؤلاء المغنين مهذبة بعد أن كانت غير مهذبة ، مستخلصة من التكرار
 والحشو بعد أن رسفت في قيودها طويلا ، مجردة من أسافيدها بعد أن أثقلتها
 الأسانيد وهذا شيء ، وإن لم يعرض - كما أسافنا - لناحية الأداء وطريقته ، أو
 اقتصر على سرد الأخبار وإيراد الحوادث ملخصة نقية ، له قيمته وخطره . فحياة
 كل مغن صفحة من صفحات التاريخ الصريحة الحرة ، فيها الكثير مما يعوز الحديث
 عن حياة الخلفاء والأمراء . فبينما نرى الرواة في غير أخبار المغنين لا ينقلون إلينا إلا
 بمقدار عن حياة الخلفاء الخاصة ، إذ بالأولى تضع عينك على ما وراء الحجب ،
 وتملا سمعك بأسرار البيوتات الخفية . ولعل مكان المغنين من الخلفاء والوزراء ،
 وجلسهم إليهم تلك المجالس الصاخبة المليئة باللهو والطنز ، ثم هوى الخلفاء والوزراء
 بالمغنيات واستحظاء بعضهم ، وتدهلهم بهن حينما ، هو ما جعل لتلك الصفحات شأنا
 تاريخيا عظيما لمن شاء أن يعرف الحياة الخاصة بحديثها وأعمالها وسرها وخفاياها .
 وما أحوج التاريخ إلى تلك الصفحات الصادقة التي لم تخضع لتجميل وتزيين ،
 وحذف وتطويل ، وتغيير وتحوير .

وإنك اليوم لتستملى من الخدم والحشم - إن صدقوك ولم يكونوا موتورين -
 ما ينقض صورا أنت مؤمن بصحتها، أو يقفك على دقائق لو تركت للتاريخ ما كتب منها
 حرفا ولا عرف عنها شيئا ، وذلك لصللة هؤلاء اللاصقة اللازمة . وإذا استطاع
 الإنسان أن يصنع نفسه على مثال خاص ساعة من نهار أمام الناس فلن يقوى على
 ذلك بقية يومه بين حرمة ، وشأنك في جدك غير شأنك في لهوك ، والحاكم على
 كرسي الحكم غيره حيث يراج ويستمتع .

تلك صفحات المغنين في الماضي وذلك شأنها، كانت من بيوت الخلفاء والوزراء والكبراء ومن إليهم، فأتموا صفحات التاريخ العامة بتلك الصفحات الخاصة، ولكن أين تلك الصفحات الخاصة من أخبار المغنين في القرون التي خلت عن قرب، هل بعد هؤلاء بأنفسهم عن أن تكون لهم تلك المجالس اللاهية؟ أو هل دنا المغنون عن أن يظفروا بتقريب هؤلاء لهم؟

الذي نعلمه أن حياة المغنين انتقلت إلى الميادين العامة ففات عليهم الكثير مما ظفروا به سابقوهم، وأن تلك المجالس أصبحت لا تتسع لها الحياة اليوم اتساعها لها فيما مضى، ولم تجد تلك الأيدي الباذلة عن سعة. غير أن ذلك لا يمنع أن هناك منها شيئاً ولكنه قليل، ثم هو على قلته لم يعد يحمل مظاهره الأولى وما كان يحيط به، فأصبح من أجل ذلك شيئاً لا يغنى كثيراً.

ثم إن هناك شيئاً آخر، فلقد كانت تلك المجالس عامرة بأبيات الهوى والغزل وما إليهما، لأنها لم تكن إلا لذلك، وعلى نحو ذلك يجري غناؤنا اليوم، على ما بين الاثنين من فرق فقد كان شعر هؤلاء يدور حول هوى حقاً، وشعرنا يدور حول هوى مصنوع متخيل. فكان الأول يمثل العاطفة والوجدان، وشعرنا يمثل هوى مكذوباً، وذلك لأن حياتنا فارغة حتى من الهوى، أو لأن من بهوى لا يجد لساناً ينطق به حياءً واستخفاءً، ففقدنا المعين الذي استمد منه من كان قبلنا. وهذا شيء تعوزه جرأة عفيفة وصرامة مقنعة، فتجري الحياة من جديد في تلك المناحي، ويعود النشاط إلى ما سكن وركد من جوانب دنيانا، ويكتب لأدبنا أن يكمل بما فقد، وأن يتم بما تتم به الآداب الأخرى. نحن في حاجة إلى مادة للغناء، ثم إلى تمصير طريقة الأداء، والأمر في الأولى والثانية يعوزه لفته ممن يعنيهم شأننا ولا يكون يداً موجهة، وإنهم إذ يفعلون يدنون ركناً ركناً حتى نضمتنا ولا يسعني وقد أو شكت أن أرفع القلم إلا أن أشكر الأستاذ المذهب جوده، وما أتاح لي في أن أقدم لعملي هذه الكلمة، أسأل الله تعالى لي وله ولهذه الأمة التوفيق والسداد.

فهرست بأسماء المغنين

ص	الاسم	ص	الاسم
	المغنون (١)		
١	الأبجر عبيد الله بن القاسم	٦٤	البيذق الأنصاري
٥	ابراهيم بن المهدي		[ج]
١٥	ابراهيم الموصلي	٦٤	ابن جامع اسماعيل
١٩	أحمد بن سعيد المالكي	٧٢	جميلة
٢٠	أحمد بن صدقة الصنوري	٧٧	جوانويه
٢٣	أحمد بن عبد الله بن أبي العلاء	—	جوهر
٢٤	أحمد بن يحيى بن مرزوق المكي		[ح]
٢٧	أحمد بن أسامة الهمداني النصي	٨٠	حباية
٢٨	إسحاق بن ابراهيم الموصلي	٨٦	حجاج
٣٥	أشعب بن جبير	—	حسين بن محرز
	[ب]	٨٧	أبو حشيشة الطنبوري
٤٥	بديح المليح	٨٨	حكم الوادي
٤٧	بديح اعلام إسحاق	٩٢	حوراء
٤٨	بديح ، غلام الخناق	—	حولاء
٤٨	بذل		[خ]
٥٢	بذل الكبيرة	٩٣	خالد صامة
—	بربر	٩٤	خلوب
٥٣	البردان	٩٥	خليل بن عمرو
٥٥	بصبص	٩٦	خمار
٦٠	بليلة	٩٧	خولة
٦١	بنان	—	خويلد
٦٢	بنان بن عمرو		[د]
		٩٨	دحان عبد الرحمن

فهرست بأسماء المغنين

ص	الاسم	ص	الاسم
١٠٢	دراج عمرو بن أبي السكتات	١٣٤	ابن سريج
—	دقاق	١٤٦	سعاد
١٠٣	الدلال	١٤٧	سعدة ، جارية ابن رامين
١١٣	دمن ، جارية إسحاق الموصلي	١٤٨	سعيد بن جابر
١١٤	دنابير ، جارية ابن كناسة	١٤٩	أبو سعيد مولى فائد
١١٦	دنابير ، مولاة يحيى البرمكي	١٥٣	سلامة الزرقاء
١١٩	دوشار	١٥٧	سلامة القس
	[ذ]	١٦١	سلسل ، مولى بنى هاشم
١١٩	الذلفاء	—	سلسل ، مولاة محمد بن حرب
	[ر]	١٦٢	سلمك
١٢٠	راحة ، جارية عبد الله الربيعي	١٦٢	ابن سلمة الزهري
١٢١	رائقة	١٦٣	سلمى
—	رباب ، جارية الواثق	١٦٣	سليم ، أخو ، بابويه
—	الرباب	١٦٤	سليم بن سلام
—	ريحة الشماسية	١٦٦	سليمان ، أخو أحيحة
١٢٢	رحمة	١٦٦	سليمان ، غلام محمد بن راشد
—	رذاذ	١٦٧	سليمان المصاب
—	الرطاب	١٦٧	سليمان بن سليم
١٢٣	ريق ، جارية إبراهيم بن المهدي	١٦٨	سمحة ، جارية إسحاق الموصلي
	[ز]	١٦٨	سمير الأبل
١٢٤	الزبير بن دحمان	١٦٩	سنان السكاتب
١٢٨	زرزور بن سعيد	١٦٩	سندس
١٣٠	الزرقاء	١٧٠	سندة الحياط
—	زرنب	١٧١	سياط أبو وهب
—	أبوزكار والأعمي	١٧٣	سيرين
١٣٢	زيد بن كعب		[ش]
	[س]	١٧٣	شاجن
١٣٢	سائب خاثر أبو جعفر	١٧٤	شاح

ص	الاسم	ص	الاسم
١٧٤	شارية ١٧٧ شاطرة ١٧٨ شحا	٢٠٢	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
١٧٨	شغف ، غلام دعبل	٢٠٥	عبيدة بن أشعب
١٧٩	شنين	—	عبيدة الطنبورية
١٧٩	شهدة ، أم عاتكة	٢٠٦	عشت
	[ص]	٢٠٧	عريب المغنية
١٨١	سقراء العلقميين	٢٠٨	عزة الميلاء
	[ض]	٢١٠	عطرده أبو هارون
١٨٢	الضبط — ضعف	٢١٢	علوبة أبو الحسن
١٧٣	ضعف ، جارية موسى بن خاقان	٢١٤	عليه بنت المهدي
	[ط]	٢١٥	عمر الوادي
١٨٤	طباع ، جارية الواثق	٢١٦	عمرو بن بانه
١٨٤	طباع ، جارية محمد بن سهل	٢١٨	عمرو بن عثمان
١٨٥	ابن طنبورة ١٨٥ طنبوي		[غ]
١٧٦	طويس [ظ]	٢١٩	الغريض [ف]
١٩٠	ظبية [ع]	٢٢١	فليح بن أبي الغوراء
١٩٠	عاتكة ، جارية يونس السكاتب		[ق]
١٩١	عاتكة بنت شهدة	٢٢٢	ابن القصار — قلم الصالحية
١٩١	ابن عائشة ١٩٣ ابن أبي عباد		[م]
—	عبادة المخت — مقام	٢٢٤	مالك بن أبي السمج
١٩٤	العباس بن مقام	٢٢٥	محمد بن الأشعث
—	عبد الله ، غلام علان	٢٢٦	محمد بن حمزة
١٩٥	عبد الله بن اسماعيل المراكين	٢٢٦	محمد ازن
١٩٥	عبد الله بن دحمان	٢٢٧	محمد بن عباد
١٩٦	عبد الله بن طاهر	٢٢٨	مخارق
١٩٧	عبد الله بن العباس	٢٢٩	ابن مسجم
٢٠١	عبد الله بن موسى	٢٢٩	المسدود
٢٠٢	عبد الله بن يونس	٢٣٠	ابن مشعب
٢٠٣	عبد الرحيم الدقان	٢٣٠	معيد اليقظان
		٢٣١	يونس السكاتب

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأبجر

عبيد الله بن القاسم أبو طالب

الأبجر ، لقب غلب عليه ، واسمه عبيد الله — وقيل محمد — بن القاسم .
ويكنى أبا طالب . ويلقب بالחסحاس ، مولى لسكنانة ، ثم لبني بكر ، ويقال
إنه مولى لبني ليث .

وكان مدنياً ، منشؤه بمكة ، أو مكياً منشؤه بالمدينة .

ولم يكن بمكة أحد أظرف ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبجر . كانت
حلته بمائة دينار ، وفرسه بمائة دينار ، ومركبه بمائة دينار . وكان يقف بين
الْمَأْزَمِينَ^(١) فيرفع صوته ، فيقف الناس له يركب بعضهم بعضاً .
جلس الأبجر ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التَّنْعِيم^(٢) ،
فإذا عسكر جرّار قد أقبل في آخر الليل ، وفيه دواب تجنب^(٣) ، وفيها فرس
أدهم عليه سرج حليته ذهب ، فاندفع فغنى :

(١) المأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، وهو شعب بين جبلين يفضى
آخره إلى بطن عرفة . (انظر معجم البلدان) .

(٢) التنعيم : على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة ، أقرب أطراف الحل إلى البيت ، سمى
بذلك لأن على يمينه جبل نعيم وعلى يساره جبل ناعم .

(٣) تجنب ، أى تقاد إلى جنب ولا تتركب لسكرها .

عرفتُ ديارَ الحىَّ خاليةً قَفْرًا كأنَّ بها لما توهمتُها سَطْرًا

فلما سمعته من فى القباب والمحامل أمسكوا، وصاح صائح : ويحك ! أعد الصوت .
فقال : لا والله ، إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار . فإذا الوليد
ابن يزيد صاحب الإبل . فنودى : أين منزلك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الأبحر ،
ومنزلى على باب زقاق الخرازين . فعدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة
دينار وتحت من ثياب وشى وغيره .

ثم أتى به الوليد ، فأقام عنده ، وراح مع أصحابه عشية التروية ^(١) ، وهو
أحسنهم هيئة . وخرج معه إلى الشام .

قال عمر بن حفص بن أبى كلاب : كان الأبحر مولانا ، وكان مكياً ، وكان
إذا قدم المدينة نزل علينا . فقال لنا يوماً : أسمعونا غناء ابن عائشكم هذا .
فأرسلنا فيه ، فجمعنا بينهما فى بيت ابن هبّار . فتغنى ابن عائشة . فقال الأبحر :
كل مملوك لى حرٌّ إن تغنيتُ مَكَ إلا بنصف صوتى . ثم أدخل إصبعة فى شدة
فتغنى . فسمع صوته من فى السوق ، فحشر الناس علينا . فلم يفترقا حتى تشابها .
وكان ابن عائشة حديداً جاهلاً .

قال أشعب : دُعِى ذات يوم المغنون للوليد بن يزيد ، وكنت نازلاً معهم ،
فقلت للرسول : خذنى فيهم . قال : لم أؤمر بذلك ، وإنما أُمِرت بإحضار المغنين ،
وأنت بطل لا تدخل فى جملةهم . فقلت : أنا والله أحسن غناء منهم ، ثم اندفعت
فغنيت . فقال : لقد سمعتُ حسناً ، ولكنى أخاف . فقلت : لا خوف عليك ،

(١) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة ، سُمى به لأن الحجاج
يتروون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها فيتزودون ربهم من الماء .

ولك مع هذا شرط . قال : ما هو ؟ قلت : كل ما أصبته فلك شطره . فقال للحجاجة :
اشهدوا عليه . فشهدوا .

ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لقيس النفس (١) . فغناه المغنون في كل فن من
خفيف وثقيل ، فلم يتحرك ولا نشط . فقام الأبحر إلى الخلاء ، وكان خبيثاً داهياً ،
فسأل الخادم عن خبره وبأى سبب هو خائر . فقال : بينه وبين امرأته شر ،
لأنه عشق أختها فغضبت عليه ، فهو إلى أختها أميل ، وقد عزم على طلاقها ،
وحلف لها ألا يدكرها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة ، وخرج من عندها على هذه الحال .

فعاد الأبحر إلينا وجلس حتى اندفع فغنى :
فَبَيْنِي فَإِنِّي لَا أَبَالِي وَأُيَقِنِي أَصَدَّ بَاقِي حُبِّكُمْ أَمْ تَصَوَّبَا (٢)
أَلَمْ تَسْلَمْ أَنِّي عَزَوْفٌ عَنِ الْهَوَى إِذَا صَاحِبِي مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ تَغَضَّبَا
فطرب الوليد وارتاح ، وقال : أصيت يا عبيدُ والله ما في نفسي . وأمر له
بعشرة آلاف درهم ، وشرب حتى سكر . ولم يحظ بشيء أحد سوى الأبحر .

وكان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً جعل
فيه شطرنجات ونردوات وقرقات (٣) ودفاتر فيها من كل علم . وجعل في الجدار
أوتادا ، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفتراً فقرأه ، أو بعض ما يلعب
به فلعب به مع بعضهم . فإن عبد الحكم يوماً في المسجد الحرام إذا فتي عليه
ثوبان معصفران مدلوكان ، وعلى أذنه ضغث (٤) ريحان ، فأقبل يشق الناس حتى

(١) لقيست نفسه : غثت وخبثت .

(٢) التصوب : الانحدار .

(٣) الواحد : قرقة ، بالكسر ، وهي لعب الصدر ، يخطون أربعا وعشرين خطاً
فيصفون فيها حصيات .

(٤) الضغث ، بالكسر : قبضة ، بالضم .

جلس إلى عبد الحكم . فتحدث إليه ساعة ، ثم أهوى فشبك يده في يد عبد الحكم وقاما حتى خرجا من باب الخناطين . قال عبد الحكم : فقلت في نفسي : ماذا سلط الله على منك ؟ رأيي معك نصف الناس في المسجد ونصفهم في الخناطين . حتى دخل مع عبد الحكم بيته . فعلق ردائه وحل إزاره واجتر الشطر نخ . فبينما هو كذلك إذ دخل الأبحر فقال له : أي زنديق ! ما جاء بك إلى هاهنا ؟ وجعل يشتمه ويمارحه . فقال له عبد الحكم : أتستم رجلا في منزلي ؟ فقال : أتعرفه ؟ هذا الأحوص . فاعتنقه عبد الحكم وحياه ، وقال : أما إذ كنت الأحوص فقد هان علي ما فعلت .

ويقال : إن ابتداء غناء إسحاق الذي في :

* تشككى الكميتُ الجرى لما جهده *
 إنما أخذه من صوت الأبحر .

ومرّ الأبحر بعطاء وهو سكران ، فعنله ، وقال : شهرت نفسك بالغناء واطرحتها وأنت ذو مروعة . فقال : امرأته طالق ثلاثا إن برحت أو أغنيك صوتا ، فإن قلت لى : هو قبيح تركته . فقال : هات ويحك ! فقد أضرت بى . فغناه :

فى الحج إن حجت وماذا منى وأهله إن هى لم تحجج
 فقال له عطاء : الخير والله كله هناك ، حجت أو لم تحج ، فاذهب الآن راشداً ، فقد يرت يمينك .

ولما قُتل الوليد خرج الأبحر إلى مصرفات بها .

إبراهيم بن المهدي

أبو إسحاق

كان إبراهيم بن المهدي أول أولاد الخلفاء وأتقنهم صنعة وأشهرهم ذكراً في الغناء ، فإنه كان يتحنن بهم تحفياً شديداً ، ويبتذل نفسه ولا يستتر منه ولا يُحاشي أحداً . وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء سترو على حال تصون عنه وترفع ، إلا أن يدعوهُ إليه الرشيد في خلوة والأمين بعده . فلما أتمه المأمون تهتك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده ثملاً .

وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات ، وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً . وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية : ابن جامع ، وعمر بن أبي الكنت ، وإبراهيم بن المهدي ، ومخارق . وهؤلاء من الطبقة الأولى ، وإن كان بعضهم يتقدم .

وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مقصراً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه في صناعته . فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً ، ويحققها على قدر ما أصلح له ويفي بأدائه . فإذا عيب ذلك عليه قال : أنا ملك وابن ملك أغني كما اشتهى وعلى ما ألتذ .

فهو أول من أفسد الغناء القديم وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره . وكان إسحاق الموصلي يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله ابن العباس رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي . فقليل له : مع ما تبذله من الغناء ؟ فقال : وهل تم فضله إلا بذلك .

يوسف بن إبراهيم قال : حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي ، فقال إسحاق : غني ابن سريج ثمانية وستين صوتاً . فقال له أبو إسحاق : ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتاً . فقال : بلى . ثم جعلاً ينشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستين صوتاً وهما متفقان على ذلك ، ثم أنشد إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصوات أيضاً . فقال له أبو إسحاق : صدقت هذا من غنائه ، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني . ولحنه الثاني من لحنه الفلاني ، حتى عدّ له الخمسة الأصوات . فقال له إسحاق : صدقت . ثم قال له إبراهيم : إن ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً ، وكان يغني الناس بما يشتهون ، فلا يغنيهم صوتاً مدح به أعداؤهم ، ولا صوتاً عليهم فيه عار أو غضاضة ، ولكنه يعدل بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها . فالصوتان واحد لا ينبغي أن نعهما اثنين عند التحصيل منا لغنائه . فصدقه إسحاق .

ذكر يوسف بن إبراهيم أنه حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي ليلة وهو يذكر إبراهيم بن المهدي إلى أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إياه : هذا صوت قد تمعبد فيه ابن سريج . فقال له إبراهيم : ما ظننت أنك يا أبا محمد مع عامك وتقدمك تقول مثل هذا في ابن سريج ، فكيف يجوز أن تقول : تمعبد ابن سريج ؟ وإنما تمعبد إذا أحسن قال : أصبحت سريجياً . قد أغنى الله ابن سريج عن هذا ، ورفع قدره عن مثله ، وأعينك بالله أن تستشعر مثله في ابن سريج .

قال : فما رأيت إسحاق دفع ذلك ولا أباه ولا زاد علي أن قال : هي كلمة يقولها الناس لم أقاها اعتقاداً لها فيه ، وإنما تكلمت بها على العادة .

قال أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي : كنت مع الرشيد في السنة التي نزل فيها

على عون العبادى ، فأتانى عون بابن ابن حنين وهو شيخ ، فغنأنى عدة أصوات
لجده ، فما استحسنتها ، لأن الشيخ كان مشوه الخلق طنّ الغناء قليل الحلاوة ،
إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يفرغ منه ، فغنأنى صوت ابن سريج :

فتركته جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ ما بين قُلَّةِ رَأْسِهِ لِلْمَعَصِمِ

فما أذكر أنى سمعته من أحد قط أحسن مما سمعته منه ، فقلت له : لقد
أحسنت فى هذا الصوت ، وما هو من أغانى جدك ولا من أغانى بلدك ، وإنى
لأعجب من ذلك ! فقال لى الشيخ : ما صنّع هذا الصوت إلا فى منزلنا وفى
سرداب الجدى .

قال إبراهيم بن المهدي : كنت بمسكة فى المسجد الحرام ، فاذا شيخ قد
طلع وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى وقام يصلى . فسألت عنه ، فقيل لى :
هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلت لبعض الغلمان : احصيه . فحصبه . فأقبل عليه
وقال : ما يظن أحكم إذا دخل المسجد إلا أنه له . فقلت للغلام : قل له : يقول
لك مولاك أباغنى . فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : من مولاك حفظه الله ؟ قال :
مولاي إبراهيم بن المهدي ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد . وقام فجلس
بين يدي وقال : لا والله ما عرفتك . فقلت : لا عليك أخبرنى عن هذا الصوت :

أفاض المدامع قتلى كدى وقتلى بكثرة لم ترمس^(١)

قال : هولى ، ورب هذه البنية ، لا تبرح حتى تغنيه . قال : ورب هذه البنية
لا تبرح حتى نسمعه . ثم قلب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأخرى وجعل يقرع بجرعها
على الأخرى ويغنيه حتى غلبه ، فأخذته منه .

(١) كدى ، بالضم : موضع فى أسفل مكة . وكثرة ، بالضم : موضع .

قال إبراهيم بن المهدي: انصرفت ليلة من الشَّامِسية^(١) ففررت بدار إبراهيم الموصلي ، وإذا هو في روشن^(٢) له وقد صنع لحنه :

أَلَا رُبَّ نَدَّمانٍ عَلَى دَموعِهِ تَفِيضُ عَلَى الْخَدَّينِ سَحَابًا سَجُومَهَا

وهو يعيده ويلعب به، ينغمه ويكرره لتستوى له أجزاءه ، وجواريه يضر بن عليه. فوقفت تحت الروشن حتى أخذته . ثم انصرفت إلى منزلي ، فما زلت أعيده حتى بلغت فيه الغاية . وأصيحت قفدوت إلى الشَّامِسية واجتمعنا عند الرشيد ، فاندفع إبراهيم فغناه أول شيء غني . فلما سمعه الرشيد طرب واستحسنه وشرب عليه . ثم قال له : لمن هذا يا إبراهيم ؟ قال: لي ياسيدي . صنعته البارحة . فقلت كذب يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت قديم وأنا أغنيته . فقال لي : غنّه . فغنيت كما غناه . فبهت إبراهيم وغضب الرشيد . فظل إبراهيم بأسوأ حال . فلما صليت العصر قلت للرشيد: الصوت وحياتك له وما كذب . فدعا به الرشيد ورضى عنه . غني مخارق بين يدي الرشيد صوتاً فأخطأ في قسمته . فقال له إسحاق : أعده ، فأعاده . وكان الخطأ خفياً . وقال للرشيد : ياسيدي ، قد أخطأ فيه . فقال لإبراهيم ابن المهدي : ماتقول فيما ذكره إسحاق . فقال إسحاق : أترضى بأبي ؟ قال : إي والله . وكان إبراهيم الموصلي في بقايا علة . فأمر الرشيد بإحضاره ولو محمولاً . فجيء به في محفة . فقال لمخارق : أعد الصوت ، فأعاده . فقال : ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت ؟ فقال : قد أخطأ فيه . فقال : هكذا قال ابنك إسحاق وذكر أخى إبراهيم أنه صحيح .

(١) الشَّامِسية : مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد .

(٢) روشن : الكوة .

قال الرشيد لإبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابن جامع وابن أبي الكائنات :
يا كروني غداً وليكن كل واحد قد قال شعراً . إن كان يقدر أن يقوله ، وغنى فيه
لحناً ، وإن لم يكن شاعراً غنى في شعر غيره . قال إبراهيم بن المهدي : فقامت
في السحر وجهدت أن أقدر على شيء أصنعه ، فلم يتفق لي . فلما خفت طلوع
الفجر دعوت بغلمانى وقلت لهم : إني أريد أن أمضى إلى موضع ولا يشعربى
أحد حتى أصير إليه . فقامت فركبت وقصدت إلى إبراهيم الموصلي ، وكان قد
حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر ما يحتاج إليه ، وإذا قام لحاجة في
الحش اعتمد على خشبة له في المستراح ، فلم يزل يقرع عليها حتى يفرغ من
الصوت ويرسخ في قلبه . فجلت حتى وقفت تحت مستراحه ، فاذا هو يردد
هذا الصوت :

إذا سكبت في الكأس قبل مزاجها ترى لونها في جلدة الكأس مذهباً
قال : فما زلت واقفاً أستمع منه الصوت حتى أخذته . ثم غدونا إلى الرشيد .
فلما جلسنا لنشرب خرج الخادم إلى فقال : يقول لك أمير المؤمنين : يا بن أم ،
غنى . فاندفعت فغنيته هذا الصوت ، والموصلي في الموت ، حتى فرغت منه . فأمر
لي بثلاثمائة ألف درهم . فوثب إبراهيم الموصلي فحلف بالطلاق وحياء الرشيد أن
الشعر له قاله البارحة وغنى فيه ، ما سبقه إليه أحد . فقال إبراهيم : ياسيدي ،
فمن أين هو لي ، وإبراهيم يضطرب ويضج . فلما قضيت أرباً من العبث به قلت
للرشيد : الحق أحق أن يتبع ، وصدقته . فقال للموصلي : أما أخى فقد أخذ المال
ولا سبيل إلى رده ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم .

قال إسحاق : كنت عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهدي . فغنى إبراهيم
صوتاً لابن جامع أخلّ ببعضه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ترك ابن جامع الناس

يحجلون خلفه ولا يلحقونه ، وفي هذا الصوت خاصة . فقلت : والله يا أمير المؤمنين ما صدق وما هذا الصوت بتمام الأجزاء . فقال : كذب والله يا أمير المؤمنين . فقال : يا سيدي ، أنا أوقفه على نقصانه ، فمره فليعد . فأعاد البيت الأول فأقامه ، وطمع في الإصابة . فقلت : آفته في البيت الثاني فليردده ، فردّه فنقص من أجزائه وقسمته . فعرفته ، فأقرّ به .

قال إسحاق الموصلي : كنت عند الرشيد ، وعندّه ندماءه وخاصته وفيهم إبراهيم بن المهدي ، فقال لي الرشيد : يا إسحاق ، تغنّ :

شربت مدامة وسقيت أخرى وراح المنتشون وما انتشيت

فغنيت . فأقبل عليّ إبراهيم بن المهدي فقال لي : ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت . فقلت : ليس هذا مما تحسنه ولا تعرفه ، وإن شئت فغنّه ، فإن لم أجذك أنك تخطيء فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمي حلال .

وفصد إبراهيم يوما فكتب إليه إسحاق يتعرف خبره ويدعوه بالسلامة وحسن العقبى ، وكتب إليه : إني سأهدي إليك هدية للفصد حسنة . فوجه إليه بديحاً غلامه بلحنه في :

* هزئت أسماء مني وقالت *

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبلنا الهدية ، فإن كان أذن لك في طرحه على الجوارى فافعل .

وكان إبراهيم بن المهدي منازع إسحاق في هذه الصناعة ولم يبلغه فيها . وكتب إبراهيم بن المهدي إلى إسحاق في شيء خالفه فيه من التجزئة والقسمة : إلى من أحاكك والناس بيننا خير .

قال محمد بن المكي لزوزور الكبير : كيف كان إسحاق ينفق على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيم بن المهدي ومخارق أطيب أصواتاً وأحسن نعمة ؟ قال : كنا والله يا بني نحضر معه فنجته في الغناء ونقيم الوهج فيه ، ويقبل علينا الخلفاء حتى نطمع ونظن أننا قد غلبناه ، فإذا غنى عمل في غنائه أشياء من مداراته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كلنا ، ويقبل عليه الخليفة دوننا ويميزه دوننا ، ويصغي إليه ونرى أنفسنا اضطرارا دونه .

وكان إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي إذا خلوا فهما أخوان ، وإذا التقيا عند خليفة تكاشحا أقبح تكاشح .

ولابن المهدي في شعر لإسحاق مدح به الرشيد صوت كان الناس يتهادونه كما يتهادون الطرفة والباكورة ، والشعر هو :

لأسماء رسمٌ عفاً باللوى أقام رهيناً لطول البلى
تعاوره الدهرُ في صرّفه بكرّ الجديدُ حتى عفا

قال أحمد بن المكي : غنيتُ إبراهيم بن المهدي لسياط :

ضاف قلبي الهوى فأكثر سهوى

فاستحسنه جدا .

سأل إبراهيم بن المهدي جماعة من إخوانه أن يصطبخوا عنده . قال حمدون : وكنت فيهم . وكان فيمن دعا مخارق . فسار إليه وهو سكران لا فضل فيه لطعام ولا شراب . فاغتم لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع . فقال : لا والله أيها الأمير ما كان آفتى إلا سليم بن سلام ، فإنه مر بي فدخل على فغناني صوتاً له صنعه قريباً ، فشربت عليه إلى السحر حتى لم يبق في فضل . فقال له إبراهيم : فغنناه إملالا . فغنناه :

إذا كنتَ نَدْمَانِي فَبَاكِرُ مُدَامَةٍ مَعْتَمَةٌ زُفْتُ إِلَى غَيْرِ خَاطِبِ
إذا عُمِّقَتْ فِي دَنِّهَا الْعَامَ أَقْبَلْتُ تَرْدِي رِءَاءَ الْحُسْنِ فِي عَيْنِ شَارِبِ

زار حكم الوادي الرشيد فبرّه ووصله بثلاثمائة ألف درهم، وسأله عن يختار أن يكتب له بها إليه . فقال : اكتب لي بها إلى ابراهيم بن المهدي ، وكان عاملا له بالشام . قال ابراهيم : فقدم عليّ حكم بكتاب الرشيد ، فدفعت إليه ما كتب به ووصلته بمثل ما وصله ، إلا أنني نقصته ألفاً من الثلاثمائة وقلت له : لا أصلك بمثل صلة أمير المؤمنين . فأقام عندي ثلاثين يوماً أخذت منه فيها ثلاثمائة صوت ، كل صوت منها أحب إلى من الثلاثمائة الألف التي وهبتها له .

كانت مقيم ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد ، و ابراهيم بن المهدي حاضر . فغنت :

لَزِينَبَ طَيْفٌ تَعْزِيْنِي طَوَارِقُهُ هُدُوءًا إِذَا مَا النَّجْمُ لَاحَتْ لَوَاحِقُهُ

فأشار إليها ابراهيم أن تُعيدّه . فقالت مقيم للمعتصم : ياسيدي ، ابراهيم يستعيدني الصوت وكأنه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تعيده . فلما كان بعد أيام كان ابراهيم حاضرا مجلس المعتصم ومقيم غائبة ، فانصرف ابراهيم بعد حين إلى منزله ، ومقيم في منزلها بالميدان وطريقه عليها ، وهي في منظرها مشرفة على الطريق ، وهي تغني هذا الصوت وتطرحه على جوارى عليّ بن هشام ، فتقدم إلى المنظر وهو على دابته ، فتناول حتى أخذ الصوت ، ثم ضرب باب المنظر بمقرعته وقال : قد أخذناه بلا حمدك .

قال ابراهيم : دخلت يوما إلى الرشيد وفي رأسي فضلة خمار ، وبين يديه ابن

جامع و إبراهيم الموصلي . فقال : بحياتي يا إبراهيم غنّني . فأخذت العود ولم ألتفت إليهما ، لما في رأسي من الفضلة ، فغنيت :

أَسْرَى بِخَالِدَةِ الْخِيَالُ وَلَا أَرَى شَيْئاً أَلْذَّ مِنْ الْخِيَالِ الطَّارِقِ

فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لما أكلنا خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقت . فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت : خدا في حقكما ودعا باطلنا .

قال أحمد بن الحارث بن بُسْخَرٍ : لما قدم المأمون من خراسان لم يظهر لمغن غيري بمدينة السلام ، فكنت أناذمه سرّاً ، ولم يظهر للندماء أربع سنين حتى ظفر بإبراهيم بن المهدي . فلما ظفر به وعفا عنه ظهر للندماء . ثم جمعنا ووجه إلى إبراهيم . فحضر في ثياب مبتذلة . فلما رآه المأمون قال : ألقى عمي رداء السكبر عن منكبيه . ثم أمر له بخلع فاخرة . وقال : يافتح ، غدّ عمي . فتغدّى إبراهيم بحيث يراه المأمون . ثم تحول إلينا ، وكان مخارق حاضراً . فغنّي مخارق :

هَذَا وَرُبَ مُسَوِّقِينَ صَبَحْتُهُمْ مِنْ خَمْرِ بَابِلَ لَذَّةً لِلشَّارِبِ

فقال له إبراهيم : أسأت فأعده . فأعاده . فقال : قاربت ولم تُصب . فقال له المأمون : إن كان أساء فأحسن أنت . فغناه إبراهيم . ثم قال لمخارق : أعده . فأعاده . فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ فقال : كثير .

قالت أسماء بنت المهدي : قلت لأخي إبراهيم : يا أخي ، أشتهى والله أن أسمع من غنانك شيئاً . فقال : إذن والله يا אחتي لا تسمعين مثله . علىّ وعلىّ ،

وغلظ في اليمين ، إن لم يكن إبليس ظهر لي وعلمني النقر والنغم وصاغني وقال لي :
اذهب فأنت مني وأنا منك .

كتب إسحاق إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت صنعه وإصبعه ومجراه
وأجزاء لحنه . فعناه إبراهيم من غير أن يسمعه ، فأدّى ماصنعه . والصوت :

حبينا أمَّ يعمرأ قبل شحط من النوى

قلت لا تعجلوا الروا ح فقالوا ألا بلى

أجمع الحى رحلة ففؤادى كذى الأسى

إبراهيم الموصلی

هو إبراهيم بن ميمون — أو ابن ماهان — بن يهمن بن نسك . قال :
وأصلنا من فارس ، ولنا بيت شرف في العجم . وكان جدنا ميمون هرب من جور
عمال بعض بني أمية فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارم . فكان بين إبراهيم
وبين ولد نضلة بن نعيم رضاع . وأم إبراهيم امرأة من بنات الدهاقين الذين هربوا
من فارس لما هرب ميمون .

وكان مولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة . وتوفي ببغداد سنة
ثمان وثمانين ومائة ، وله ثلاث وستون سنة .

وكان سبب قولهم إبراهيم الموصلی أنه لما نشأ وأدرك أصحاب الفتيان واشتهى
الغناء فطلبه ، واشتد أخواله عليه في ذلك وبلغوا منه . فهرب منهم إلى الموصل
فأقام بها نحو من سنة . فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان : مرحبا
بألفتي الموصلی . فلقَّب به .

وكان سبب طلبه الغناء أنه لما خرج إلى الموصل صاحب جماعة من الصعاليك
كانوا يصيبون الطريق ويصيبه معهم ، ويجمعون ما يفيدونه فيقتصفون ويشربون
ويغنون ، فتعلم منهم شيئاً من الغناء وشدا فكان أطيبهم وأحذقهم . فلما أحس
بذلك من نفسه اشتبهى الغناء وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه .

وهناك بالموصل تزوج شاهك أم إسحاق ابنه وسأروله .
قال : أول شيء أعطيته بالغناء أني كنت بالري أنادم أهلها بالسوية ،
لا أرزؤهم شيئاً ولا أنفق إلا من بقية مال كان معي انصرفت به من الموصل . فر

بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عماله برسالة، فسمعني عند رجل من أهل الرى فشغف بي وخلع عليّ، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكساه كسوة كثيرة . فجاءني إلى منزلي الذي كنت أسكنه، ووهب لي نصف الكسوة التي معه وألفي درهم .

ووصف لي رجل بالأبلة فخرجت إليه وصحبت فتياتها، فأخذت عنهم وغنيّتهم فشغفوا بي .

قال : وأول هاشميّ صحبته عيسى بن سليمان بن عليّ ، أخو جعفر ومحمد ، وكان فتاهم ظرفاً ولهما وساحة . وأول خليفة سمعني المهديّ ، وصفت له فأخذني من عيسى بن سليمان وما سمع قبلي من المغنين أحداً سوى فليح بن أبي العوراء وسياط ونظر إلى ما صار إليه من الأموال والغلات وثمن ما باع من جواريه فوجد أربعة وعشرين ألف ألف درهم ، سوى أرزاقه الجارية ، وهي عشرة آلاف درهم في كل شهر ، وسوى غلات ضياعه وسوى الصلات النزرة التي لم يحفظها .

ومارئي أكمل مروءة منه، كان له طعام معد في أكل وقت . فكان له في كل يوم ثلاث شياه ، واحدة مقطعة في القدور ، وأخرى مسلوخة ومعلقة ، وأخرى حية . فإذا أتاه قوم طعموا ما في القدور، وذبحت الحية فعلقت، وأتى بأخرى فجعلت وهي حية في المطبخ .

وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم ، سوى ما كان يجري وسوى كسوته .

ولم يكن الناس يعلمون الجارية الحسنة الغناء وإما كانوا يعلمونه الصّفر والسود، وأول من علم الجوارى المثلثات أبي . فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ، ورفع من أقدارهن . وقال : دخلت الرى فكنت ألف فتية من أهل النعم بها، وهم لا يعرفونني

فطال ذلك على . إلى أن دعاني أحدهم ليلة إلى منزله فبت عنده . فأخرج جارية له ومد لها ستارة فتغنت خلفها . فرأيتها صالحة الأداء كثيرة الرواية . فشوقني إلى العراق وذكرني أيامي بها ، فدعوت بعود . فلما جرى به اندفعت فغنيت صوتي في شعري :

أنا بالرى مقيم في قرى الرى أهيم

وقد كنت صنعت هذا اللحن قديماً بالرى . فخرجت الجارية من وراء الستارة مبادرة إلى ، فأكبت على رأس وقالت : أستاذى والله . فقال لها مولاهما : أى أستاذيك هذا ؟ قالت : إبراهيم الموصلى . فإذا هى إحدى الجوارى اللاتى أخذن عنى وطل العهد بها . فأكرمنى مولاهما وبرتنى وخلع على . فأقمت مدة بعد ذلك بالرى وانتشر خبرى بها . وكتب بحملى إلى والى البلدة فأشخصت .

وصنع تسعة صوت ، منها دينارية ومنها درهمية ومنها فلسية . فأما ثلاثمائة منها فإنه تقدم الناس جميعاً فيها . وأما ثلاثمائة فشاركوه وشاركهم فيها . وأما الثلاثمائة الباقية فلعب وطرب .

وقال : أول من تعلمت منه الغناء مجنون كان إذا صيح به : يا مضر . يهيج ويرجم . فبلغنى أنه يغنى أصواتاً فيجيدها أخذها عن قدماء أهل الحجاز . فكنت أدخله إلى فأطعمه وأسقيه وأخذعه حتى آخذ عنه ، وكاد حاذقا . فأول صوت أخذته عنه :

أرسلنى بالسلام يا سلم إنى منذ علقتكم غنى فقير

فالغنى إن ملكك أمرك والفقه ربأنى أزور من لا يزور

ثم مكثت زماناً آخذ عنه . وكان إذا عاد إليه عقله من أحنق الناس وأقومهم على ما يؤديه .

وسأله الرشيد : كيف يصنع إذا أراد أن يصوغ الألحان . فقال : يا أمير المؤمنين ، أخرج الهم من فكرى ، وأمثل الطرب بين عيني ، فتسرع إلى مسالك الألحان ، فأسلكها بدليل الإيقاع ، فأرجع مصيباً ظافراً بما أريد . فقال : يحق لك يا إبراهيم أن تصيب وتظفر . وإن حسن وصفك لمشاكل حسن صنعتك وغنائك .

وقال إبراهيم : أدركت يونس الكاتب ، وهو شيخ كبير ، فعرضت عليه غنائى . فقال : إن عشت كنت مغنى دهرك .

زار ابن جامع إبراهيم . فأخرج إليه ثلاثين جارية . فضر بن جميعاً في طريقة واحدة وغنين . فقال ابن جامع : فى الأوتار وتر غير مستو . فقال إبراهيم : يافلانه شدى مثناك . فشده فاستوى .

ولما دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة اشتد أمر القولنج على إبراهيم ولزمه ، وكان يعتاده . فقعده عن خدمة الخليفة وعن نوبته فى داره وقال فى ذلك :

مَلَّ وَاللَّهِ طَبِيبِي عَنْ مَقَاسَةِ الَّذِي بِي

سَوْفَ أَنْعَى عَنْ قَرِيبٍ لَعْدُوِّ وَجَبِيبِ

وغنى فيه لحناً . فكان آخر شعر وآخر لحن صنعه .

ومات إبراهيم الموصلى سنة ثمان وثمانين ومائة . ومات فى ذلك اليوم الكسائى النحوى ، والعباس بن الأحنف الشاعر ، وهشيمة الحمارة . فرفع ذلك إلى الرشيد ، فأمر المأمون أن يصلى عليهم . فخرج ، فصفا بين يديه ، فقال : من هذا الأول ؟ قيل : إبراهيم . فقال : أخروه وقدموا العباس بن الأحنف ، فقدم ، فصلى عليهم .

فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال : ياسيدي ، كيف آثرت العباس بالنقدمة على من حضر ؟ قال : لقوله :

وسعى بها ناسٌ فقالوا إنها لهى التى تشقى بها وتسكابد

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم إني ليعجبني المحب الجاحد

ثم قال : أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة ؟

وقال إسحاق : دخلت إلى الرشيد بعقب وفاة أبى ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلما جلست ورأيت موضعه الذى كان يجلس فيه خاليا دمعت عيني ، فكففتها وتصبرت . ولحنى الرشيد ودعانى إليه وأدنانى منه . فقبلت يده ورجله والأرض بين يديه . فاستعبر ، وكان رفيقاً ، وقال لى : لن تفقد من أبيك مادمت حياً إلا شخصه . وأمر بإضافة رزقه إلى رزقى .

المالكي

أحمد بن سعيد بن قادم

أحد القواد مع طاهر بن الحسين بن عبد الله بن طاهر . فكان معه بالرى . وكان مع محله من خدمة السلطان مغنياً حسن الغناء منقطماً إلى طاهر وولده ، وله صتعة .

حضر مجلس طاهر بن عبد الله وهو متنزه بظاهر الرى بموضع يعرف بشادمر ، وقيل بل حضره بالشاذباخ ، فغنى هذا الصوت :

* اشرب هنيئاً عليك التاج مرتقفا *

فطرب طاهر ، واستعاده مراراً وشرب عليه حتى سكر ، وأسنى لأحمد ابن سعيد الجائزة .

وقال أحمد : حضرت يحيى المكي يوماً وقد غنى صوتاً ، فسئل عنه فقال : هذا للملك . ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت . ثم غنى لحناً للملك ، فسئل عن صانعه ، فقال : هذا لي . قال أحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى .

قال أحمد بن سعيد : وكانت صنعة يحيى ثلاثة آلاف صوت ، منها زهاء ألف صوت لم يقاربه فيها أحد ، والباقي متوسط .

الطنبوري

أحمد بن صدقة بن أبي صدقة

كان أبوه حجازياً مغنياً ، قدم على الرشيد وغنى له . وكان أحمد طنبورياً محسناً ، قدما حاذقاً حسن الغناء محكم الصنعة ، وله غناء كثير من الأرمال والأهراج وما جرى مجراها من غناء الطنبوريين .

وكان ينزل الشام ، فوصف للمتوكل ، فأمر بإحضاره . فقدم عليه وغناه . فاستحسن غناؤه وأجرل صلته .

واشتهاه الناس وكثر من يدعوه . فتكسب بذلك أكثر مما كسبه مع
المتوكل أضعافا .

وقال أحمد : اجتزيت بخالد بن يزيد الكاتب فقلت له : أنشدني بيتين من
شعرك حتى أغنى فيهما . قال : وأى حظ لي في ذلك ، تأخذ أنت الجائزة وأحصل
أنا الإثم . فخلفت له : إني إن أفدت بشعرك فائدة جعلت لك فيها حظا وأذكرت
بك الخليفة وسألت فيك . فقال : أما الحظ من جهتك فأنت أنزل من ذلك ،
ولكن عسى أن تفلح في مسألة الخليفة . ثم أنشدني :

تقول سلا فمن المدنفُ ومن عينه أبداً تدرفُ
ومن قلبه قلق خافق عليك وأحشاؤه ترجف

فلما جلس المأمون للشرب دعاني ، وقد كان غضب على حظية له . فحضرت
مع المغنين . فلما طابت نفسه وجهت إليه بتفاحة عنبر عليها مكتوب بالذهب :
يا سيدي ، سلوت . وما علم الله أني عرفت شيئا من الخبر . وانتهى الدور إلى
فغنيت البيتين . فاحمر وجه المأمون وانقلبت عيناه وقال : يا ابن الفاعلة ، ألك
على وعلى حرمي صاحب خبير . فوثبت وقلت : يا سيدي ، ما السبب ؟ فقال لي :
من أين عرفت قصتي مع جاريتي فغنيت في معنى ما بيننا . فخلفت له أني
لا أعرف شيئا من ذلك وحدثته حديثي مع خالد . فلما انتهيت إلى قوله « أنت
أنزل من ذلك » ضحك وقال : صدق ، وإن هذا الاتفاق ظريف . ثم أمر لي
بخمسة آلاف درهم وخالد بمثلها .

قال أحمد : دخلت على المأمون في يوم السعانيين وبين يديه عشرون

وصيفة روميات ، وقد تزين بالديباج الرومي ، وعلقت في أعناقهن صلبان الذهب ،
وفي أيديهن الخوص والزيتون . فقال لى المأمون : ويلك يا أحمد ! قد قلتُ في
هؤلاء أبياتاً فغنى فيها . ثم أنشدنى :

ظباء كالذئبانير ملاحٌ في المقاصير

جلاهن السعائين علينا فى الزنابير

وقد زرقن أصداغا كأذناب الزراير

وأقبلن بأوساط كأوساط الزناير

فحفظتها وغنيته فيها . فلم يزل يشرب وترقص الوصائف بين يديه أنواع
الرقص حتى سكر . فأمر لى بألف دينار وأمر أن ينثر على الجوارى ثلاثة آلاف
دينار . فقبضتُ الألف ونثرتُ الثلاثة الآلاف عليهن فانهبتنها معهن .

ولم يزل أحمد مقبلاً حتى بلغه موت بنيه بالشام ، فشخص نحو منزله ، وخرج
عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه .

وقال بعض الشعراء ينجو أحمد بن صدقة ، وكانت له صديقة قطعتة . فعبره
بذلك ونسبها إلى أنها هربت منه لأنه أبخر :

هربتُ صديقة أحمد هربت من الرقيق الردى

هربت فإن عادت إلى طنبوره فاقطع يدى

ابن أبي العلاء

أحمد بن عبيد الله

أحد المحسنين المتقدمين . أخذ عن مخارق وعلويه وطبقتهما ، وعُمر إلى آخر أيام المعتضد . وكان فيه عربة . وكان هو وطبقته دون أكابر المغنين ، مثل القاسم بن زررور وأحمد المكي .

قال : غنيت يوماً بين يدي الواثق لحن إسحاق في :

هزئت أسماء مني وقالت أنت يابن الموصلي كبير

فنظر إلى مخارق نظراً شزراً وعض شفته على . فلما خرجنا من بين يدي الواثق . قلت : يا أستاذ ، لم نظرت إلى ذلك النظر ؟ أنكرت على شيئاً أم أخطأت في غنائى ؟ فقال لى : ويحك ! أتدرى أى صوت غنيت ؟ إن إسحاق جعل صيحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيق وعر صعب المرتقى ، أحد جانبي ذلك الطريق حرف الجبل ، وعن جانبه الآخر الوادى ، فإن مال مرتقيه عن محبته إلى جانب الوادى هوى ، وإن مال إلى الجانب الآخر لطمه حرف الجبل فتكسر ، فصر إلى غداً حتى أصحبه لك .

وقال : غنيت المعتضد يوماً ، وهو أمير ، صوت إسحاق :

يا سرحة الماء قد سدت موارده أما إليك طريق غير مسدود

فطرب واستعاده مراراً . وقال : هذا والله الغناء الذى يخالط الروح ويمارح

اللحم والدم .

وقال : عنيت المعتضد صوتاً في شعره ، ثم أتبعته بشعر الوليد بن يزيد :

كلّاني توجّاني وبشعري غنياني

فقال : أحسن والله ! هكذا يقول الملوك المترفون ، وهكذا يضربون ، وبمثل هذا يشيرون ، وإليه يرتاحون . أحسنت يا أحمد الاختيار لما شا كل الحال ، وأحسنت الغناء ، أعد ، فأعدته . فأمر لي بعشرة آلاف درهم وشرب رطلا ، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ست مرات .

المكي

أحمد بن بجي بن مرزوق

ويكنى أبا جعفر ، وكان يلقب ظنيناً . وهو أحد المحسنين المبرزين ، الرواة للغناء ، المحكمي الصنعة . وكان إسحاق يقدمه ويؤثره ويشيد بذكركه ويجهز بتفضيله . وكتابه المجرّد في الأغاني ونسبها أصل من الأصول المعول عليها . فكان مع جودة غنائه وحسن صنعته أحد الضراب الموصوفين المتقدمين .

قال . كنت عند الفضل بن الربيع فغنى بعض من كان عنده :

كل شيء منك في عيني حسن ونصبي منك هم وحزن

لا تظني أنه غيرني قدّم العهد ولا طول الزمن

فقال : أتدرى لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطنبوريين . فقال : لا ، ولكنه لذلك الشيطان إسحاق .

وقال : غنيت إبراهيم بن المهدي لسياط :

* ضاف قلبي الهوى فأكثر سهوى *

فاستحسنه جدا وقال لى : ممن أخذته ؟ قالت : من جارية أبيك : قرشية الزباء . فقال : أشعرت أنه كان لأبى ثلاث جوار محسنات كلهن تسمى قرشية ، هن قرشية الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء ، وكانت الزباء أحسنهن . يعنى التى أخذت منها الصوت .

والعمل على كتاب أحمد . فإنه صحح كثيراً مما أفسده أبوه ، وأزال ما عرفه من تخاليط ، وحقق ما نسبته من الأغاني إلى صانعه . وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

وقال : غنيت المتوكل صوتا شعره لأبى الشبل البرجمي ، وهو :

أقبلني فانلير مقبل ودعى قول المعلن

فأمر لى بعشرين ألف درهم . فقلت : يا سيدي ، أسأل الله أن يبلغك الهنيئة . فسأل عنها الفتح ، فقال : يعنى مائة سنة . فأمر لى بعشرة آلاف أخرى . وقال : دعاني عبد الله بن موسى يوما فقال لى : أتقوم غلاما ضاربا مغنيا قيمة عدل لا حيف فيه على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت : نعم . فأخرج إلى ابنه القاسم ، وكنت قد عرفته ، وهو أحسن من القمر ليلة البدر . فأخذ عوداً فضرب . فأكببت على يديه أقبلهما . فقال لى عبد الله : أتقبل يد غلام مملوك ؟ قلت : بأبى وأمى هو من مملوك ! فقال : أما إذ عرفته فأحب أن تضاربه . ففعلت . فلما رأى الغلام زيادتي عليه فى الضرب اغتم وأقبل على أبيه

فقال ، كالمعتذر من ذنبه : أنا متلذذ وهذا متكسب . فضحكت وعجبت من حدة جوابه معتذراً على صغر سنه .

وقال علي بن يحيى : قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وقد جرى ذكر أحمد المكي : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكاً كم كان يساوى ؟ فقال : أخبرك عن ذلك : انصرفت ليلة من دار الواثق فاجتزت بدار الحسن بن وهب . فدخلت إليه فاذا أحمد عنده . فلما قام لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن وهب : كم يساوى أحمد لو كان مملوكاً ؟ قلت : يساوى عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فغنى صوتاً . فقال لي الحسن ابن وهب : يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تغنى صوتاً آخر . فقلت للحسن : يا أبا علي ، أضعفها . ثم أردت الانصراف فقلت لأحمد : غنى :

لولا الحياء وأن السير من خلقى إذا قعدت إليك الدهر لم أقم
أليس عندك سكر للتي جعلت ما أبيض من قدمات الرأس كالحم

فغناه أحمد فأحسن فيه كل الإحسان . فلما قمت للانصراف قلت للحسن : يا أبا علي ، أضعف الجميع .

ونأظره بعض المغنين ذات ليلة بين يدي المعتصم وطال تلاحيهما في الغناء ، فقال أحمد للمعتصم : يا أمير المؤمنين ، من شاء منهم فليغن عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة ، وأنا أغنى عشرة وعشرة لا يعرف أحد منهم صوتاً منها . فقال إسحاق : صدق يا أمير المؤمنين .

وقال محمد بن عبد الله بن مالك : سألتني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً :

من بقي من المغنين ؟ قلت : وجه القرعة محمد بن عيسى بن جعفر . فقال : صالح
كيس . ومن أيضاً ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكي . فقال : بخ بخ ، ذاك المحسن
المجمل الضارب ، المغنى القائم بمجلسه لا يحوج أهل المجالس إلى غيره .
وتوفي أحمد في خلافة المستعين في أولها .

النصبي

أحمد بن أسامة الهمداني

من رھط الأعشى الأدنين . وكان يغنى بالطنبور في الإسلام . وكان فيما
يقال : ينادم عبید الله بن زياد سرا ويغنيه . وله صنعة كثيرة حسنة لم يلحقها
أحد من الطنبوريين ولا كثير ممن يغنى بالعود .
وقيل إنه لم يكن بالكوفة أبخل منه مع يساره ، مع أنه كان يقرض الناس بالربا .
وكان مؤاخياً لأعشى همدان مواصلاً له ، فأكثر غنائه في أشعاره ، مثل
صنعتة في شعره :

* حيياً خولة منى بالسلام *

و : * لمن الطعائن سيرهن ترجف *

و : * يأيتها القلب المطيع الهوى *

وهذه الأصوات قلائد صنعتها وغرر أغانيه .

وخرج أحمد النصبي مع أعشى همدان ، وكان قرابته وإفقه ، في عسكر ابن
الآشعت فقتل فيمن قتل .

الموصلی

إسحاق بن إبراهيم

ويكنى أبا محمد . وكان الرشيد يولع فيكنيته أبا صفوان . وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مزحاً .

وموضعه من العلم ومكانه من الأدب ومحله من الرواية وتقدمه في الشعر ومنزلته في سائر المحاسن أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف

وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به ، وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه . فإنه كان له في سائر أدواته نظراء وأكفاء ، ولم يكن له في هذا نظير ، فإنه لحق بمن مضى فيه وسبق من بقى . ولحب للناس جميعاً طريقه فأوضحها ، وسهل عليهم سبيله وأثارها .

فهو إمام أهل صناعته جميعاً ورأسهم ومعلمهم ، يعرف ذلك منه الخالص والعام ، ويشهد به الموافق والمفارق . على أنه كان أكره الناس للغناء وأشدهم بغضاً لأن يدعى إليه أو يسمى به . وكان يقول : لوددت أن أضرب كلما أراد مرید مني أن أغنى ، وكما قال قائل : إسحاق الموصلی المغنى ، عشر مقارع ، لا أطيق أكثر من ذلك ، وأعفى من الغناء ولا ينسبني من يذكركني إليه .

وكان المأمون يقول : لولا ما سبق على السنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليت القضاء بحضرتي ، فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة .

وقد روى الحديث ولقي أهله ، مثل : مالك بن أنس وسفيان بن عيينه وهشيم

ابن بشير ، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز .

وكان إسحاق يُجربى على ابن الأعرابي في كل سنة ثلاثمائة دينار . وأهدى له ابن الأعرابي شيئاً من كتاب النوادر ، كتبه له بخطه ، فمر ابن الأعرابي يوماً على باب دار الموصلي فقال : هذه دار الذي نأخذ من ماله ومن أدبه .

وكان مع كراهة الغناء أضن خلق الله وأشدّهم بخلاً به على كل أحد ، حتى على جواريه وغلماؤه ومن يأخذ عنه منتسباً إليه متعصباً له ، فضلاً عن غيرهم .

وهو الذي صحح أجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزاً ، لم يقدر عليه أحد قبله ، ولا تعلق به أحد بعده . ولم يكن قديماً مميّزاً على هذا الجنس ، إنما كان يقال : الثقل وثقل الثقل ، والخفيف وخفيف الخفيف فميز إسحاق الأجناس فجعلها أصنافاً .

قال إسحاق : بقيت دهرًا من دهرى أغلس في كل يوم إلى هشيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكسائي أو الفراء أو ابن غزالة فأقرأ عليه جزءاً من القرآن ، ثم أتى منصوراً زلزلاً فيضار بنى طرفين أو ثلاثة ، ثم أتى عاتكة بنت شهدة فأخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم أتى الأصمعي وأباً عبيدة فأنشدتهما وأحدثهما فاستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبي فاعلمه ما صنعت ومن لقيت وما أخذت . وأتغدى معه ، فإذا كان العشاء رحت إلى أمير المؤمنين الرشيد .

وقال : أخذ من منصور زلزل إلى أن تعلمت مثل ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم .

وقال : دخلت على المأمون يوماً وعقيد يغنيه ارتجالاً وغيره يضرب عليه . فقال : يا إسحاق ، كيف تسمع مغنينا هذا ؟ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أدام

الله سرورك . قد أكثروا في أمرى حتى نسبتنى فرقةً إلى التزديد في علمى . فقال له : لا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لزمك . فقلت لعقيد : اردد هذا الصوت الذى غنيته آنفاً وتحفظ فيه . وضرب ضاربه عليه . فأقبلت على عقيد فقلت له حين استوفاه : فى أى طريقة هذا الصوت الذى غنيته ؟ قال : فى الرمل . فقلت للضارب : فى أى طريقة ضربت أنت ؟ قال : فى الهزج الثقيل . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عسيت أن أقول فى صوت يغنى مغنيه رملاً ويضرب ضاربه هزجاً ، وليس هو صحيحاً فى إيقاعه الذى ضرب عليه .

وقال إسحاق : كانت عندى صناجة كنت بها معجباً واشتهاها أبو إسحاق المعتصم فى خلافة المأمون . فبينما أنا ذات يوم فى منزلى إذ ابابى يدق دقاً شديداً فقلت : انظروا من هذا ؟ قالوا : رسول أمير المؤمنين . فقلت : ذهبت صناجتى ، تجده ذكرها له ذاكر فبعث إلى فيها . فلما مضى بى الرسول انتهيت إلى الباب وأنا مشخن فدخلت فسلمت . فرد السلام ، ونظر إلى تغير وجهى فقال : اسكن . فسكنت . وسألنى عن صوت وقال : أتدرى لمن هو ! فقلت : أسمعته ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك . فأمر جارية من وراء الستارة فعنته وضربت . فإذا هى قد شبهته بالقديم . فقلت : زدنى معها عوداً آخر فإنه أثبت لى . فزاد لى عوداً آخر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت يحدث لامرأة ضاربة . فقال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : لما سمعته وسمعت لينه عرفت أنه من صنعة النساء ، ولما رأيت جودة مقاطعة عامت أن صاحبه ضاربة . فقال : صدقت ، الغناء لعريب .

وقال : دعانى المأمون وفى مجلسه عشرون جارية ، قد أجلس عشرا عن

يمينه وعشرًا عن يساره، معهن العيدان يضربن بها . فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته . فقال المأمون: يا إسحاق ، أسمع خطأ ؟ فقلت : نعم والله يا أمير المؤمنين وإنه لفي الجانب الأيسر . ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، مر الجوارى اللواتى على اليمين بمسكن . فأمرهن فأمسكن . ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، بمسكن وتضرب الثامنة . فأمسكن وضربت الثامنة . فعرف الخطأ .

وكان المغنون جميعاً يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم إلا إسحاق ، فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة . فإن أمره الخليفة أن يغنى أحضر له عودا . فإذا غنى وفرغ سل من بين يديه إلى أن يطلبه .

وقال : غضب على الخملوع فأقصاني وجفاني ، فاشتد ذلك على ، وكان يومئذ بالأنبار ، فحملت عليه بالفضل بن الربيع . فطلب إليه فشفعه الخملوع . ودعاني وهو مصطبج . فلم أزل متوقفاً وقد لبست قباء وخفاً أحمر ، واعتصبت بعصابة صفراء ، وشدت وسطى بشقة حمراء من حرير . فلما أخذوا فى الأهازج دخلت وفى يدي صفاقتان وأنا أتغنى :

إسمع لصوت طريب من صنعة الأنبار
صوت مليح خفيف يطير فى الأوتار

فسر بذلك محمد ، وكان صوتهم فى يومهم ذلك ، وأمرلى بثلاثمائة ألف درهم .

وسئل زر زور : كيف كان إسحاق ينفق على الخلفاء معكم ، وأنت وإبراهيم ابن المهدي ومخارق أطيب أصواتاً وأحسن نعمة ؟ قال : كنا والله نحضر معه فنجهتهد فى الغناء ونقيم الوهج فيه ، ويقبل علينا الخلفاء حتى نطمع فيه ونظن أنا

قد غلبناه ، فإذا غنى عمل في غناؤه أشياء من مداراته وحققه ولطفه حتى يسقطنا
كلنا ، ويقبل عليه الخليفة دوننا ، ويجيزه دوننا ، ويصفى إليه ونرى أنفسنا
اضطراباً دونه .

وقال إسحاق : أول جائزة أخذتها من الرشيد ألف دينار في أول يوم
دخلت إليه فغنيتة :

* علق القلب بزوعا *

فاستحسنه واستعاده ثلاث مرات وشرب عليه وأمر لي بألف دينار ، فكان
أول جائزة أجازنيها .

وكان إسحاق بن إبراهيم الموصلي كثير الغشيان لإسحاق بن إبراهيم بن
مصعب والحضور لسمره . وكان إسحاق بن مصعب يرى ذلك له ويسنى جوائزه
ويواتر صلاته ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه . فأصيب إسحاق ببصره قبل
موته بسنتين ، فترك زيارة إسحاق وغيره ممن كان يغشاهم ولزم بيته .

وقال إسحاق : أنشدتني أم محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاج .
قاستحسنتهما وصنعت فيها لحناً غنيت به الوائق . فاستعاده حتى أخذه وأمر لي
بثلاثين ألف درهم ، وهما :

عسى الله يا ظبياء أن يعكس الهوى فنلقين ما قد كنت منك لقيت

ثراء فتحتاجي إلي فتعلمي بأن به أجزيك حين غنيت

وكان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي إذا خلوا فهما أخوان ، وإذا
التقيا عند خليفة تكاشحا أقبح تكاشح .

وقال إسحاق : دخلت يوماً على الواصل ، فقال لي : يا إسحاق ، إني أصبحت
قرماً إلى غنائك ، فغنني ، فغنيت : .

من الأطباء طباء همها السحب ترعى القلوب وفي قلبي لها عشب
لا يغترين ولا يسكن بادية وليس يدرين ماضرع ولا حلب
إذا يد سرقت فالقطع يلزمها والقطع في سرق بالدين لا يجب
قال : فشرب عليه بقية يومه و بعض ليله وخلع على خلعة من ثيابه .

وكان الواصل يعرض صنعه على إسحاق فيصلح فيها الشيء بعد الشيء
وقال إسحاق : كنت مع الرشيد حين خرج إلى الرقة ، فدخل يوماً إلى
النساء وخرجت فضيت إلى تل عراز ، فنزلت عند خماره هناك ، فسقتني شرباً
لم أر مثله حسناً وطيباً وطيب رائحة ، وبرزت بنت لها كأنها خوط بان أو جدل
عنان ، لم أر أحسن منها قدماً ، ولا أسيل خدماً ، ولا أعشق وجهاً ، ولا أبرع ظرفاً ،
ولا أفنن ظرفاً ، ولا أحسن كلاماً ، ولا أتم تماماً . فأقمت عندها ثلاثة ، والرشيد
يطلبني فلا يقدر علي . ثم انصرف فذهبت بي رسلاً . فدخلت عليه وهو غضبان .
فلما رأيته خطرت في مشيتي ورقصت ، وكانت في فضلة من السكر وغنيت :

إن قلبي بالتل تل عراز عند ظبي من الأطباء الجوازي
شادن يسكن الشام وفيه مع دل العراق ظرف الحجاز
يا لقومي لبنت قس أصابت منك صفو الهوى وليست تجازي
حلفت بالمسيح أن تنجز الوعد وليست تجود بالإنجاز
(٣-٣)

فسكن غضبه . ثم قال له : أين كنت ؟ فأخبرته ، فضحك .

وقال محمد بن الحسن ، وذكر إسحاق الموصلي : كانت صنعته محكمة الأصول ، ونفحته عجيبة الترتيب ، وقسمته معتدلة الأوزان ، وكان يتصرف في جميع بسط الإيقاعات . فأى بساط منها أراد أن يتغنى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء في ذلك البساط لخدق التدماء فعارضه . وقد كان يذهب مذهب الأوائل ، ويسلك سبيلهم ، ويقتحم طرقهم ، فيبنى على الرسم ليصنعه ، ويحتذى على المثال فيحكمه ، فتأتى صنعته قوية وثيقة يجمع فيها حالتين : القوة في الطبع وسهولة المسلك .

وقال يحيى بن على بن يحيى : كان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء وأنفذهم في جميع فنونه ، وأضر بهم بالعود وبأكثر آلات الغناء ، وأجودهم صنعة . وقد تشبه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارض ابن سريج ومعبداً فانتصف منهما . وكان إبراهيم بن المهدي ينازعه في هذه الصناعة ولم يبلغه فيها ولم يكن بعد إسحاق مثله .

وقال له وكيل بن الحروني : يا أبا محمد ، كم يكون غناؤك ؟ قال : نحواً من أربعمئة صوت .

قال : وقال له رجل بحضرتي : مالك لا تكثر الصنعة كما يكثر الناس ؟ قال : لأني إنما أنقر في صخرة .

وتوفي إسحاق ببغداد في أول خلافة المتوكل . فأصابه ذرب في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين ، فكان يتصدق في كل يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم ، ثم ضعف عن الصوم فلم يطقه . ومات في شهر رمضان .

ونعى إسحاق إلى المتوكل في وسط خلافته، فغمه وحزن عليه وقال : ذهب
صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته .

وقال إدريس بن أبي حفصة :

سقى الله يابن الموصلى بوابل من الغيث قبراً أنت فيه مقيم
ذهبت فأوحشت الكرام فما ينى بعبرته يبكى عليك كريم

وقال محمد بن عمرو الجرجاني يرثيه :

على الجذث الشرقى عوجاً فسلماً بيغداد لما ضمّن عنه عوائده
وقولا له لو كان للموت فدية فداك من الموت الطريف وتالده

أشعب بن جبير

واسمه شعيب ، وكنيته أبو العلاء . كان يقال لأمه أم الخلدنج . وقيل : بل أم
جميل . وهى مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حميدة . وكان أبوه خرج مع المختار
ابن أبي عبيدة ، وأسره مصعب فضرب عنقه صبراً وقال : تخرج على
وأنت مولاى .

ونشأ أشعب بالمدينة فى ديوان آل أبي طالب . وتولت تربيته وكفلته عائشة
بنت عثمان بن عفان .

وأخبر أشعب أن أباه وجده كانا مولى عثمان ، وأن أمه كانت مولاة لأبي

سفيان بن حرب ، وأن ميمونة أم المؤمنين أخذتها معها ، لما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت تدخل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيستظرفنها . ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض وتغرى بينهن ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليها فماتت .

وذكر أنه كان مع عثمان في الدار ، فلما حُصر جرد مماليكه السيوف ليقاتلوا ، فقال لهم عثمان : من أغمد سيفه فهو حر . قال أشعب : فلما وقعت والله في أذنى كنت أول من أغمد سيفه .

وقال الفضل بن الربيع : كان أشعب عند أبي سنة أربع وخسين ومائة ثم خرج إلى المدينة ، فلم يلبث أن جاء نعيه . وهو أشعب بن جبير . وكان أبوه مولى لأبي الزبير ، فخرج مع المختار ، فقتله مصعب صبراً مع من قتل .

وقال أشعب : نشأت أنا وأبو الزناد في حجر عائشة بنت عثمان . فلم يزل يعلو ، وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة .

وقال محمد بن عثمان بن عفان : قلت لأشعب : لي إليك حاجة . فحلف بالطلاق لا سألته حاجة إلا قضاها . فقلت له : أخبرني عن سنك . فاشتد ذلك عليه حتى ظننت أنه سيطلق . فقلت له : على رسلك . وحلفت له أني لا أذكر منه مادام حيا . فقال له : أما إذ فعلت فقد هونت على . أنا والله حيث حصر جدك عثمان بن عفان أسمى في الدار .

وقال أشعب : كنت ألتقط السهام من دار عثمان يوم حوصر . وكنت في شبيبتي ألحق الحمر الوحشية عدوا .

وكان أشعب من القراء للقرآن . وكان حسن الصوت بالقرآن ، وربما صلى بهم القيام .

وكان أشعب مع ملاحته ونوادره يغنى أصواتا فيجيدها . وفيه يقول عبد الله ابن مصعب :

إذا تمزرت صراحيةً كمثل ريح المسك أو أطيّب
ثم تغنى لي بأهزاجه زيد أخو الأنصار أو أشعب
حسبت أنى ملك جالس حفت به الأملأ والموكب
وما أبالي وإله الورى أشرق العالم أم غربوا

وقال أشعب : استنشدنى ابن سالم بن عبد الله بن عمر غناء الركبان بحضرة أبيه سالم . فأنشدته ، ورأس أبيه سالم فى بت ، فلم ينكر ذلك .

ودفعت عائشة بنت عثمان أشعب فى البزازين فقالت له بعد حول : أتوجهت لشيء ؟ قال : نعم . تعلمت نصف العمل وبقي نصفه . وقالت : وما تعلمت ؟ قال : تعلمت النشر وبقي الطي .

وقال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس . فمرت بالترشين وغيرهم فلم يعطنى أحد شيئاً . فجئت إلى أمى ، فقالت : مالك قد جئت خائباً . فأخبرتها . فقالت : لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقبل ربك . فرجعت فقلت : يارب ، أقلنى . ثم رجعت . فلم أمر بمجلس لتريش وغيرهم إلا أعطونى . ووهب لى غلام ، فجئت إلى أمى بجمار موقر من كل

شيء ، فقالت : ما هذا الغلام ؟ فحفت أن أخبرها بالقصة فتعوت فرحاً ، فقالت : وهبوا لي . قلت : أى شيء ؟ قلت : غين . قالت : أى شيء ؟ قلت : لام . قالت : وأى شيء ؟ قلت : ألف . قالت : وأى شيء ؟ قلت : ميم . قالت : وأى شيء ؟ قلت : غلام . فغشى عليها ولولم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً .

وكان أشعب يقول : سمعت الناس يهجون في أمر عثمان . ثم أدرك المهدي . وكان أشعب أزرق أحول أ كشف أقرع . وكان يقول : كنت أسقى الماء في فتنة عثمان بن عفان .

وأصاب أشعب ديناراً بالمدينة ، فاشترى به تطيفة ، ثم قام على باب المسجد الجامع فقال : من يتعرف الومنة ^(١) ؟

قال الأصمعي : رأيت أشعب يعني وكأن صوته صوت بلبل .

وقال أشعب : قدم علينا قاصٌّ كوفي يتص في رفقة ، وفيها ألف بعير ، فخرجنا وأحرمنا من الشجرة بالتلبية . فأقبل الناس إلى وتركوه .

وتغدى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثي ، فجاءوا بمضيرة . فقال أشعب لخباز : ضعها بين يدي . فوضعها بين يديه . فقال زياد : من يصلي بأهل السجن ؟ قيل : ليس لهم إمام . قال : أدخلوا أشعب يصل بهم . قال أشعب : أو غير ذلك أصلح الله الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قال : أحلف ألا آكل مضيرة أبداً .

(١) ومنذ الثوب ، إذا أخلق .

وأتى أشعب بفالوذجة عند بعض الولاة فأكل منها . فقيل له : كيف تراها يا أشعب ؟ قال : امرأته طالق إن لم تكن عملت قبل أن يوحى الله عز وجل إلى النحل .

وجاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى ، من آل الزبير ، فشكا إليه . فأمر له بصاع من تمر . وكانت حال أشعب رثة ، فقال له أبو بكر بن يحيى : يا أشعب ، في سنك وشبرتك تجبى ، في هذه الحال فتضع نفسك فتعطى مثل هذا ! اذهب فادخل الحمام فاخضب لحيتك . قال : ففعلت ثم جئت . فألبسني ثياب صوف له وقال : اذهب الآن فاطلب . قال : فذهبت إلى هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل أبي ربيعة ، وكان رجلاً شريفاً موسراً ، فشكوت إليه . فأمر لي بعشرين ديناراً . فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد وطقق كلما جلس في حلقة يقول : أبو بكر بن يحيى جزاه الله عنى خيراً أعرف الناس بمسألة ، فعل بي وفعل . فبلغ ذلك أبا بكر فقال : يا عدو نفسه ! فضحتني في الناس ، فكان هذا جزاى .

وكان لأشعب خرق في بابه فينام ويخرج يده من الخرق ويطمع أن يجبىء إنسان فيطرح في يده شيئاً ، من الطمع .

وصلى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان ، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة . فأفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت . فانصرف أشعب من الصلاة . فوهم الناس أنه هو الذى خرجت منه الريح . فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له : الدية . فقال : ماذا ؟ فقال : دية الضرطة التى تحملتها عنك ، والله وإلا شبرتك . فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً .

وكبر أشعب فله الناس وبرد عندهم . ونشأ ابنه فتغنى وبكى وأندر . فاشتهى الناس

ذلك، وأخصب وأجذب أبوه . فدعاه يوما ، وجلس هو وعجوز ، وجاء ابنه وامرأته ، فقال له : بلغني أنك قد تغنيت وأنذرت وأن الناس قد مالوا إليك فهل حتى أخايرك . فتغنى أشعب فإذا هو قد انقطع وأرعد ، وتغنى ابنه فإذا هو حسن الصوت مطرب ، وانكسر أشعب .

وقال أشعب مرة للصبيان : هذا عمرو بن عثمان يقسم مالا ، فمضوا . فلما أبطنوا عنه تبعهم ، يحسب أن الأمر قد صار حقًا كما قال .

وقيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت اثنين يتساران قط إلا كنت أراهما يأمران لي بشيء .

وكان لأشعب أصوات حكيت عنه ، وكان ابنه عبدة يغنيها . فمن أصواته هذه :

أروني من يقوم لكم مقامى إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب
إلى من تفرعون إذا حثوتم بأيديكم على من التراب

وحدث عبد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة قال : سمعت جليلة شديدة مقبلة من البلاط ، وأسرعت فإذا جماعة مقبلة وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً ، وإذا أشعب بين أيديهم بكفه دف وهو يغنى به ويرقص ويقول :

ألا حىّ التى خرجت قبيل الصبح فاختمت
يقال بعينها رمد ولا والله مارمدت

فإذا تجاوز فى الرقص الجماعة رجع إليهم حتى يخالطهم ، ويستقبل المرأة فيغنى فى وجهها وهى تبسم وتقول : حسبك الآن . فسألت عنها فقالوا : هذه جارية

صريم المغنية ، استأحقها صريم عند موته واعترف بأنها بنته ، فلما كملت ورثته إلى السلطان ، فقامت لها البينة ، فألحقها به وأعطها الميراث منه .

و بلغ أشعب أن الناضري قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره ، وأن جماعة قد استطابوه ، فركبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قریش يحادثهم ويضحكهم ، فصار إليه ثم قال له : قد بلغني أنك قد نحوت وشغلت عني من كان يألوني . فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل ، ثم غصن وجهه وعرضه وشنجه ، حتى صار عرضه أكثر من طوله وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها ، ثم أرسل وجهه وقال له : افعل كذا ، وطول وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره وصار كأنه وجه الناظر في سيفه ، ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حذبة كسنام البعير وصار طوله مقدار شبر أو أكثر ، ثم قام فتناول ونمّدت حتى صار أطول ما يكون من الرجل . فضحك القوم حتى أغمى عليهم ، وقطع الناضري فما تكلم بنادرة ولا زاد على أن يقول : يا أبا العلاء ، لا أعاود ما تكره ، إنما أنا تلميذ لك وخريجك . ثم انصرف أشعب وتركه .

وكان مولده في سنة تسع من الهجرة . وكان أطيّب أهل زمانه عشرة وأكثرهم نادرة . وكان أحسن الناس أداً ، لغناء سمعه ، وأقوم دهره بحجج المعترلة ، وكان امراً منهم .

وقال رجل لأشعب : إن سالم بن عبد الله قد مضى إلى بستان فلان ومعه طعام كثير . فبادر حتى لحقه . فأغلق الغلام الباب دونه . ففسور عليه . فصاح سالم : بناتي بناتي ! فناداه أشعب : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد . فأخرج إليه منه ما كفاه

وحدث أشعب قال : جاءني فتية من فريش فقالوا : إنا نحب أن نسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء وتعلمنا ما يقول لك ، وجعلوا لي على ذلك جعلاً . فدخلت على سالم فقلت : يا أبا عمر ، إن لي مجالسة وحرمة ومودة وسناً ، وأنا مولع بالترنم . قال : وما الترنم ؟ قلت : الغناء . قال : في أي وقت ؟ قلت : في الخلوة ومع الإخوان في المنزه ، فأحب أن أسمعك . فإن كرهته أمسكت عنه . وغنيته . فقال : ما أرى بأساً . فخرجت فأعلمتهم . قالوا : وأي شيء غنيته قلت : غنيته :

قرباً مَرَبطُ النعماء مني لقتُ حربُ وائل عن حيالي

فقالوا : هذا بارد ولا حركة فيه ولسنا نرضى . فلما رأيت دفعهم إليّ وخفت ذهاب ما جعلوه لي رجعت فقلت : يا أبا عمر ، آخر . فقال : مالي ولك . فلم أملكه كلامه حتى غنيت . فقال : ما أرى بأساً . فخرجت إليهم فأعلمتهم . فقالوا : وأي شيء غنيته ؟ فقلت : غنيته قوله :

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزّالاً

فقالوا : ليس هذا بشيء . فرجعت إليه فقال : مه . قلت : وآخر . فلم أملكه أمره حتى غنيت قوله :

غَبَضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنُ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِيتُنَا

فقال : نهلاً نهلاً . فقلت : لا والله إلا بذاك السداك :^(١) وفيه تمر عجوة من

(١) السداك : الزبيل الكبير .

صدقة عمر . فقال : هولك . فخرجت به عليهم وأنا أخطر فقالوا : مه ! فقلت :
غنيت الشيخ :

* غَبَضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنْ وَقَلَنَ لِي *

فطرب وفرض لي (١) فأعطاني هذا . وكذبتهم ، والله ما أعطانيه إلا
استكفافاً ، حتى صمت .

وقدم أشعب أيام أبي جعفر ، فأطاف به فتيان بنى هاشم وسألوه أن يغنيهم ،
فغنى . فاذا ألحانه مطربة وحلقه على حاله فقال له جعفر بن المنصور : لمن هذا
الشعر والغناء :

لَمَنْ طَلَلْ بَذَاتِ الْجَدِّ شِ أُمْسَى دَارِسًا خَلَقًا

فقال له : أخذت الغناء عن سعيد ، وهو للدلال . ولقد كنت آخذ اللحن
عن معبد ، فاذا سئل عنه ، قال : عليكم بأشعب فإنه أحسن تأدية له مني .

وقدم جرير المدينة فاجتمع إليه الناس يستنشدونه ويسألونه عن شعره ،
فينشدهم ويأخذون عنه وينصرفون عنه . ولزمه أشعب من بينهم فلم يفارقه . فقال
له جرير : أراك أطولهم جلوساً وأكثرهم سؤالاً ، وإنى لأظنك ألاهم حساباً .
فقال : يا أبا حزره . أنا والله أنفعهم لك . قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنا آخذ
شعرك فأحسنه وأجوده . قال : كيف تحسنه وتجوده ؟ قال : فاندفع فغناه في شعره :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرِّحِيلِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُدْلِ

(١) فرض لي ، أى نقطني . يعنى ما بهبه الناس للغنين ، ويسمونه النقط .

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلتُ ما لم أفعل

قال : فطرب جرير وبكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبته بركبته وقال :
أشهد أنك تحسنة وتجوده . فأعطاه من شعره ما أراد ، ووصله بدنانير وكسوة .

وقيل لأشعب : كيف ترى أهل زمانك هذا ؟ قال : يسألون عن أحاديث
الملوك ويعطون إعطاء العبيد .

وبعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلق امرأته سعدة فقال له : يا أشعب ،
لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تباع رسالتى سعدة . فقال له : أحضر المال
حتى أنظر إليه . فأحضر الوليد بكرة ، فوضعها أشعب على عنقه ثم قال : هات
رسالتك يا أمير المؤمنين . قال : قل لها : يقول لك :

أُسدة هل إليك لنا سبيلٌ وهل حتى القيامة من تلاقٍ

بلى ولعل دهرًا أن يواتى بموتٍ من حليلك أو طلاقٍ

فأصبح شامتًا وتقرَّ عيني ويجمع شملنا بعد افتراقٍ

قال : فاتى أشعب الباب ، فأخبرت بمكانه ، فأمرت ففرشت لها فرش
وجلست فأذنت له . فدخل فأنشدها ما أمره . فقالت لخدمها : خذوا الفاسق .
فقال . يا سيدتى ، إنها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلنك أو تبلفه كما
بلّغتنى . قال : وما تبين لى ؟ قالت : بساطى الذى تحى . قال : قومى عنه .
فقامت فطواه ثم قال : هاتى رسالتك جعلت فداءك . قالت : قل له :

أتبكى على لبنى وأنت تركتها فقد ذهبت لبنى فما أنت صانع

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت . فقال : أوه ! قتلتني والله .
ما تراني صانعاً بك يابن الزانية ، اختر : إما أن أدليك منكماً في بئر ، أو
أرمي بك من فوق القصر منكماً ، أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة . فقال :
ما كنت فاعلاً بشيئاً من ذلك . قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن لتعذب
رأساً فيه عينان قد نظرنا إلى سعدة . فقال : صدقت يابن الزانية . اخرج غني .
وقيل لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما زفت عروس بالمدينة إلى
زوجها قط إلا فتحت بابي رجاء أن تهدي إلي .

وكانت بالمدينة عجوز شديدة العين لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عاتته .
فدخلت على أشعب وهو في الموت وهو يقول لبنته : يا بنية ، إذا مت فلا تندبيني
والناس يسمعونك فتقولين : وأبناه ! أندبك للصوم والصلوات . وأبناه ! أندبك
للفقه والقراءة . فيكذبك الناس ويلعنوني . والتفت أشعب فرأى المرأة فغطى
وجهه بكفه وقال لها : يا فلانة ، بالله إن كنت استحسنيت شيئاً مما أنا فيه فصللي
على النبي صلى الله عليه وسلم لا تهلكيني . فعضبت المرأة وقالت : سخنت عينك ،
في أي شيء أنت مما يستحسن ؟ أنت في آخر رmq . قال : قد علمت ولكن
قلت لئلا تكوني قد استحسنيت خفة الموت على وسهولة النزع فيشتم ما أنا فيه .
وخرجت من عنده وهي تشتمه . وضحك من كان حوله من كلامه ، ثم مات .

بديح المليح

هو مولى عبد الله جعفر . وله صنعة يسيرة . وإنما كان يغني أغاني غيره ،

مثل : سائب خاثر ، ونشيط ، وطويس ، وهذه الطبقة . وقد روى الحديث عن عبد الله بن جعفر .

وكان ابن جعفر يحب أن يسمع عبد الملك غناء بديح ، فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبد الملك ركبته . فقال له ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لي مولى كانت أمه بربرية وكانت ترقى من هذه العلة وقد أخذ ذلك عنها . قال : فادع به فدعى بديح . فجعل يتفل على ركة عبد الملك ويهمهم . ثم قال : قم يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك . فقام عبد الملك لا يجد شيئاً فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، مولاك لا بد له من صلة . قال : حتى يكتب رقيته . ثم أمر جارية له فسكرتبت : بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم . قال : كيف تكون ويلك رقية ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : فهو ذلك . قال : فاكْتُبْهَا عَلَى مَا فِيهَا . فأملى عليها قوله :

ديار سائمي بين عيقة فالهدى سئيت وإن لم تنطق سبل الرعد
ثم قال له ابن جعفر : لو سمعته منه . قال : أو يجيد ؟ قال : نعم . قال : هات . فما برح والله حتى أفرغها في مسامعه .

وكان ممن خرج مع جميلة حين حجت من المغنين مشيعين حتى وافوا مكة ورجعوا معها . وأقبلت جميلة عليه وعلى نافع فقالت : أحب أن تغنياني صوتاً واحداً . فغنيا جميعاً بصوت واحد ولحن واحد :

وما كان بيني ولقيشك سالماً وبين الغنى إلا ليل قلائل

بديح

غلام إسحاق الموصلي

قصده إبراهيم بن المهدي يوما فكتب إليه إسحاق يتعرف خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العقبى ، وكتب إليه : إني سأهدي إليك هدية للفصد حسنة . فوجه إليه بديحاً غلامه فغناه عنه في :

* هزئت أسماء مني وقالت *

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبلنا الهدية ، فإن كان أذن لك في طرحه على الجوارى فافعل . فقال له : بذلك أمرني وقال لي إنك ستقول لي هذا القول ، وقال لي : إن قاله لك فقل له : لو لم أمرك بطرحه لم يكن هدية . فضحك إبراهيم . وألقاه بديح على جواريه .

وحدث بعض أصحاب عمر بن شبة قال : كنا في منزل محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس ، وكان عالماً بالغناء والفقه جميعاً . وقد كان يحيي بن أكرم وصفه للمأمون بالفقه ووصفه أحمد بن يوسف بالعلم والغناء . فقال المأمون : ما أعجب ما اجتمع فيه : العلم بالفقه والغناء ! فكتب إلى إسحاق الموصلي أن يتحول إلينا ، وكان في جوارنا ، وعندنا يومئذ محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ، وذكاء وصغير ، غلاماً أحمد بن يوسف الكاتب . فكتب إلينا إسحاق : جعلت فداكم ، قد أخذت دواء فإذا خرجت منه حملت قدرى وصرت إليكم ، وكتب في أسفل كتابه :

أنا شمايط الذي حدث به متى أنبه للفداء أنتبه

ثم جاءنا ومعه بديح غلامه فتغدينا وشر بنا . فغنى ذكاء غلام أحمد بن يوسف
* أبهار قد هيجت لي أوجاعا *

فسأله إسحاق أن يعيده مرارا . ثم قال له : ممن أخذت هذا ؟ فقال : من
معاذ بن الطيب . قال : والصنعة فيه له . فقال له إسحاق : أحب أن تلقيه
على بديح ففعل

بديح

غلام محمد بن راشد الخناق

قال محمد بن راشد : إني لفي منزلي يوما مع الظهر ، إذ دخل على إسحاق بن
إبراهيم الموصلي ، فسررت بمكانه . فقال : قد جاءت بي إليك حاجة . قال : قلت :
قل ما شاء الله . قال : دعني في بيتك ودع غلاميك عندي : بديحاً وسليمان ، وكانا
خادمين مغنيين ، ومرهما أن يغنياني .

بذل

كانت بذل صفراء مولدة من مولدات المدينة ، وربيت بالبصرة . إحدى

الحجسنت المتقدّمات الموصوفات بكثرة الرواية . يقال إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت . ولها كتاب في الأغاني منسوب الأصوات غير مجنس ، يشتمل على اثني عشر ألف صوت ، يقال إنها عملته لعلّى بن هشام . وكانت حلوة الوجه ظريفة ضاربة متقدمة . وابتاعها جعفر بن موسى الهادي ، فأخذها منه محمد الأمين وأعطاه مالا جزيلًا .

أخذت بذل عن أبي سعيد مولى فائد ودحمان وفليح وابن جامع وإبراهيم وطبقتهم . وقرأت على جحظة عن أبي حشيشة في كتابه الذي جمعه من أخباره وما شاهده .

وبقيت بذل في دار محمد إلى أن قتل ، ثم خرجت . فكان ولد جعفر وولد محمد يدعون ولأهها . فلما ماتت ورثها عبد الله بن محمد بن زبيدة .

وكان محمد وهب لها من الجواهر شيئاً لم يملك أحد مثله ، فسلم لها . فكانت تخرج منه الشيء فتبيعه بالمال العظيم . فكان ذلك معتمداً مع ما يضل إليها من الخلفاء ، إلى أن ماتت وعندها منه بقية عظيمة . ورغب إليها وجوه القواد والكتاب والهاشميين في الزواج ، فأبت وأقامت على حالها حتى ماتت .

قال أبو حشيشة : وكنت عند بذل يوماً وأنا غلام ، وذلك في أيام المأمون ببغداد ، وهي في طارمة لها تمشط . ثم خرجت إلى الباب فرأيت المواقب فظننت أن الخليفة يمر في ذلك الموضع . فرجعت إليها فقلت : الخليفة يمر على بابك . فقالت : انظروا أي شيء هذا . إذ دخل بوابها فقال : على بن هشام بالباب . فقالت : وما أصنع به . فقامت إليها وشيكة جارية ، وكانت ترسلها إلى الخليفة

وغيره في حوائجها ، فأكبت على رجلها وقالت : الله الله ! أتحبين علي بن هشام . فدعت بمنديل فطرحته على رأسها ولم تقم إليه . فقال : إني جئت بك بأمر سيدي أمير المؤمنين ، وذلك أنه سألني عنك فقلت : لم أرها منذ أيام . فقال : هي عليك غضبي ، فبحياتي لا تدخل منزلك حتى تذهب إليها فتسترضيها . فقالت : إن كنت جئت بأمر الخليفة فأنا أقوم . فقامت فقبلت رأسه ويديه ورجليه ، وقعد ساعة وانصرف . فساعة خرج قالت : يا وشيكة : هاتي دواة وقرطاسا . فجعلت تكتب فيه يومها وليلتها حتى كتبت اثني عشر ألف صوت . ثم كتبت إليه : يا علي بن هشام ، تقول : قد استغنيت عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذناها منها ، وقد كتبت هذا وأنا ضجرة ، فكيف لو فرغت لك قلبي كله . وختمت الكتاب وقالت لها : امضي به إليه . فما كان أسرع من أن جاء رسوله خادم أسود بالجواب يقول فيه : لا والله ما قلت الذي بلغك ، ولقد كذب علي عندك . إنما قلت : لا ينبغي أن يكون في الدنيا غناء أكثر من أربعة آلاف صوت . وقد بعثت إلى بديوان لا أؤدي شكرك عليه أبدا . وبعثت إليها بعشرة آلاف درهم ونحوها فيها خبز ووشى وملح .

ولعلی بن هشام يعاتب بذلا :

تغيرت بعدى والزمان مغير	وخست بعهدى والملوك تخيس
وأظهرت لي هجراً وأخفيت بغضة	وقربت وعداً واللسان عبوس
ومما شجاني أنني يوم زرتكم	حجبت وأعوانى لديك جلوس
وفى دون ذا ما يُستدل به الفتى	على العذر من أحبابه ويقيس
كفرت بدين الحب إن طرت بابكم	وتلك يمين ما علمت غموس

فإن ذهبت نفسى عليكم تشوقاً فقد ذهبت للعاشقين نفوس
ولو كان نجمى فى السعود وصلتكم ولكن نجوم العاشقين نحوس
وقالت لى بذل : كنت أروى ثلاثين ألف صوت ، فلما تركت الدرس
أنسيت نصفها . فذكر قولها الزر زور الكبير فقال : كذبت الزانية .

وكان إبراهيم بن المهدي يعظمها ، ثم تغير بعد ذلك استغناء عند نفسه
عنها . فصارت إليه فدعت بعود فغنت فى طريقة واحدة وإيقاع واحد
وإصبع واحدة مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتاً واحداً . ووضعت العود
وانصرفت فلم تدخل داره ، حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها فى الرجوع إليه .
وخالف إسحاق الموصلى بذلاً فى نسبة صوت غنته بحضرة المأمون . فأمسكت
عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات فى الثقيل الثانى واحداً بعد واحد ، وسألت
إسحاق عن صانعها فلم يعرفه . فقالت للمأمون : يا أمير المؤمنين ، هى والله لآبيه ،
أخذتها من فيه ، فإذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره .
فاشدد ذلك على إسحاق حتى رضى فيه .

وغنت بذل يوماً بين يدي إسحاق :

إن ترينى ناكل البدن فلطول الهم والحزن
كان ما أخشى بواحدتى ليته والله لم يكن
فطرب طرباً شديداً .

وكانت مشيم الهاشمية من نحر مجها وتعليمها ، وعلى ما أخذت عنها كانت تعتمد .

وكان سبب موتها أنها كانت ذات يوم دالة عند المأمون فغنته ، وكان حاضراً في ذلك المجلس موسوس يكنى بأبي الكركور من أهل طبرستان يضحك منه المأمون ، فعبثوا به ، فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه فلم يبق أحد حتى هرب حتى المأمون ، وبقيت بذل جالسة والعود في حجرها ، فأخذ العود من يدها وضرب به رأسها فشجها في شايورتها اليمنى . فأنصرفت وحمت وكان سبب موتها .

بذل الكبيرة

لما مات علي بن هشام ومات المأمون أخذ المعتصم جوارى علي بن هشام كلهن فأدخلهن القصر . فلما مات خرجت بذل الكبيرة .

بربر

بربر جارية آل سليمان ، أعنتت . وكان لها جوار مغنيات .

وكان سلمة بن عياش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان ، وجارية تغنيهم وتسقيهم يقال لها بربر ، فقال سلمة :

إلى الله أشكو ما ألاق من القلى لأهلى وما لاقيتُ من حب بربر

على حين ودعت الصبا والصبي وفارقت أخداني وشمرت مئزرى

نأى جعفر عنا وكان مثلها وأنت لنا في التائبات كجعفر
فقال محمد بن سليمان لسامة : خذها هي لك . فاستحيا وارتدع ، وقال :
لا أريدها . فألح عليه في أخذها . فقال : أعتق ما أملك إن أخذتها . فقال له
أبوسفيان : ياسخين العين ، اعتق ما أملك وخذها فهي خير من كل ما أملك .
وفيها يقول سامة بن عياش ، وقيل إنه لمطيع بن إياس :

أظن الحب من وجدى سيقتلنى على بربر
وبربر دُرّة الغوا ص من يملكها يُجبر
فخافى الله يا بربر فقد أفتنت ذا العسكر
بحسن الدّل والشُّكل وريح المسك والعنبر
ووجه يشبه البدر وغنى جوذر أحور

البردان

لقب غلب عليه . من أهل المدينة ، وكان متولى السوق بها . أخذ الغناء
عن معبد جميلة وعزة الميلاء . وكان معدلا مقبول الشهادة .
وكان بردان خفيف الروح ، طيب الحديث ، مليح النادرة ، وقد لقي الناس .
وقدم إليه رجل خصما يدعى عليه حقا ، فوجب الحكم عليه ، فأمر به إلى الحبس .
فقال له الرجل : أنت بغير هذا أعلم منك بهذا . فقال : ردوه ، فرد ، فقال :

لملك تعني الغناء ، إني والله به لعارف ، ولو سمعت شيئاً جاء الباحة لازددت علماً
بأني عارف ، ومهما جهلت فإني بوجوب الحق عليك عالم ، اذهبوا به إلى الحبس
حتى يخرج إلى غريمه من حقه

وقال سباط : رأيت البردان بالمدينة يقول يسوقها وقد أسنّ ، فقالت له : يا عم ،
إني رويت لك صوتاً صنعته وأحببت أن تصححه لي . فضحك ثم قال : نعم يا بني
حبا وكرامة ، لعله :

* كم أتى دون عهد أم جميله * !

فقلت : نعم . قال : مل بنا إلى هاهنا ، فقال بي إلى دار السوق ثم قال : غنّه .
فقلت : بل تم إحسانك يا عم وتغنيني به فإنه أطيب لنفسى ، فإن سمعته كما أقول
غنيتيه وأنا غير متعب ، وإن كان فيه مستصاح استعده . فضحك ثم قال : أنت
لست تريد أن تصحح غناءك ، إنما تريد أن تقول سمعني وأنا شيخ وقد انقطعت
وأنت شاب . فقلت للجماعة : إن رأيتم إن تسألوه أن يشفعني فيم طلبت منه .
فسألوه فاندفع فغناه ، فأعاده ثلاث مرات ، فما رأيت أحسن من غنائه على كبر
سنه وتقصان صوته . ثم قال : غنّه ، فغنيتيه . فطرب الشيخ حتى بكى وقال :
اذهب يا بني فأنت أحسن الناس غناء ، ولئن عشت ليكون لك شأن .

وكان بعد ذلك إذا رأيته يدعوني فيأخذني معه إلى منزله ويسألني أن أغنيه
فأفعل ، فإذا طابت نفسه سأله أن يطرح عليّ شيئاً من أغاني القدماء ، فيفعل .
إلى أن أخذت عنه عدة أصوات

من سبط : رأيت البردان بالمدينة يقول يسوقها وقد أسنّ ، فقالت له : يا عم ،
إني رويت لك صوتاً صنعته وأحببت أن تصححه لي . فضحك ثم قال : نعم يا بني
حبا وكرامة ، لعله :

بصبص

جارية ابن نفيس

كانت بصبص هذه جارية مولدة من مولدات المدينة ، حلوة الوجه حسنة الغناء ، قد أخذت عن الطبقة الأولى من المغنين . وكان يحيى بن نفيس مولاها — وقيل : نفيس بن محمد ، والأول أصح — صاحب قيان يغشاه الأشراف ويسمعون غناء جواريه . وكانت بصبص هذه أنفسهن وأشدهن تقدما ، وكان مولاها صاحب قصر نفيس الذى يقول فيه الشاعر :

شاقنى الزائرات قصر نفيس مُثقلات الأعجاز قُب البطون

وذكر أن المهدي اشتراها ، وهو ولى العهد سرّاً من أبيه ، بسبعة عشر ألف دينار . فولدت منه عليّة بنت المهدي . وذكر أن الذى صح أن المهدي اشترى بهذه الجملة جارية غيرها وولدت عليّة ، وأنها كانت مكنونة جارية المروانية .

واتعد محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ، وعبد الله بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن مصعب الزبيرى ، وأبو بكر بن محمد بن عثمان الربيعى ، ويحيى بن عقبة أن يأتوا بصبص جارية ابن نفيس ، فعجل محمد بن يحيى ، وكان من أصحاب عيسى بن موسى ، ليخرج إلى الكوفة . فقال عبد الله بن مصعب :

أرائح أنت أبا جعفر من قبل أن تسمع من بصبص

هيئات أن تسمع منها إذا جاوزت العيس بك الأعوصا
فخذ عليها مجلسي لذة ومجلساً من قبل أن تشخصا
أحلف بالله يميناً ومن يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعو إلى بيعة بايعتها ثم شقت العصا

وقيل كان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها فيسمع
منها ، وكان يأتيها فتيان قریش فيسمعون منها . فقال عبد الله بن مصعب حين
قدم المنصور منصوراً من الحج ومر بالمدينة يذكر بصبص :

أراحل أنت أبا جعفر من قبل أن تسمع من بصبصا
(الآيات)

فبلغت أبا جعفر ، فغضب فدعا به فقال : أما إنكم يا آل الزبير قديماً
ماقادتكم النساء وشققتم معهن العصا ، حتى صرت أنت آخر الحمقى تبائع المغنيات .
فدونكم يا آل الزبير وهذا المرتع الوخيم . ثم بلغ أبا جعفر بعد ذلك أن عبد الله
بن مصعب قد اصطبح مع بصبص وهي تغنيه بشعره .

واجتمع ذات يوم عند بصبص عبد الله بن مصعب ومحمد بن عيسى الجعفري
في أشراف من أهل المدينة ، فتذاكروا مزيدا المديني صاحب النوادر وبخله .
فقالت : بصبص : أنا آخذ لكم منه درهما . فقال لها مولاها : أنت حرة إن
فعلت إن لم أشتريك بمائة ألف دينار ، وإن لم أشتريك ثوب وشي بما شئت ،
وأجعل لك مجلساً بالعقيق أتحرك فيه بدنة لم تقتب ولم تركب . فقالت : جئ
به وارفع عني الغيرة . فقال : أنت حرة . فقال عبد الله بن مصعب : فصليت
الغداة في مسجد المدينة فإذا أنا به ، فقلت : أبا إسحاق ، أما تحب أن ترى

بصبص ؟ فقال : امرأته الطلاق إن لم يكن الله ساخطاً عليّ فيها ، وإن لم أكن
أسأله أن يرينيها منذ سنة فما يفعل . فقلت له : اليوم إذا صليت العصر فوافقي
هاهنا . قال : امرأته الطلاق إن برحت من هاهنا حتى تجيء صلاة العصر . قال :
فانصرفت في حوائجي حتى كانت العصر ودخلت المسجد فوجدته فيه ، فأخذت
بيده فأتيتهم به . فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا . فأقبلت بصبص على
مزريد فقالت : أبا إسحاق ، كأن في نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة :

لقد حثوا الجمالَ ليه رُبو ما فلم يَبْلُوا

فقال : زوجته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ . قال . فغنته
ثم مكثت ساعة فقالت : أبا إسحاق ، كأن في نفسك تشتهي أن تقوم من مجلسك
فتجلس إلى جانبي فتقرضني قرصات وأغنيك :

قالت وأبثتها وجدى أبحتَ به قد كنتَ قدماً تحت الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها غطّي هوائك وما ألقى على بصرى

فقال : امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسب الأنفس
غداً وبأى أرض تموت : فغنته ثم قالت : برح الخفاء ، أنا أعلم أنك تشتهي أن
تقبلني وأغنيك هزجا :

أنا أبصرت بالليل غلاماً حسن الدّل

كغصن البان قد أصب ح مستقيماً من الطل

فقال : أنت نبيهة مرسله . فقبلها وغنت . ثم قالت : أبا إسحاق ، أرايت

أسقط من هؤلاء ، يدعونك و يخرجونني إليك ولا يشترون ربحاً بدينارهم ! أي
أبا إسحاق ، هلم درهما نشتري به ربحاً . فوثب وصاح : واحر باه ، انقطع والله
عنك الوحي الذي كان يوحى إليك . وعطط القوم بها وعلموا أن حيلتها لم تنفذ
عليه . ثم خرج فلم يعد إليها . وعاود القوم مجلسهم فكان أ كثر شغلهم فيه
حديث مزيد معها والضحك منه .

ولابن أبي الزوائد في بصبص :

بصبص أنت الشمس مزدانة فإن تبدلتِ فأنتِ الهلال

سبحانك اللهم ما هكذا فيما قضى كان يكون الجمال

إذا دعت بالعود في مشهد وعاونت يميني يديها الشمال

غنت غناء يستقرز الفتي حذفوا زان الحنق منها الدلال

ولعزيز بن طلحة يهجو مولاها :

يا ويح بصبص من حرٍ لقد رزقت وجهاً قبيحاً وأنفاً من جعاميس

يمج من فيه في فيها إذا هجعت ريقاً خبيثاً كأرواح الكرايس

وهو محمد بن عيسى الجعفرى بصبص جارية ، فهم بها وطال ذلك عليه ،

فقال لصديق له : لقد شغلتنى هذه عن صفتي وكل أمرى ، وقد وجبت مس

السلو ، فاذهب بنا حتى أ كاشفها بذلك فأستريح . فأتياها . فلما غنت لهما ، قال

لها محمد بن عيسى ، أتعنين :

و كنت أحبكم فسلوت عنكم عليكم في دياركم السلام

فَقَالَتْ : لَا ، وَلَكِنِّي أُغْنِي :

تَحْمِلُ أَهْلَهَا عَنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارٍ مِنْ ذَهَبِ الْعَفَاءِ
فَاسْتَحْيَا وَزَادَ بِهَا كَلْفًا وَلِهَاعِشَقًا . فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : أَتَغْنِينَ :
وَأَخْضَعَ بِالْعَتِي إِذَا كُنْتَ مَذْنِبًا وَإِنْ أَذْنِبْتَ كُنْتُ الَّذِي أَتَنْصَلُ
قَالَتْ : نَعَمْ ، وَأَغْنِي أَحْسَنَ مِنْهُ :

فَانْثَبِلُوا بِالْوَدِّ تَقْبِلُ بِمَثَلِهِ وَنَزَلَكُمْ مِنَّا بِأَقْرَبِ مَنْزِلٍ

وَحَضَرَ أَبُو السَّائِبِ الْخَزْزُومِيُّ مَجْلِسًا فِيهِ بَصِيصٌ فَغَنَتْ :

قَلْبِي حَبِيسٌ عَلَيْكَ مَوْقُوفٌ وَالْعَيْنُ عَبْرَى وَالْذِمَّةُ مَدْرُوفٌ
وَالنَّفْسُ فِي حَسْرَةٍ بَعْضَتَهَا قَدْ شَفَّ أَرْجَاءُهَا التَّسَاوِيفُ
إِنْ كُنْتُ بِالْحَسَنِ قَدْ وَصَفْتُ لَنَا فَإِنِّي بِالْهَوَى لَمَوْصُوفٌ
يَا حَسْرَتِي حَسْرَةُ أَمُوتِ بِهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي لَدَيْكَ مَعْرُوفٌ

فَطَرِبَ أَبُو السَّائِبِ وَقَالَ : لَا أَعْرِفُ اللَّهَ قُدْرَةَ إِنْ لَمْ أَعْرِفْ لَكَ مَعْرُوفَكَ .
ثُمَّ أَخَذَ قَنَاعَهَا عَنْ رَأْسِهَا وَجَعَلَ يَلْطَمُ وَيَبْكِي وَيَقُولُ لَهَا : يَا بَنِي وَاللَّهِ أَنْتِ ، إِنِّي
لَأَرْجُو أَنْ تَكُونِي عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنَ الشَّهَدَاءِ لَمَّا تَوَلَّيْنَاهُ مِنَ السَّرُورِ . وَجَعَلَ
يَصِيحُ : وَاعْثُوهُ بِاللَّهِ لَمَّا يَلْقَى الْعَاشِقُونَ .

وَكَانَ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ ابْنِ نَفِيسٍ فَتَى يُحِبُّ بِصَبْصَ ، فَسَأَلَتْهُ حَاجَةً فَقَامَ لِإِثْمَانِهَا
بِهَا ، فَنَسِيَ أَنْ يَلْبَسَ نَعْلَهُ وَمَشَى حَافِيًا . فَقَالَتْ : يَا فُلَانُ ، نَسِيتَ نَعْلَكَ . فَلَبَسَهَا
وَقَالَ : أَنَا وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

وحبك يُنسيني عن الشيء في يدي ويشغلني عن كل شيء أحاوله

فأجابته فقالت:

وبى مثل ما تشكوه مني وإنتى لأشفق من حُب أراك تزاوله

بليلة

لما حجت جميلة خرجت معها من النساء المغنيات .
وقالت جميلة ، لما حجت ، لقرعة وبليلة ولذة العيش : هاتين . فغنين
فاندفعن بصوت واحد :

لعمرى لئن كان الفؤاد من الهوى بنى سقما إني إذًا لسقيم

على دماء البدن إن كان حُبها على النأى في طول الزمان يريم

تلم مُلمات فيُنسين بعدها ويُذكر منها العهد وهو قديم

فأقسم ما صافيت بعدك خلة ولا لك عندي في الفؤاد قسيم

قالت : أحسنتن ، وهو لعمرى حسن .

بنان

جارية محمد بن حماد

قال الحسن بن وهب لبنان : غنيى :

أتأذنون لصبِّ فى زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمّر السوء إذ طال الجلوس به عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

قال : فضحكت ثم قالت : فأى خير فيه إذ كان كذا ، أو أى معنى ؟ ففجّل
الحسن من بادرتها عليه ، وعجب من كان حاضراً من حدة جوابها وفطنتها .

وجاء عبد الله بن العباس بن الفضلى بن الربيع إلى الحسن بن وهب ، وعنده
بنان جارية محمد بن حماد وهى نائمة سكرى ، وهو يكي عندها . فقال له : مالك ؟
قال : قد كنت نائماً فجاءتنى فأنبهتنى وقالت : اجلس حتى تشرب ، فجلست .
فوالله ما غنّت عشرة أصوات حتى نامت وما شربت إلا قليلاً . فذكرت
قول أشعر الناس وأظرفهم العباس بن الأحنف :

أبكى الذين أذاقونى مودّتهم حتى إذا أيقظونى للهوى رقدوا

فأنا أبكى وأنشد هذا البيت .

وقالت بنان : اتكأ المتوكل على يدي ويد فضل الشاعرة وجعل يمشى

بيننا : ثم قال : أجزأ لى قول الشاعر :

تعلمت أسباب الرضى خوف عتبتها وعلمها حبي لها كيف تغضب

فقلت له فضل :

تصدّ وأدنو بالمودة جاهداً وتباعد عني بالوصال وأقربُ

فقلت أنا :

وعندي لها التي على كل حالة فما من لي بدّ ولا عنه مذهبُ

بنان بن عمرو

التفت المنتصر إلى بنان بن عمرو ، وقال له : غن ، وكان العود في يده :

غدرت ولم أغدر وُخنت ولم أخن ورمت بديلاً بي ولم أتبديل

فغنّاه بنان .

وقال بنان : غنيت يوماً بين يدي المنتصر :

هل تظلمسون من السماء نجومها بأ كفكم أو تسترون هلالها

فقال لي : إياك وأن تغني بحضرتي هذا الصوت وأشباهه ، فما أحب أن

أغني إلا في أشعار آل أبي خفصة خاصة .

وكان المعتر على بستان مملوء من النمام ، وبين النمام شقائق النعمان ، فدخل

عليه يونس بن بغاء وعليه قباء أخضر . فقال المعتر :

شَبَّهَتْ حَمْرَةَ خَدِهِ فِي ثَوْبِهِ بِشَقَائِقِ النِّعَمَانِ فِي النَّعَامِ

ثم قال : أجيئوا . فابتدر بنان ، وكان ربما عبث بالبيت يعد البيت ، فقال :

والقَدْ مِنْهُ إِذَا بَدَأَ فِي قَرْطُقٍ كَالْغَصْنِ فِي لَيْنٍ وَحَسَنِ قَوَامٍ

فقال له المعتز : فغن فيه الآن . فعمل فيه لحنا .

وكان قد ابتدأ مابين سعيد بن حميد وبين فضل الشاعرة أن يتشعب ،

وقد بلغه ميلها إلى بنان ، وهو بين المصدق والمكذب بذلك . فأقبل على

صديق له فقال : أصبحت والله من أمر فضل في غرور ، أخدع نفسي

بتكذيب العيان .

ويويع للمعتز بالخلافة وله سبع عشرة سنة كاملة وأشهر . فلما انقضت

البيعة قال :

توحدك الرحمن بالعز والعلل فأصبحت فوق العالمينا أميرا

قال أبو الفرج : هكذا ذكر الصولي في قافية الشعر . ووجدته في أغاني

بنان مرفوع القافية وله فيه صنعة . ولعل المعتز قال البيت فأضاف بنان إليه آخر

وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتز فقال :

توحدك الرحمن بالعز والعلل فأنت على كل الأنام أمير

تقاتل عنك الترك والخزر كلها كأنهم أسد لمن زئير

وكان المنتصر طرد مروان الأصغر وأخرجه عن جلسائه فقال أبياتا، وسأل

بنان بن عمرو، فغنى فيها المنتصر ليستعطفه .

البيزق الانصارى

كان يعرف حبابة ويدخل عليها بالحجاز . فلما صارت إلى يزيد بن عبد الملك وارتفع أمرها عنده ، خرج إليها يتعرض لمعروفها ويستميحها . فذكرته ليزيد وأخبرته بحسن صوته . فدعاه يزيد ليلة . فدخل عليه وهو على فرش مشرفة قد ذهب فيها إلى قريب من ثدييه ، وإذا حبابة على فرش أخرى مرتفعة وهي دونه . وقالت حبابة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبى ، وأشارت إليه بالجلوس ، فجلس . وقالت له حبابة : اقرأ يا أبة . فقرأ . ثم قالت : إيه يا أبة حدث أمير المؤمنين . وأشارت إليه أن غنه . فاندفع فى صوت ابن سريج :

من لصب مصيد هائم القلب مقصد

فطرب يزيد وحذفه بمدھن فيه فصوص من ياقوت وزبرجد .

ابن جامع

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبى معاعة ابن صبيرة بن سعد بن سهم بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب . ومات صبيرة السهمى وله مائة سنة ولم يظهر فى لحيته ولا رأسه شيب فقال بعض شعراء قریش يرثيه :

حجاج بيت الله إن صبيرة السهمى ماتا

سبقت منيته المشيد ب وكان ميته افتلاتا

فنزوا ولا تهلكوا من دونكم أهلكم خفاتا

وأُسْرُ أُوْدَاعَةَ كَافراً يَوْمَ بَدْرٍ فَفَدَاهُ ابْنُ الْمُطَّلِبِ . وَكَانَ الْمُطَّلِبُ رَجُلًا
صَدُوقًا . وَقَدْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَدِيثَ . هَذَا مِنْ مَعْنَى
وَيَكُنِي ابْنُ جَامِعٍ أَبَا الْقَاسِمِ . وَأُمُّهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ . وَتَزَوَّجَتْ بَعْدَ
أَبِيهِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ . وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ بَدَأَ يَتَحَدَّثُ بِهَا
وَحَدَّثَ عَنْهُ ، صَاحِبُ مَعْنٍ بْنُ زَائِدَةَ قَالَ : رَأَيْتُ أُمَّ ابْنِ جَامِعٍ وَابْنَ جَامِعٍ
مَعَهَا عِنْدَ مَعْنٍ بْنِ زَائِدَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ يَتَّبِعُهَا وَيَطَأُ ذَيْلَهَا ، وَكَانَتْ مِنْ قُرَيْشٍ ،
وَمَعْنٌ يَوْمُئِذٍ عَلَى الْيَمَنِ . فَقَالَتْ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنْ عَمِيَ زَوْجُنِي زَوْجًا لَيْسَ
بِكَفٍّ ، فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَتْ : ابْنُ ذِي مَنَاجِبٍ . قَالَ : عَلَى
بِهِ . قَالَ : فَيَدْخُلُ أَقْبَحَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَأَشْوَهَهُ خَلْقًا . فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ مِنْكَ ؟
قَالَ : امْرَأَتِي . قَالَ : خَلَّ سَبِيلَهَا . فَفَعَلَ . فَأَطْرَقَ مَعْنٌ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ :
لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُحِبِّ . وَلَا أَحْسَنَ فِي عَيْنِهَا ذَا مَنَاجِبٍ .
فَمَا لَمْ يَلَمْهَا لَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ وَعَيْنَاهُ خَوْصَاءُ مِنْ تَحْتِ حَاجِبٍ
وَأَنْفًا كَأَنْفِ الْبَكْرِ يَقْطُرُ دَائِبًا عَلَى لَحْيَةِ عَصَاءٍ شَابَتْ وَشَارِبٍ
أَتَيْتَ بِهَا مِثْلَ الْمَهَابَةِ تَسْوِقُهَا فَيَا حُسْنَ مَجْلُوبٍ وَيَا قُبْحَ جَالِبٍ
وَأَمْرًا لَهَا بِمَائَتِي دِينَارٍ وَقَالَ لَهَا : تَجْهِزِي بِهَا إِلَى بِلَادِكَ .
وَسَأَلَ الرَّشِيدُ ابْنَ جَامِعٍ يَوْمًا عَنْ نَسَبِهِ وَقَالَ لَهُ : أَيُّ بَنِي الْإِنْسِ وَلَدُكَ
يَا إِسْمَاعِيلَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، وَلَكِنْ سَلْ ابْنَ أَخِي ، يَعْنِي إِسْحَاقَ ، وَكَانَ
يَمَاطُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي وَيَمِيلُ إِلَى ابْنِهِ إِسْحَاقَ . قَالَ إِسْحَاقُ : ثُمَّ التَفَتَ إِلَى
ابْنِ جَامِعٍ فَقَالَ : أَخْبِرْهُ يَا ابْنَ أَخِي بِنَسَبِ عَمِّكَ . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : قَبْحَكَ اللَّهُ
شَيْخًا مِنْ قُرَيْشٍ تَجْهَلُ نَسَبَكَ حَتَّى يُخْبِرَكَ بِهِ غَيْرُكَ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ .

وكان ابن جامع من أحفظ خلق الله لكتاب الله ، وأعملهم بما يحتاج إليه .
كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلى الصبح ثم يصف قدميه حتى
تطلع الشمس ، ولا يصلى الناس الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله .
وقدم ابن جامع قدمه له من مكة على الرشيد . وكان ابن جامع حسن السميت
كثير الصلاة قد أخذ السجود جبهته . وكان يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة
ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مريسيّاً في زى أهل الحجاز . فبينما هو واقف
على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن عنده ، فوقف على ما كان يقف الناس عليه
في القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم ... أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل
القلانس . فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه . فوقعت
عينه على ابن جامع ، فرأى سمته وحلاوة هيئته . فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال :
أمتع الله بك ، توسمت فيك الحجازية والقرشية . قال : أصبت . قال : فمن أى
قريش أنت ؟ قال : من بنى سهم . قال : فأى الحرمين منزلك ؟ قال : مكة .
قال : ومن لقيت من فقهاءهم ؟ قال : سل عن شئت . ففأتحه الفقه والحديث
فوجد عنده ما أحب ، فأعجب به . ونظر الناس إليهما فقالوا : هذا القاضي قد
أقبل على المغنى . وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه .
ثم قالوا : لا ، لعله لا يعود إلى مرافقته بعد اليوم فلم نغمه ؟ فلما كان الإذن الثانى
ليحيى ، غدا عليه الناس وغدا عليه أبو يوسف ، فنظر يطلب ابن جامع فراه .
فذهب فوقف إلى جانبه فخاضه طويلاً كما فعل في المرة الأولى . فلما انصرف
قال له بعض أصحابه : أيها القاضي ، أتعرف هذا الذى تواقف وتحادث ؟ قال :
نعم ، رجل من قریش من أهل مكة من الفقهاء . قالوا : هذا ابن جامع المغنى . قال
إنّا لله . قال : إن الناس قد شهروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك . فلما

كان الإذن الثالث ، جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكب به ، وعرف ابن جامع أنه قد أُنذِر به ، فجاء فوقف فسلم عليه . فرد السلام عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه ، فدنا منه ابن جامع ، وعرف الناس القصة . وكان ابن جامع جهوريًّا ، فرفع صوته ثم قال : يا أبا يوسف ، مالك تنحرف عني ؟ أى شيء أنكرت ؟ قالوا لك : ابن جامع المغنى فكرهت موافقتي لذلك ! أسألك عن مسألة ثم اصنع ماشئت . ومال الناس فأقبلوا نحوهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أن أعرابياً جلفاً وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال :

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

أكنت ترى بذلك بأساً ؟ قال : لا . لقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر قولٌ ورُوى في الحديث . قال ابن جامع ، فاذا قلت أنا هكذا . ثم اندفع يتغنى حتى أتى عليه . ثم قال : يا أبا يوسف ، رأيتني زدت فيه أو نقصت منه ؟ قال : عافاك الله ، اعفنا من ذلك . قال : يا أبا يوسف ، أنت صاحب فُتيا ، ما زدته على أن حسنته بألفاظي فحسن في السمع ووصل إلى القلب ، ثم تنحى عنه ابن جامع .

ومر ابن جامع بسفيان بن عيينة يسحب الخبز ، فقال لبعض أصحابه : بلغني أن هذا القرشي أصاب مالا من بعض الخلفاء ، فبأى شيء أصابه ؟ قالوا . بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعض ذلك . فأنشد بعض أصحابه ما يغنى فيه :

وأصحب بالليل أهل الطوافِ وأرفعُ من مئزرى المسبلِ

قال : أحسن ، هيه . قال :

وأسجد بالليل حتى الصباح وأتلو من المحكم المنزل

قال : أحسن ، هيه . قال :

عسى فارجُ الكرب عن يوسف يُسخرُ لي ربة الحمل
قال : أما هذا فدعه .

وقال ابن جامع : لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلاني لتركمت المغنين
لا يا كلون الخبز .

وقال ابن جامع : أخذت من هارون بيتين غنيته بهما عشرة آلاف دينار .
وخرج ابن أبي عمرو والغفاري وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرهما من
القرشين عثمارة يريدون مكة . فلما كانوا بفخ^(١) نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا
فيها . فبينما هم يغتسلون إذ سمعوا صوت غناء . فقالوا : لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا
غناءهم . فأتوهم فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنون وعندهم فضيخ لهم يشربون
منه . فقالوا : تقدموا يا فتيان . فتقدم ابن أبي عمرو فجلس مع القوم ، وكان رأسهم ،
فجلسوا يشربون . وطرب ابن أبي قباحة فغنى . فقال ابن جامع : وأباني وأمي ،
ابن أبي قباحة وإلا فهو ابن الفاعلة . فقام ابن عمرو فأخرج من وسطه هميانا
فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابن أبي قباحة . فقال ابن جامع : امضوا بنا إلى
المنزل . فمضينا فأقمنا عنده شهراً ، مانبرح وننحن على إحرامنا ذلك .

وذكر برصوما الزامر إبراهيم الموصلي وابن جامع فقال : الموصلي بستان تجد
فيه الحلو والحامض وطرياً لم ينضج ، فتأكل منه من ذا وذا . وابن جامع زق غسل
إن فتحت فمه خرج غسل حلو ، وإن خرقت جنبه خرج منه غسل حلو ، وإن
فتحت يده خرج غسل حلو ، كله جيد .

وصاح الرشيد بالمغنين : من فيكم يعرف : رالة . هيه دن سماً : رالة

وكعبة نجران حتم عليه ك حتى تُناخى بأبوابها

فجاء بشيء عجيب . فغضب ابن جامع وقال لزلزل : دع العود ، أنا من جحاش وجرة لأحتاج إلى بيطار . ثم غنى الصوت . فصاح اليه مسرور : أحسنت يا أبا القاسم ، ثلاث مرات .

ولما مات المهدي وملك موسى الهادي أعطى الفضل بن الربيع الطراز ، وكان بريده ، دنانير وقال : الحق بمكة فأتني بابن جامع واحمله في قبة ولا تعلمن بداً أحداً . ففعل وأنزله عنده . فذكره موسى ذات ليلة ، وكان هو والحراني منقطعين إلى موسى أيام المهدي ، فضربهما المهدي وطردهما ، فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع ، وقد علمتم موقعه مني . فقال له الفضل بن الربيع : هو والله عندي يا أمير المؤمنين ، وقد فعلت الذي أردت ، وبعث إليه فأتى به في الليل . فوصل الفضل تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته .

وكان ابن جامع باراً بوالدته ، وكانت مقيمة بالمدينة وبمكة . فدعاه إبراهيم ابن المهدي وأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نعي والدته . فجزع لذلك جزعاً شديداً وجعل أصحابه يعزونه ويؤنسونه . ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طعم وشرب ، وسأله الغناء فامتنع . فقال له إبراهيم بن المهدي : إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين فابذله لإخوانك . فاندفع يغنى :

كم بالدروب وأرض الروم من قدم ومن جماجم صرعى ما هم قُبروا
بقنْدَهَار وَمَنْ تُقَدَّر مَنِيَّتُهُ بقنْدَهَار يرجم دونه الخبر

وجعل إبراهيم يسترده حتى صلح له . ثم قال : لا والله ما كان مما خبرناك شيء ، إنما مرزحنا بك . قال : ثم قال له : رد الصوت . فغناه ، فلم يكن من الغناء الأول في شيء .

وبلغ أم جعفر أن الرشيد جالس وحده ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين ، فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين ، إنى لم أرك منذ ثلاث وهذا اليوم الرابع . فأرسل إليها : عندى ابن جامع . فأرسلت إليه : أنت تعلم أنى لا أتهمنا بشراب ولا بسماع ولا غيرهما إلا أن تشركنى فيه ، فما كان عليك أن أشركك فى الذى أنت فيه . فأرسل إليها . إنى سائر اليك الساعة . ثم قام وأخذ بيد ابن جامع وقال لحسين الخادم : امض إليها فأعلمها أنى قد جئت . وأقبل الرشيد ، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله . فوجه إليها : إن معى ابن جامع . فعدلت إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد ، وصير ابن جامع فى بعض المواضع التى يسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم . وجاءت أم جعفر فدخلت على الرشيد وأهوت على يده . فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها واعتنقته . ثم أمر ابن جامع أن يغنى فاندفع فغنى :

ما رعدت رعدةٌ ولا برقت ولكنها أنشأت لنا خلقه
الماء يجرى على نظام له لو يجد الماء مخرقاً خرقه
بتنا وباتت على تمارقها حتى بدا الصبحُ عينها أرقه
أن قيل إنَّ الرحيل بعد غدٍ والدَّار بعد الجميع مفترقه

فقالت أم جعفر للرشيد : ما أحسن ما انتهيت والله يا أمير المؤمنين . ثم قالت لمسلم خذمها : ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم . فقال الرشيد : غلبتنا يا بنت أبى الفضل ، وسبقتنا إلى بر ضيفنا وجليسنا . فلما خرج حمل إليها مكان كل درهم ديناراً .

وقال ابن جامع : بينما أنا فى غرفة لى باليمن ، وأنا مشرف على مشرعة ، إذ

أقبلت أمة سرداء على ظهرها قربة فلأتمها ووضعتها على المشرعة لتستريح ،
وجلست فغنت :

فرُدِّي مصاب القلب أنت قتلتَه ولا تبعدي فيما تجشمت كلَّما
إلى الله أشكو بُخلها وسماحتي لها غسلُ مني وتبذل علقما
أبي الله أن أمسى ولا تذكريني وعينك من ذكر الك قد ذرفت دما
أبيتُ فما تنفك لي منك حاجةٌ رمى الله بالحلب الذي كان أظلما

ثم أخذت قربتها التمضي . فاستغزني من شهوة الصوت مالا قوام لي به .
فقرلت إليها فقلت لها : أعيديه . فقالت : أنا عنك في شغل بخراجي . قلت : وم
هو ؟ قالت : درهمان في كل يوم . قلت : فهذان درهمان ورُدِّيهِ عليّ حتى آخذ
منك . وأعطيتها درهماين . فقالت : أما الآن فنعم . فجلست فلم تبرح حتى أخذته
منها . وانصرفت فلهوت يومى به . وأصبحت من غدا لا أذكر منه حرفاً . فإذا
أنا بالسوداء قد طلعت ، ففعلت كفعلها بالأمس . قلما وضعت القربة تغنت غيره .
فغدوت في أثرها وقلت : يا جارية ، بحق عليك ردى عليّ الصوت فقد ذهبت
عني منه نعمة . فقالت : لا والله ما مثلك تذهب عنه نعمة ، أنت تقيس أوله
على آخره ، ولكنك قد أنسيته ، ولست أفعل إلا بدرهماين آخرين . فدفعتهما
إليها ، وأعادته عليّ حتى أخذته ثانية . ثم قالت : إنك تستكثر فيه أربعة دراهم
وكأني بك أصبت به أربعة آلاف دينار . فكنت عند هارون يوما وهو على
سريره فقال : من غناني فأطربني فله ألف دينار ، وقدامه أكياس في كل كيس
ألف دينار . فغني القوم وغنيت ، فلم يطرب ، حتى دار الغناء إلى ثانية ، فغنيت
صوت السوداء . فرمى إلى بكيس فيه ألف دينار . ثم قال : أعده . فغنيت . فرمى
إلى بثان . ثم قال : أعده . فرمى إلى بثالث ، وأمسك . فضحكت . فقال :

ما يضحكك؟ فقلت: لهذا الصوت حديث عجيب يا أمير المؤمنين . فقال: وما هو؟
فحدثته به وقصصت عليه القصة ، فرمى إلى برابع وقال : لا تكذب قولها .

جميلة

هي جميلة مولاة بني سليم ، ثم مولاة بطن منهم يقال لهم : بتونيز . وكان لها
زوج من موالي بني الحارث بن الخزرج ، وكانت تنزل فيهم فغلب عليهم عليها
ولاء زوجها ، فقيل إنها مولاة للأنصار تنزل بالسنح^(١) ، وهو الموضع الذي كان
ينزله أبو بكر الصديق . وقيل إنها مولاة للحجاج بن علاط السلمي .

وهي أصل من أصول الغناء ، وعنها أخذ معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة
وعقيلة العتيقية والشماسيتان : خليدة وربيعة . وفيها يقول عبد الرحمن بن أرمطة :

إنّ الدلالَ وحسنَ الغناءِ وسط بيوت بني الخزرج

وتلكم جميلة زينُ النساءِ إذا هي تزدان للمخرج

ماء أسبق إذا جئتُها بذلت ودها بوجهٍ مُنير لها أبلج

وكانت جميلة أعلم خلق الله بالغناء . وكان معبد يقول : أصل الغناء جميلة
وفرعه نحن ، ولولا جميلة لم نكن مغنين .

وسئلت جميلة : أنى لك هذا الغناء ؟ قالت : والله ما هو إلهام ولا تعليم ،

ولكن أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكت أسمعُه يغني ويضرب بالعود فلا
أفهمه . فأخذت تلك النغمات فبنيت عليها غنائى . فجاءت أجود من تأليف ذلك

(١) السنح بالضم : إحدى محال المدينة ، كان بها منزل أبي بكر رضى الله عنه

الغناء ، فعلمت وألقيت . فسمعني مولياتي يوم وأنا أغنى سرّاً ، ففهمني ودخلن عليّ وقلن : قد علمنا ما تكتميننا ، فأقسمن عليّ . فرفعت صوتي وغنيتهن بشعر زهير بن أبي سلمى :

وما ذكرُتك إلا هجت لي طرباً إن الحب بيبعض الأمر معذورُ
ليس الحب كمن إن شطاً غيره هجرُ الحبيب وفي الهجران تغيير

فحينئذ ظهر أمرى وشاع ذكرى . فقصدني الناس وجلست للتعليم . فكان الجوارى يتكادسنني . فربما انصرف أ كثرهن ولم يأخذن شيئاً سوى ما سمعني أطارح لغيرهن . ولقد كسبت لمواليّ ما لم يخطر لهن ببال ، وأهل ذلك كانوا وكنت .

وكانت جميلة من لا يشك في فضيلتها في الغناء . ولم يدّع أحدٌ مقاربتها في ذلك . وكل مدني ومكي يشهد لها بالفضل .

وقال أبو عباد : أتيت جميلة يوماً ، وكان لي موعد ظننت أني سبقت الناس إليها ، فإذا مجلسها غاص . فسألتها أن تعلمني شيئاً . فقالت لي : إن غيرك قد سبقك ولا يجمل تقديمك على من سواك . فقلت : جعلت فداك ، إلى متى تفرغين من سبقي ؟ فبينما نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر ، وإنه لأول يوم رأيته وآخره ، وكنت صغيراً كيساً ، وكانت جميلة شديدة الفرح ، فقامت وقام الناس ، فتلقتهم وقبلت رجله ويديه ، وجلس في صدر المجلس على كوم لها ، وتحوق أصحابه حوله ، وأشارت إلى من عندها بالانصراف . وتفرق الناس ، وغمزني ألا أبرح ، فأقمت . وقالت : ياسيدي وسيد أبائي وموالي ، كيف

نشطت إلى أن تنقل قدميك إلى أمتك ؟ قال : يا جميلة ، قد علمتُ ما آليتِ على نفسك ألا تغنى أحداً إلا في منزلك ، وأحببت الاستماع ، وكان ذلك طريقاً ماداً فسيحاً . قالت : جعلت فداك ، فأنا أصير إليك وأكفر . قال : لا أكلفك ذلك ، وبلغنى أنك تغنين بيتين لأمرى القيس تجيدين الغناء فيهما ، وكان الله أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت : ياسيدى ، نعم . فاندفعت تغنى ، فغنت بعودها . فما سمع منها قبل ذلك ولا بعد إلى أن ماتت مثل ذلك الغناء . فسبح عبد الله بن جعفر والقوم معه ، وهما :

ولما رأت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائصها دامي

تيممت العين التي عند ضارج يضىء عليها الظل عزمها طامى^(١)

وأتى ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمد الأنصارى منزل جميلة ، فاستأذنوا عليها . فأذنت لهم جميعاً . فلما جلسوا سألت عمر وأحفت . فقال لها عمر : إني قصدتك من مكة للسلام عليك . فقالت له : أهل الفضل أنت . قال : فقد أحببت أن تفرغى لنا نفسك اليوم وتخلي لنا مجلسك . قالت : أفعل . قال لها الأحوص : أحب ألا تغنى إلا ما أسألك . قالت : ليس المجلس

(١) أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فأضلوا الطريق ووقعوا على غيرهما ثلاثاً لا يقدرّون على الماء وجعل الرجل منهم يستدرى بقاء السمر والطلع يأساً من الحياة ، إذ أقبل راكب على بئر له ، وأنشد بعض القوم هذين البيتين . فقال الراكب من يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس . قال : ما كذبت ، هذا والله خارج عنكم وأشار لهم إليه . فحبوا على الركب . فإذا ماء عذب وإذا عليه العروش والظل يفيء عليه فشربوا منه وحملوا منه ما اكتفوا به حتى يلقوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وأنشده الشعر .

لك والقوم شركاؤك فيه . قال : أجل . قال عمر : إن ترد أن تفعل ذلك بك
يكن . قال الأحوص : كلا . قال عمر : فإني أرى أن نجعل الخيار إليها . قال
ابن أبي عتيق : وفقك الله . فدعت بالعود وغنت :

تمشى الهوينى إذا مشت فضلاً مشى التزيف المحمور في الصعد
تظل من زوربيت جارتها واضعةً كفها على الكبد

فسمع للبيت زلزله وللدار همهمة . فقال عمر : لله درك يا جميلة ، ماذا أعطيت ،
أنت أول الغناء وآخره . ثم سكنت ساعة وأخذوا في الحديث . ثم أخذت
العود وغنت :

شطت سعاد وأمسى البين قد أفدا وأورثوك سقاماً يصدع الكبد
لا أستطيع لها هجراً ولا برة ولا تزال أحاديثي بها جُدا

فاستخف القوم أجمعين وصفقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحرکوا رؤوسهم
وقالوا : نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه ، ما أحسن ماغنيت وأجل
ما قلت . ثم أحضر الغداء فتغدى القوم ، ثم دعت بأنواع الأشربة ، فشرب
القوم أجمعون ، فغنت صوتاً بشعر لعمر :

ولقد قالت لجاراتها كلمها يلبن في حجرتها
خذن عني الظل لا يتبعني ومضت تسعى إلى قبتها
لم تعانق رجلاً فيما مضى طفلة غيداء في حلتها
لم يطاش قط لها سهم ومن ترمه لا ينج من رميتها
فصاح عمر : ويلاه : ثلاثاً . ثم عمد إلى جيب قميصه فشقه إلى أسفله فصار

قباء . ثم آب إليه عقله فندم واعتذر . وانصرف القوم . ووجه عمر إلى جميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه ، فقبلتها جميلة .

وحجت جميلة فخرج معها من المغنين مشيعين حتى وافوا مكة ورجعوا معها ، من الرجال المشهورين الخذاق بالغناء : هيت وطويس والدلال وبرد الفؤاد ونومة الضحى وفند ورحمة وهبة الله ، هؤلاء مشايخ وكاهن طيب الغناء ، ومعبد ومالك وابن عائشة ونافع بن طنبورة وبديح المليح ونافع الخير . ومن النساء المغنيات : الفرهة عزة الميلاد وحباة وسلامة وخليدة وعتيقة والشامية وقرعة وبليلة ولذة العيش وسعيدة والزرقاء ، ومن غير المغنين : ابن أبي عتيق والأحوص وكثير عزة ونصيب وجماعة من الأشراف وكذلك من النساء ، من مواليها وغيرهم . وقيل فيما قال أهل المدينة : إنهم ما رأوا مثل ذلك الجمع سفراً طيباً وحسناً وملاحة .

ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والغريض وابن محرز والهندليون وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثيرة . ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وجماعة من الأشراف وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم .

فلما قضت حجبها سألتها المكيون أن تجعل لهم مجلساً ، فقالت : للغناء أم للحديث ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلط جداً بهزل . وأبت أن تجلس للغناء .

وقال عمر بن أبي ربيعة : أقسمت على من كان في قلبه حب لاستماع غنائها

إلا خرج معها إلى المدينة فإني خارج . فخرجت في جمع أكثر من جمعها بالمدينة .
فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها وأشرافهم من الرجال والنساء . فدخلت أحسن
مما خرجت به منها .

وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى
جمعها وإلى القصادمين معها . فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ونزل
أهل مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلمين ، وما استنكف من ذلك
كبير ولا صغير . فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء .

جوانويه

قال إبراهيم الموصلي : وصف لي رجل بالآبلة يقال له : جوانويه ، كان حاذفا
فخرجت إليه .

وقال : لما أتيت جوانويه لم أصادفه في منزله ، فانتظرت حتى جاء . فلما رأيته
احتشمني ، وكان مجوسيا . فأخبرته بصناعتي والحال التي قصدته فيها . فرحب
بي وأفرد لي جناحا في داره .

جواهر

جارية بربر
رباعية كان مطيع ابن إلياس يشرب بها وله فيها :
يا بأبي وجهك من بينهم فانه : أحسن ما فيهم

يا بأبى وجهك من رائع يشبهه البدر إذا يزهر
جارية أحسن من حليها والخلى فيه الدرّ والجوهر
وجرمها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر
جاءت بها بربر مكنونةً يا حبذا ما جلبت بربر
كأن ريقها قهوة صُب عليها بارد أسمر

وبيعت جوهر ، فاشتريها امرأة هاشمية من ولد سليمان بن علي ، كانت تغني
بالبصرة وأخرجتها ، فقال مطيع فيها :

لا تبعدي يا جوهر عني وإن شطّ المزار
ويلى لقد بعدت ديا رك سلمت تلك الديار
يشفى يريقها السّمام كأن ريقها العقار
بيضاء واضحة الجبين كأن غرتها تهار
القلب قلبي وهو عند الهاشمية مستعار

وله فيها لما بيعت :

صاح غرابُ البين بالبين فكدتُ أنقذُ بنصفين
قد صار لي خدنين من بعدهم همٌّ وغمٌّ شرٌّ خدنين
أفدى التي لم ألق من بعدها إنساً وكانت قرة العين

وحدث صباح بن خاقان قال : دخلت علينا جوهر المغنية جارية بربر ،
وكانت محسنة جميلة ظريفة ، وعندنا مطيع بن إياس ، وهو يلعب بالشطرنج ، وأقبل
عليها بنظره وحديثه ثم قال :

ولقد قلتُ معلناً لسعيد وجعفر
إن أتنى منيتى فدمى عند بربر
قنلتنى بمنعها من وصال جوهر

واجتمع حماد الراوية ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحكم الوادى يوما
على شراب لهم فى بستان بالكوفة ، وذلك فى زمن الربيع ، ودعوا جوهر المغنية ،
وهى التى يقول فيها مطيع :

أنت يا جوهر عندى جوهره فى قياس الدرر المشتهره

فشربوا تحت كرم معروش حتى سكروا ، فقال مطيع فى ذلك :

خرجنا نمتطى الزهرا ونجعل سقفا الشجرا
ونسربها معتقة نخال بكأسها شررا
وجوهر عندنا تحكى بدارة وجهها القمر
يزيدك وجهها حسنا إذا مازدته نظرا
وجوهر قد رأيناها فلم نرَ مثلها بشرا

فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم .

وجاء يوما مطيع فاحتجبت عنه ، فسأل عن خبرها فعرف أن فتى من أهل
الكوفة يقال له : ابن الصحاف بهواها متخلّ معها ، فقال مطيع بهجوها :

نال والله جوهرَ الصحاف وعليها قيصها الأفواف

وكان حماد عجرد يحبها ويحبنى بها وفيها يقول :

إني لأهوى جوهرا ويُحب قلبي قلبها
وأحب من حبي لها من ودّها وأحبها

وأحب جارية لها تخفى وتكتم ذنبها
وله فيها :

إني أحبك فاعلمي إن لم تكوني تعلمينا
حُبًّا أقلُّ قليله كجميع حُبِّ العالمينا

حبابة

كانت حبابة مولدة من مولدات المدينة ، لرجل من أهلها يعرف بابن رمانة ،
وقيل ابن مينا ، وهو خرجها وأدبها : وقيل بل كانت لآل لاحق المسكين .
وكانت حلوة جميلة الوجه ظريفة حسنة الغناء طيبة الصوت ضاربة بالعود .
وأخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز ومالك ومعبد ، وعن جميلة وعزة الميلاء .
وكانت تسمى العالية ، فسماها يزيد لما اشتراها حبابة .
وأدخلت حبابة على يزيد بن عبد الملك في إزار له ذنبان ويدها دف
ترمى به وتتلقاه وتتغنى :

ما أحسن الجيد من مُلَمِّلة واللبات إذ زانها ترائبها
يا ليتني ليلةً إذا جمع النسا س ونام الكلابُ صاحبها
في ليلة لا يُرى بها أحدٌ يسعى علينا إلا كواكبها

ثم خرج بها مولاهما إلى إفريقية . فلما كان بعد ما ولى يزيد اشتراها .
وقال يزيد بن عبد الملك : ما تقر عيني بما أوتيت من الخلافة حتى أشتري
سلامة جارية مصعب بن سهل الزهري وحبابة . فأرسل فاشترى به . فلما
اجتمعنا عنده قال : أنا الآن كما قال القائل :
رجعنا

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عيناً بالأياب المسافر
وعن شيخ من أهل ذى خُشب^(١) قال : خرجنا نريد ذا خشب ونحن
مشاة ، فإذا قبة فيها جارية وإذا هي تغنى :
سلكوا بطن مخيض^(٢) ثم ولّوا راجعينا^(٣)
أورثوني حين ولّوا طول حزن وأنينا
فخرج رجل معها فسألناه ، وإذا هي حباة . فلما صارت إلى يزيد أخبرته
بنا . فكتب إلى والى المدينة أن يعطى كل واحد منا ألف ألف درهم .
ولما اشتراها وأراد الخروج بها قال الحارث بن خالد فيها :
قد سل جسمى وقد أودى به سقم من أجل حى خلوا عن بلدة الحرم
يحن قلبى إليها حين أذكرها وما تذكرت شوقاً أب من أمم
إلا حينئذٍ إليها أنها رشاً كالشمس رُود ثقال سهلة الشيم
فضّلها الله رب الناس إذ خلقت على النساء من أهل الحزم والكرم
وقال فيها الشعراء فأكثروا ، وغنى فى أشعارهم المغنون من أهل مكة
والمدينة . وبلغ ذلك يزيد فاستشغفه فقال : هذا قبل رحلتنا وقد هممنا ، فكيف
لو ارتحلنا وتذكر القوم شدة الفراق .

ولما ارتفعت منزلة حباة عند يزيد أقبل يوماً إلى البيت الذى هو فيه فقام
من وراء الستر فسمعها ترنم وتغنى وتقول :
كان لى يا يزيد حُبك حيناً كاد يقضى على لما التقينا

(١) ذو خشب : واد على سيرة ليلة من المدينة .
(٢) مخيض : فى طريق البتراء .

فرغ الستر فوجدها مضطجعة مقبلة على الجدار ، فعلم أنها لم تعلم به ولم يكن
ذاك لمكانه . فألقى نفسه عليها وحركت منه .

وأقبل مسلمة على يزيد يلومه في الإلحاح على الغناء والشرب وقال له : إنك
وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله ، وقد تشاغللت بهذه الأمة عن النظر في
الأمور والوفود ببابك ، وأصحاب الظلامات يصيحون وأنت غافل عنهم . فقال :
صدقت والله ، وأعتبه وهم بترك الشرب ، ولم يدخل على حباية أياما . فدست
حباية إلى الأحوص أن يقول أبياتا في ذلك ، وقالت له : إن رددته عن رأيه
فلك ألف دينار . فدخل الأحوص إلى يزيد فاستأذنه في الإلحاش . فأذن له .
فقال الأحوص :

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامي ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
وإني وإن فنت في طلب الغنى لأعلم أني لست في الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلدا
فما العيش إلا ما تلذ وتشهى وإن لام فيه ذو الشنان وفندا (١)

وسكت جمعة لا يرى حباية ولا يدعو بها . فلما كان يوم الجمعة قالت لبعض
جواربها : إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني . فلما أراد الخروج أعلمتها .
فتلقته والعود في يدها . فغنت البيت الأول . فغطى وجهه وقال : مه ، لا تفعل .
ثم غنت :

* وما العيش إلا ما تلذ وتشهى *

فعدل إليها وقال : صدقت والله . فقبح الله من لا مني فيك . يا غلام ،

(١) الشنان ، بالضم : لغة في الشنان ، بمعنى البغض والكراهية .

مرُ مسلمة أن يصلى بالناس . وأقام معها يشرب وتغنيه ، وعاد إلى حبابة .

ولما غلب يزيدُ بن عبد الملك أهله وأبى أن يسمع منهم ، كلوا مولى له خراسانيا ذا قدر عندهم ، وكانت فيه لكمة ، فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عما قد ألح عليه من السماع للغناء والشراب . فقال له يزيد : فإنى أحضرك هذا الأمر الذى تنهى عنه ، فإن نهيتنى بعد ما ثبلوه وتحضره انتهيت ، وإنى مخبر جوارى أنك عم من عمومى ، فأياك أن تتكلم فيعلمن أنى كاذب وأنت لست بعمى . ثم أدخله عليهن فغنين والشيخ يسمع لا يقول شيئاً ، حتى غنين :

وقد كنت آتيكم بعلّة غيركم فأفنيّت علائى فكيف أقول

فطرب الشيخ وقال : لا ، كيف ؟ جعلنى الله فدا كن — يريد : لا ، كيف — فعلمن أنه ليس عمه ، وقن إليه بعيداً من ليضر به بها حتى حجزهن يزيد عنه . ثم قال بعد ما مضى أمرهن : ما تقول الآن : أَدع هذا أم لا ؟ قال : لا تدعه .

وكانت حبابة فائقة فى الجمال والحسن ، وكان يزيد لها عاشقا . فقال لها يوما :

قد استخلفتك على ماورد على ونصبتُ لذلك مولاي فلانا واستخلفنيه لأقيم معك أياما وأستمع بك . قالت : فإنى قد عزلته . فغضب عليها وقال : قد استعملته وتعزليته ! وخرج من عندها مغضبا . فلما ارتفع النهار وطال عليه هجرها دعا خصياً له وقال : انطلق فانظر أى شىء تصنع حبابة . فانطلق الخادم ثم أتاه فقال : رأيتهما بازار قد جعلت له ذنين وهى تلعب بلعبها . فقال : ويحك ! احتل لها حتى تمر بها على . فانطلق الخادم إليها فلاعبها ساعة ثم استلب لعبة من لعبها وخرج ، فجعلت تحضر فى إثره فمرت بيزيد . فوثب وهو يقول : قد عزلته . وهى تقول : قد استعملته . فعزل مولاه وولاه وهو لا يدري . فمكث

معه خالياً أياماً حتى دخل عليه أخوه مسامة فلامه وقال : ضيقت واحتجبت عنهم ، أترى هذا مستقيماً لك ؟ وهى تسمع مقالته . فغنت لما خرج :

* ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا *

فذكرت الأبيات . فطرب وقال : قاتلك الله ! أبيت إلا أن تردىنى إليك . وعاد إلى ما كان عليه .

وكانت سلامة المتقدمة فى الغناء ، وكانت حباة تنظر إليها بتلك العين . فلما حظيت عند يزيد ترفعت عليها . فقالت لها سلامة : ويحك ! أين تأدبك الغناء وحق التعليم ؟ أنسيت قول جميلة لك : خذى أحكام ما أطارحك بها إياه من سلامة ؟ قلن تزالى بخير ما بقيت لك وكان أمرهما مؤتلفاً . قالت : صدقت يا خليلتى ، والله ما أعود إلى شىء تكرهينه . فما عادت إلى مكروه . وماتت حباة وعاشت سلامة بعدها دهرًا .

ورأى يزيد يوماً حباة جالسة فقال : مالك ؟ فقالت : أنتظر سلامة . قال : أتحبين أن أهبها لك ؟ قالت : لا والله . ما أحب أن تهب لى أختى . وكانت حباة إذا غنت وطرب يزيد قال لها : أطير . فتقول له : فإلى من تدع الناس ؟ فيقول : إليك .

وغنت حباة يزيد صوتاً لابن سريج وهو قوله :

ما أحسن الجيد من مليكة والى سلبات زانها ترائبها

فطرب يزيد وقال : هل رأيت أحداً أطرب منى ؟ قالت : نعم ، ابن الطيار معاوية بن عبد الله بن جعفر . فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحاك . فحمل إليه . فلما قدم أرسلت إليه حباة : إنما بعث إليك لكذا وكذا ، وأخبرته ، فإذا دخلت عليه فلا تظهرن طرباً حتى أغنيه الصوت الذى غنيته . فقال :

سواة على كبر سنى . فدعا به يزيد وهو على طنفسة خز ووضع معاوية مثلها . فجاءوا
بجامين فيهما مسك . فوضعت إحداهما بين يدي يزيد والأخرى بين يدي
معاوية . فقال : فلم أدر كيف أصنع . فقلت : أنظر كيف يصنع فأصنع مثله .
فكان يقلبه فيفوح ريحه ، وأفعل مثل ذلك . فدعا بحجابه فغنت . فلما غنت
ذلك الصوت ، أخذ معاوية الوسادة وقام يدور وينادى : الدُّخْنُ بالنوى . يعنى
اللوبياء . قال : فأمر له بصلات عدة كان مبلغها ثمانية آلاف دينار .

ونزل يزيد بن عبد الملك ببית رأس^(١) بالشام ومعه حبابة . فقال : زعموا
أنه لا تصفو لأحد عيشة يوما إلى الليل إلا يكدرها شيء عليه ، وسأجرب ذلك .
ثم قال لمن معه : إذا كان غد فلا تخبرونى بشيء ولا تأتونى بكتاب . وخلا هو
وحبابة ، فأتيا بما يأكلان . فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت . فأقام
لا يدفنها ثلاثا حتى تغيرت وأنتنت وهو يشمها ويرشفها . فعاتبه على ذلك ذوو
قربته وصديقه وعابوا عليه ما يصنع وقالوا : قد صارت جيفة بين يديك . حتى
أذن لهم فى غسلها ودفنها . فأمر فأخرجت فى نطع . وخرج معها لا يتكلم حتى
جلس على قبرها . فلما دفنت قال : أصبحت والله كما قال كثير :

فإن يسهل عنك القلب أو يدع الصبا فبالياس نسلو عنك لا بالتجد
وكل خليل راءنى فهو قائل من أجلك : هذا هامة اليوم أو غد
فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دقن إلى جنبها .

وجزع عليها يوما فقال : انبشوها حتى أنظر إليها . فقيل : تصير حديثا .
فرجع فلم ينبشها .

(١) بيت رأس : اسم لقرتين فى كل واحدة منهما كروم كثيرة ، ينسب إليها الخمر .
أحدهما بيت المقدس والآخر من نواحر حلب . وظاهر أن المراد الثانية

وضم يزيد جويرية لها كانت تخدمها إليه ، فكانت تحبته وتؤنسه ،
فبينما هو يوما يدور في قصره قال لها : هذا الموضع الذي كنا فيه . فتمثلت :
كفى حزنا للهائم الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفري
فبكى حتى كاد يموت . ثم لم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها حباية حتى مات .

حجاج

غلام محمد بن مشفوف

كان فحلا حسن الوجه رومي الغناء .

حسين بن محرز المديني

قال الرشيد لبرصوما الزامر ، وكانت فيه لكنة : ماتقول في حسين بن محرز ؟
قال : ما أحسن خطامه . يريد : ما أحسن خضابه .
وقال إسحاق الموصلي في سليم بن سلام : سليم بن سلام على برد خلقه
أحر عناء من حسين بن محرز .

وقال حسين : دخلت يوما على المأمون في يوم نوبتي وهو ينشد :
فما أقصر اسم الحب يا ويح ذى الحب وأعظم بلواه على العاشق الصب
يمر به لفظُ اللسان مشمراً ويفرق من ساقاه في لجج الكرب
فلما بصر بي قال : تعالى يا حسين . فجئت . فأنشدني البيتين ثم أعادها
على حتى حفظتهما . ثم قال : اصنع فيهما حنأً فإن أجدت سررتك . فخلوت

وصنعت فيهما الحنى المشهور، وعدت فغنيتها إياه . فقال : أحسنت . وشرب عليه بقية يومه . وأمر لي بألف دينار .

ولما قفل الحارث بن بسخر من الأهواز مر بالمداين . فلقيه الحسين ابن محرز فغنائه :

قد علم الله علاعرشه أنى إلى الحارث مشتاق
فقال له : دعنى من شوقك إلىّ وسلنى حاجة فأنى مبادر . فقال له : على دين
مائة ألف درهم . فقال : هى علىّ ، وأمر له بها .

أبو حشيشة الطنبورى

كان الوثائق يعجبه غناء أبى حشيشة الطنبورى . فوجد المسدود من ذلك ، فكان يبلغه عنه ما يكره ويجاوز . وكان المسدود هجاه بيتين ، فكانا معه فى رقعة ، وفى رقعة أخرى حاجة له يريد أن يدفعها إلى الوثائق . فغلط بين الرقعتين ، فناوله رقعة الشعر وهو يرى أنها رقعة الحاجة . فقرأها وفيها :

من المسدود فى الأنف إلى المسدود فى العين

أنا طبل له شق فىا طبلا بشقين

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه . فقال للمسدود : غلطت فى الرقعتين فهات الأخرى وخذ هذه واحترز من مثل ذلك . والله ما زاد على هذا القول ، ولم يكن فى الخلفاء أحد أحلم منه ، ولا أصبر على أذى وخلاف .

وكان أبو حشيشة يعظم عبدة الطنبورية ويعترف لها بالرياسة والأستاذية .

ابن أبي حشيشة الطنبورى

رب وعد منك لا أنساه لى أوجب الشكر وإن لم تفعل
أقطع الدهر بظن حسن وأجلّ غمرة ما تنجلى
كلما أملت يوماً صالحاً عرض المكروه لى فى أملى
وأرى الأيام لا تدنى الذى أرتجى منك وتدنى أجلى
الشعر لمحمد بن أمية . والغناء لابن أبي حشيشة رمل طنبورى .

حكم الوادى أبو يحيى

هو الحكم بن ميمون ، مولى الوليد بن عبد الملك ، وكان أبوه حلاقاً يخلق
رأس الوليد ، فاشتراه فأعتقه ، وقيل هو الحكم بن يحيى بن ميمون . وكان أصله
من الفرس .

وكان حكم طويلاً أحول أجناً يخضب بالحناء ، يكرى الجمال ينقل عليها الزيت
من الشام إلى المدينة . وكان واحد دهره فى الحنق . وكان ينقر بالدف ويغنى
مرتبلاً .

وعمر عمراً طويلاً ، غنى الوليد بن عبد الملك وغنى الرشيد ، ومات فى
الشر من خلافته . وذكر أنه أخذ الغناء من عمر الوادى .

وحدث حماد قال : قال لى أبى : أحنق من رأيت من المغنين أربعة : جدل
وحكم وفليح بن العوراء وسيباط . قلت : وما بلغ عن حنقهم ؟ قال : كانوا
يصنعون فيحسنون ، ويؤدون غناء غيرهم فيحسنون .

قال إسحاق : وقال لى أبى : ما فى هؤلاء الذين تراهم من المغنين أطبع من
حكم وابن جامع .

وقال حكم : أدخلنى عمر الوادى على الوليد بن يزيد ، وهو على حمار وعليه
جبة وشى ورداء وشى وفى يده عقد جوهر وفى كمه شىء لا أدرى ما هو . فقال :
من غسانى ما أشتهى فله ما فى كمى وما على وما تحتى . فغنوه كلهم فلم يطرب .
فقال . غن يا غلام : فغنيت :

إكليلها ألوان ووجهها فتان
وخلاها فريد ليس له جيران
إذا مشت تنقت كأنها ثعبان

فطرب وأخرج ما كان فى كمه ، وإذا كيس فيه ألف دينار ، فرمى به إلى
مع عقد الجوهر . فلما دخل بعث إلى بالحمار وجميع ما كان عليه .

وقال إسحاق : سمعت حكما الوادى يغنى صوتا أعجبني فسألته : لمن هو ؟
فقال : ولمن يكون هذا إلا لى .

وسمع شيخ حكم الوادى يغنى فقال له : أحسنت . فألقى الدف وقال للرجل :
قبحك الله ! ترانى مع المغنين منذ ستين سنة وتقول لى أحسنت !

وزار حكم الوادى الرشيد ، فبرّه ووصله بثلاثمائة ألف درهم وسأله عمن يختار
أن يكتب له بها إليه . فقال : اكتب لى بها إلى ابراهيم بن المهدي ! وكان عاملا له
بالشام . قال ابراهيم : فقدم على حكم بكتاب الرشيد . فدفعته إليه ما كتب به
ووصلته بمثل ماوصله ، إلا أنى نقصت ألفا من الثلاثمائة وقلت له : لا أصلك بمثل
صلة أمير المؤمنين . فأقام عندى ثلاثين يوما أخذت منه فيها ثلاثمائة صوت كل

صوت منها أحب إلى من الثلاثمائة الألف التي وهبتها له .

وسمع حكم بالمدينة قوما يقولون : لو ذهبنا إلى جارية ابن شقران ، فإنها حسنة الغناء . فمضوا إليها وتبعهم حكم وعليه فروة ، فدخلوا ودخل معهم ، وصاحب المنزل يظن أنه منهم وهم يظنون أنه من قبل صاحب المنزل ولا يعرفونه . فغنت الجارية أصواتاً ثم غنت صوتاً ثم صوتاً . فقال لها حكم الوادى : أحسنت والله ! وصاح . فقال رب البيت : يا ماص كذا وكذا من أمه ، وما يدريك ما الغناء ؟ فوثب عليه يتعنفه وأراد ضربه . فقال له حكم : عبدالله ، دخلتُ بسلام وأخرج كما دخلتُ . وقام ليخرج . فقال له رب البيت : لا ، أو أضربك . فقال حكم : على رسلك ، فأنا أعلم بالغناء منك ومنها ، وقال : شدى موضع كذا وأصلحى موضع كذا واندفع يغنى . فقالت الجارية : إنه والله أبو يحيى . فقال رب المنزل : جعلت فداك ، المعذرة إلى الله وإليك ، لم أعرفك . فقام حكم ليخرج . فأبى الرجل . فقال : والله لأخرجن ، فسأعود لكرامتها لا لكرامتك .

ولم يشتهر حكم بالغناء ويذهب له الصوت به حتى صار الأمر إلى بنى العباس ، فانقطع إلى محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين ، وذلك فى خلافة المنصور ، فأعجبه واختاره على المغنين وأعجبته أهزاجه . وكان يقال : إنه من أهزج الناس . ويقال : إنه غنى الأهزاج فى آخر عمره وأن ابنه لأمه على ذلك وقال له : أبعد الكبر تغنى غناء الخنثين . فقال له : اسكت فإنك جاهل ، غنيت الثقيل ستين سنة فلم أنل إلا القوت ، وغنيت الأهزاج منذ سنين فأكسبتك ما لم تر مثله قط . وقال يحيى بن خالد : ما رأينا فيمن يأتينا من المغنين أحداً أجود أداء من حكم ، وليس أحد يسمع منه غناء ثم يغنيه بعد ذلك إلا وهو يغيره ويزيد فيه

وينقص إلا حكماً . فقليل لحكم . فقال : إني لست أشرب وغيرى يشرب ،
فاذا شرب تغير غناؤه .

وكان خبر حكم الوادى يتناهى إلى المنصور ويبلغه ما يصله به بنو سليمان
ابن على ، فيعجب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلا أن حسن شعراً بصوته
وطرب مستمعيه ؟ فإذا يكون وعلام يعطونه هذه العطايا المسرفة ؟ إلى أن جلس
يوماً فى مستشرف له . وقد كان حكم دخل إلى رجل من قواده وهو يراه ، ثم خرج
عشياً وقد حمّله على بغلة له يعرفها المنصور ، وخلع عليه ثياباً يعرفها له . فلما رآه
المنصور قال : من هذا ؟ فقليل : حكم الوادى . فحرك رأسه ملياً ثم قال : الآن
علمت أن هذا يستحق ما يعطاه . فقليل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت
تسخر ما يبلغك منه ؟ قال : لأن فلاناً لا يعطى شيئاً من ماله باطلاً ولا يضعه
إلا فى حقه .

وعارض حكم الوادى المهدى فى الطريق إلى بيت المقدس وأخرج دمه ونقر
فيه وقال : أنا والله يا أمير المؤمنين القائل :

ومتى تخرج العروس فقد طال حبسها

فتسرع إليه الحرس . فقال : دعوه ، وسأل عنه . فأخبر أنه حكم الوادى .
فوصله وأحسن إليه .

وقال حكم : كان الهادى يشتهى من الغناء ما توسط وقل ترجيعه ولم يبلغ
أن يستخف جداً . فأخرج ليلة ثلاث بدر وقال . من أطربنى فهى له . فغناه ابن
جامع وإبراهيم الموصلى والزبير بن دحمان ، فلم يصنعوا شيئاً ، وعرفت ما أراد ،
فغنيته لابن السريج :

غراء كالليلة المباركة الـ سقمراء تهدي أوائل الظلم
أكنى بغير اسمها وقد علم الـ له خفيات كل مكتوم
كأن فاهها إذا تبسم عن طيب مشم وحسن مبتسم
يستن بالضرو من براقش أو هيلان أو يانع من العُتم^(١)
فوتب عن فراشه طربا وقال : أحسنت أحسنت والله . اسقوني . فسقى .
ووثقت بأن البدر لي . فقممت فجلست عليها .

ومات حكم الوادي من قرحة أصابته في صدره . فقال الدارمي فيه قبل وفاته :
إن أبا يحيى اشتكى علة أصبح منها بين عواد
فقلت والقلب به موجع يارب عاف الحكم الوادي
فرب بيض قادة سادة كالنصل سُلّت من اغماد
نادمهم في مجلس لاهيا فأصمت المنشد والشادي

حوراء

غلام حماد الشعراني

كان أحد المغنين المجيدين .

حولاء

جارية ابن جامع

عن محمد بن أحمد النوفلي عن جارية ابن جامع الحولاء قال : وكانت تتبتاني ،

(١) يستن : يستاك . والضرو ، بالكسر : شجرة . ويراقش وهيلان : جبلان أو واديان ،
أو مدينتان هاديتان في اليمن . والغم ، بضم الغين : شجر الزيتون البري .

فتغنت يوما وطربت وقالت : يا بني ، ألا أغنيك هزجا لسيدي في عشيقته له
سوداء ؟ قلت : بلى . فتغنت هزجا ما سمعت أحسن منه ، وهو :

أشبهك المسكُ وأشبهتهِ قائمةً في لونه قاعده
لاشك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحد

وحدثت حواء مولاة ابن جامع قالت : انتبه مولاي يوما من قائلته فقال :
على بهشام ، يعنى ابنه . ادعوه لى عجلاه . فجاء مسرعا . فقال : أى بنى ، خذالعود
فإن رجلا من الجن ألقى على فى قائلتى صوتا أخاف أن أنساه . فأخذ هشام العود
وتغنى عليه رملا ، لم أسمع له رملا أحسن منه وهو :

أُمست رسومٌ بالدار غيرها هوج الرياح الزعازع العُصف
وكل حنّانة لها زجل مثل حنين الروائم الشغف
فأخذه عنه هشام ، فكان بعد ذلك يتغنّاه وينسبه إلى الجن

خالد صامة

كان من أحسن الناس غناء على عود.

قال : بعث إلى الوليد بن يزيد فقدمت عليه . فوجدت عنده معبدا ومالكا
الهنلى وعمر الوادى وأبا كامل . فغنى القوم ونحن فى مجلس ياله من مجلس ،
وغلام للوليد يقال له سبرة يسقى القوم الطلاء . إذ جاءت نوبة الغناء إلى فأخذت
عودى فتغنيت بأبيات قالها عروة بن أذينة يرثى أخاه بكرا :

سرى همى وهمُ الناس يسرى وغار النجمُ إلا قيدَ فتر
أراقب فى المجرة كل نجم تعرض فى المجرة كيف يجرى

بُحزن لا أزال له مُديماً كأن القلب أشعر حرّاً جمر
على بكرٍ أخى ولّى حميداً وأى العيش يحسن بعد بكر
قال خالد : فقال لى الوليد : أعد يا صم . فأعدت . فقال : من يقوله ويحك ؟
قلت : ابن أذينة . قال : هذا والله العيش الذى نحن فيه على رغم أنفه ، لقد
نحجر واسعا .

وقال خالد : كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه :
* أرانى الله يا سلمى حياتى *

وهو يشرب ، حتى سكر ثم قال له : هات العود . فدفعته إليه فغناه أحسن
غناء . فنفست عليه إحسانه ودعوت بطبل فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى
دفع العود ، وأخذ الطبل فجعل يوقع به أحسن إيقاع ، ثم دعا بدف فأخذه ومشى
به وجعل يغنى أهزاجاً لطويس حتى قلت : قد عاش ، ثم جلس وقد انبهر . فقلت :
ياسيدى ، كيف أرى ؟ إنك تأخذ عنا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك . فقال :
اسكت ويلك ، فوالله لئن سمع هذا منك أحد مادمت حياً لأقتلنك . فوالله ما
حكيتنه عنه حتى قتل .

خلوب

جارية لعلى

دخلت إلى الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ومعهما كأسان مملوءتان ،
ومع خادم يقبعا عود ، فغنتهما قائمة :

حيا كما الله خليليا إن ميتا كنت وإن حيا
 إن قلما خيرا فخير لكم أو قلما غيا فلا غيا
 فشر با . ثم دفعت اليهما رقعة فإذا فيها : صنعت يا سيدي أختكما هذا
 اللحن اليوم ، وألقته على الخواري واصطبحت فبعثت كلماته ، وبعثت أحق
 جواري تغنيكما . هئا كما الله وسركا وأطاب عيشكما وعيشي بكما .

خليل بن عمر والمعلم

هو خليل بن عمرو ، مكي . مولى بني عامر بن لؤي . لا يعرف له صنعة غير
 هذا الصوت :

ألا طرقت في الدجى زينب وأحجب بزینب إذ تطرق
 عجبت لزينب أتى سرت وزينب من ظلها تفرق
 وكان خليل المعلم لقبه : خليلان . وكان يؤدب الصبيان ويعلم الجواري
 الغناء في موضع واحد .

وحدث من حضره قال : كنت يوما عنده وهو يردد على صبي يقرأ بين
 يديه : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم » .
 ثم يلتفت إلى صبية يردد عليها :

اعتاد هذا القلب بلباله أن قرأت للبين أجماله
 فضحكت ضحكا مفرطا لما فعله . فالتفت إلى فقال : ويلك ! مالك ؟ فقلت
 ضحكي مما تفعل . والله ما سبقك إلى هذا أحد . ثم قلت : انظرأي شيء أخذت

على الصبي من القرآن وأى شيء تلقى على الصغيرة . والله إنى لأظنك من يشتري
لهو الحديث ليضل عن سبيل الله . فقال : أرجوا ألا أكون كذلك إن شاء الله .

وكان خليلان المعلم أحسن الناس غناء وأفتاهم وأنصفهم . فدخل يوما على
عقبة بن سلم الأزدي العتابي ، فاحتبسه عنده ، فأكل معه ثم شرب . وحانت منه
التفاته فرأى عودا معلقا . فعلم أنه عرض له به . فدعا به وأخذه فغناهم :

يا بنة الأزدي قلبي كئيب مستهام عندها ما ينيب

وحدثت منه التفاته فرأى وجه عقبة بن سلم متغيرا ، وقد ظن أنه عرض
به ، ففطن لما أراد ، فغنى :

ألا هزئت بنا قرش سية يهتز موكبها

فسرى عن عقبة وشرب . فلما فرغ وضع العود من حجره وحلف بالطلاق
ثلاثا إنه لا يغنى بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمه عليه .

خمار

جارية هارون بن عبد الله بن الربيع

كانت قند هارية . اشتراها عبد الله بن الربيع وهى صبية ريش من آل

محي بن معاذ بمائتي ألفي درهم .

قالت : ألقى على إبراهيم الموصلي لحنه في هذين البيتين :

إذا سرها أمر وفيه مساءتي قضيت لها فيما تريد على نفسي

وما مر يوم أرتجى فيه راحة فأذكره إلا بكيت على أمس

فسمعني ابن جامع يوماً وأنا أغنيه فسألني : ممن أخذته ؟ فأخبرته . فقال :
أعيديه . فأعدته مرارا . وما زال ابن جامع يتنعم به معي حتى ظننت أنه قد أخذه .
ثم كان كلما جاء قال لي : يا صبية ، غني ذلك الصوت . فكان صوته عليّ .

خولة

كانت عزة المبلّاء تغني أغاني القبان من القدائم ، مثل خولة .

خويلد

صوت

وأنا الأخضرُ مَنْ يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب
مَنْ يساجلني يُساجلُ ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب^(١)
إنما عبد مناف جوهرُ زينّ الجوهرَ عبدُ المطلب
كل قوم صيغةٌ من تبرهم وبنو عبد مناف من ذهب
فحن قوم قد بنى الله لنا شرفاً فوق بيوتات العرب
بنى الله وابنى عمّه وعبّاس بن عبد المطلب
الشعر للعباس بن الفضل اللّهي . ونحويلد في الرابع والثالث خفيف رمل ،
وفي الخامس والسادس والأول رمل .

(١) الكرب : الحبل يشد في وسط العراق ليلى الماء فلا ينفن الحبل الكبير .

دحمان

عبد الرحمن بن عمرو

دحمان لقب لقب به . واسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مولى بنى ليث بن بكر
ابن عبد مناة بن كنانة . ويكنى أبو عمرو . ويقال له دحمان الأشقر .
كان مع شهرته بالغناء رجلا صالحا كثير الصلاة معدل الشهادة مدمنا للحج .
وكان كثيرا ما يقول : ما رأيت باطلا أشبه بحق من الغناء .

وشهد دحمان عند عبد العزيز بن المطلب بن حنطب ، وهو يلى القضاء ،
لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة فأجازها وعدلها . فقال
له العراقى : إنه دحمان . قال : أعرفه ولو لم أعرفه لسألت عنه . قال : إنه يغنى
ويعلم الجوارى الغناء . قال : غفر الله لنا ولك ، وأينسلا يغنى ؟ اخرج إلى
الرجل عن حقه .

وفى دحمان يقول أعشى بنى سليم :

إذا ما هزَّج الواد	ى أو ثقل دحمان
سمعت الشدوم هذا	ومن هذا يميزان
فهذا سيد الانس	وهذا سيد الجان

وفيه يقول أيضا :

كانوا فحولا فصاروا عند حلبتهم	لما اتبرى لهم دحمان خصيما
فأبلغوه عن الأعشى مقالته	أعشى سليم أبى عمرو سليمانا

قولوا يقول أبو عمرو لصحبته ياليت دحمان قبل الموت غنانا
وكان دحمان من رواة معبد وغلماه المتقدمين . وكان يخضب رأسه
ولحيته بالحناء .

وقال إسحاق : كان أبي لا يضعه بحيث يضعه ويقول : لو كان عبدا
ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم . وأشبهه الناس به في الغناء ابنه عبد الله .
وكان يفضل الزبير ابنه على عبد الله وعلى دحمان .

وقال عبد الله بن دحمان : رجع أبي من عند المهدي وفي حاصله مائة ألف دينار .
وذكر أن المهدي أعطى دحمان في ليلة واحدة خمسين ألف دينار ، وذلك
أنه غنى في شعر الأحوص :

قطوف المشى إذ تمشى ترى في مشيها خرقا

فأعجبه وطرب ، واستخفه السرور حتى قال لدحمان : سلني ماشئت . فقال :
ضيعتان بالمدينة ، يقال لهما ريان وغالب ، فأقطعه إياهما . فلما خرج التوقيع بذلك
إلى أبي عبد الله وعمر بن بزيع راجعا المهدي فيه وقالوا : إن هاتين ضيعتان
لم يملكهما قط إلا خليفة ، وقد استقطعهما ولاية اليهود في أيام بني أمية فلم يقطعهما .
فقال : والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى . فصولح عنهما على خمسين ألف دينار .
ومر دحمان وعليه رداء جيد عدني ، فقال له من حضر : بكم اشتريت هذا
يا أبا عمرو ؟ قال : بـ

* ماضر جيراننا إذا انتجعوا *

وكان دحمان جمالا يكرى إلى المواضع ويتجر ، وكانت له مروءة . فبينما هو
ذات يوم قد أكرى جماله وأخدماله إذ سمع رنة . فقام واتبع الصوت ، فإذا جارية
قد خرجت تبكي . فقال لها : أملوكة أنت ؟ قالت : نعم . فقال : لمن ؟ فقالت :

لامرأة من قريش ، وسمتها له . فقال : أتبيعك ؟ قالت : نعم . ودخلت إلى مولاتها
فقالت : هذا إنسان يشتريني . فقالت : إيدني له . فدخل ، فسامها حتى استقر
أمر الثمن بينهما على مائة دينار ، فنقدها إياها وانصرف بالجارية . قال دحان :
فأقامت عندي مدة أطرح عليها ويطرح عليهما معبد والأبجر ونظراؤهما من المغنين ،
ثم خرجت بها بعد ذلك إلى الشام وقد حذقت ، وكنت لا أزال إذا نزلنا أنزل
الأكرياء ناحية وأنزل معتزلاً بها ناحية في محمل وأطرح على المحمل من أعبية
الجمالين وأجلس أنا وهي تحت ظلها ، فأخرج شيئاً فنأكله ونضع ركوة لنا ، فيها
لنا شراب ، فنشرب ونتغنى حتى نرحل . ولم نزل كذلك حتى قربنا من الشام .
فبينما أنا ذات يوم نازل وأنا ألقى عليها الحنى :

لورد ذو شفق حمام منية لرددت عن عبد العزيز حماما
صلى عليه الله من مستودع جاورت رسماً في القبور وهاماً

فرددته عليها حتى أخذته واندفعت تغنيه . فإذا أنا براكب قد طلع فسلم
علينا . فرددنا عليه السلام . فقال : أتأذنوا لي أن أنزل تحت ظلكم هذا ساعة ؟
قلنا : نعم . فنزل . وعرضت عليه طعامنا وشرابنا ، فأجاب . فقدمنا إليه السفرة
فأكل وشرب معنا . واستعاد الصوت مراراً . ثم قال للجارية : أتعنين لدحان
شيئاً ! قالت : نعم . قال : فغنيني صوتاً من صنعته . فغنت أصواتاً من صنعتي ،
وغمزتها ألا تعرفه أنى دحان . فطرب وامتلاً سروراً وشرب أقداحاً ، والجارية
تغنيه ، حتى قرب وقت الرحيل . فأقبل على وقال ؟ أتبعيني هذه الجارية ؟ فقلت :
نعم . قال : بكم ، قلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار . قال : قد أخذتها بهاء ،
فهل دواة وقرطاساً . فحجته بذلك . فكتب : ادفع إلى حامل كتابي هذا حين
تقرؤه عشرة آلاف دينار واستوص به خيراً ، وأعلمني بمكانه . وختم الكتاب

ودفعه إلى . تم قال : أتدفع الجارية أم تمضي بها معك حتى تقبض مالك ؟ فقلت : بل أدفعها إليك . فحملها وقال . إذا جئت البخراء ^(١) فسل عن فلان وادفع كتابي هذا إليه واقبض منه مالك . ثم انصرف بالجارية . قال : ومضيت . فلما وردت البخراء سألت عن اسم الرجل فدللت عليه ، فإذا دار ملك . فدخلت عليه وودعت إليه الكتاب ، فقبله ووضع على عينيه ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إلى وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين . وقال لي : اجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك . فقلت له : حيث كنت فأنا عبدك وبين يديك . وقد كان أمر لي بأنزال ، وكان بخيلاً فاغتنمت ذلك فارتحلت . وقد كنت أصبت بجملين ، وكانت عدة أجمالى خمسة عشر ، فصارت ثلاثة عشر . قال : وسأل عن الوليد . فلم يدر القهرمان أين يطلبني . فقال له الوليد : عدة جماله خمسة عشر جملاً فارددها إلى . فلم أوجد لأنه لم يكن فى الرفقة من معه خمسة عشر جملاً ، ولم يعرف اسمى فيسأل عنى . قال : وأقامت الجارية عنده شهراً لا يسأل عنها ، ثم دعاها بعد أن استبرئت وأصلح من شأنها . فظل معها يومه حتى إذا كان فى آخر نهاره . قال لها : غنيتى لدحمان . فغنت . وقال لها : زىدينى فزادت . ثم أقبلت عليه . فقالت : يا أمير المؤمنين ، أوما سمعت غناء دحمان منه ؟ قال : لا . قالت : بلى والله . قال : أقول لك : لا ، فتقولين : بلى والله . فقالت : بلى والله لقد سمعته . قال : وما ذاك ويحك ! قالت : إن الرجل الذى اشتريتنى منه هو دحمان . قال : أو ذلك هو ؟ قالت : نعم هو هو . قال : فكيف لم أعلم . قالت : غمزنى بأن لا أعلمك . فأمر فكتب : إلى عامل المدينة بأن يحمل إليه دحمان ، فحمل . فلم يزل عنده أسيراً .

وقال ابن الماجشون : صلينا يوماً الصبح بالمدينة ، فقال قوم : قد سال العقيق

(١) البخراء : ماء على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز .

فخرجنا من المسجد مبادين إلى العقيق فأنتهينا إلى العرصة . فإذا من وراء الوادي
قبالتنا دحان المغنى وابن جنوب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو :
اسكن البدو ما سكنتَ يبدو فإذا ما حضرت طاب الحضور
وإذا أطيب صوت في الدنيا . قال : وكان آخر يكره السماع . فلما سمعه
طرب طرباً شديداً وتحرك . وكان لغناء دحان أشد استحساناً وحركة وارتياحاً .
فقال لى : يا أخى ، اسمع إلى غناء دحان ، والله لسكأنه يسكب الماء على الزيت .

دراج بن عمرو بن أبي السككات

كان يغنى . وليس بمشهور ولا كثير الغناء .

دقاق

كانت دقاق مغنية محسنة جميلة ، قد أخذت عن أ كابر مغنى الدولة العباسية .
وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له أحمد ابنه ، وعمر عمراً طويلاً . ومات يحيى
ابن الربيع فتزوجت ثلاثة من القواد من وجوههم فماتوا جميعاً . فقال عيسى بن
زينب يهجوها :

قلت لما رأيت دار دقاق	حسنها قد أضرت بالعشاق
حذروا الرابع الشقي دقاقا	لا يكون نجمه فى محاق
أله عن بضعها فإت دقاقا	شؤم حرها قد صار فى الآفاق (١)
لم تضاجع بعلاً فهب سليماً	بل جريحاً وجرحه غير راق

(١) البضع ، بالفهم : الجماع ، والفرج أيضاً .

وكانت متقنة الأداء والصنعة ، قد انقطعت إلى حمدونة بنت الرشيد ثم إلى غضيض . وكانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة .

وكانت تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وترى كل واحد منهم أنها تهواه . وكانت أحسن أهل عصرها وجها ، وأشأمهم على من رابطها وتزوجها . فقال فيها أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي :

عدمتك يا صديقة كل خلق أكل الناس ويحك تعشقيننا
فكيف إذا خلطت الغث منهم بلحم سمينهم لا تبشميننا
وخرج يحيى بن الربيع مولى دقاق ، وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد ، إلى بعض النواحي وترك جاريته دقاق في داره . فعملت بعده الأوابد . فقال أبو موسى الأعمى فيه :

قل ليحيى نعم صبرت على المو ت ولم تحش سهم ريب المنون
كيف قل لي أطقت ويحك يا يحيى بي على الضعف منك حمل القرون
ويح يحيى ما مر باست دقاق بعد ما غاب من سياط البظون

الدلال

اسمه نافذ . وكنيته أبو يزيد . وهو مدني . مولى بني فهم . وقيل : مولى عائشة بنت سعيد بن العاص .

ولم يكن في الخنثين أحسن وجها ولا أنظف ثوبا ولا أظرف من الدلال . وهو أحد من خصاه ابن حزم . فلما فعل ذلك به قال : الآن تم الخنث .

ولم يكن أهل المدينة يمدون في الظرفاء وأصحاب النوادر من الخنثين إلا

ثلاثة: طويس والدلال وهنب . فكان هنب أقدمهم ، والدلال أصغرهم ، ولم يكن بعد طويس أظرف من الدلال ولا أكثر ملحا .

وكان نزر الحديث فإذا تكلم أضحك الشكلى : وكان ضاحك السن ، وصنعتة نزرة جيدة . ولم يكن يغنى إلا غناء مضعفا ، يعنى كثير العمل .

وكان أهل المدينة إذا ذكروا الدلال وأحاديثه طولوا رقابهم وغرخوا به . فعلم أن ذلك لفضيلة كانت فيه .

وكان يطلب فلا يقدر عليه ، فكان بديع الغناء صحيحه ، حسن الجرم . وسعى الدلال لشكله وحسن دله وظرفه وحلاوة منطقته وحسن وجهه وإشارته . وكان مشغوقاً بمخالطة النساء ووصفهن للرجال . وكان من أراد خطبة امرأة سألها عنها وعن غيرها ، فلا يزال يصف له النساء واحدة فواحدة حتى ينتهى إلى وصف ما يعجبه . ثم يتوسط بينه وبين من يعجبه منهن حتى يتزوجها . فكان يشاغل كل من جالسه عن الغناء بتلك الأحاديث كراهة منه للغناء .

والسبب الذى من أجله خصى الدلال أنه كان القادم يقدم المدينة فيسأل عن المرأة يتزوجها ، فيدل على الدلال ، فإذا جاءه قال له : صف لى من تعرف من النساء للتزويج . فلا يزال يصف له واحدة بعد واحدة حتى ينتهى إلى ماوافق هواه فيقول : كيف لى بهذه ؟ فيقول : مهرها كذا وكذا . فإذا رضى بذلك أنها الدلال فقال لها : إنى قد أصبت لك رجلا من حاله وقصته وهيئته ويساره ، ولا عهد له بالنساء ، وإنما قدم بلدنا أنفا . فلا يزال يشوقها ويحركها حتى تطيعه . فيأتى الرجل فيعلمه أنه قد أحكم ما أراد . فإذا سوى الأمر وتزوجته المرأة قال لها : إن هذا الرجل إن يدخل عليك دفقت عليه مثل سيل العرم ، فيقدرك ولا

يعاودك وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك . فتقول : فكيف أصنع؟
 فيقول : أنت أعلم بدواء حرك ودائه وما يسكن غلمتك . فتقول : أنت أعرف .
 فيقول : ما أجده له شيئاً أشفى من النيك . فيقول لها : إن لم تخافى الفضيحة فابعثي
 إلى بعض الزنوج حتى يقضى بعض وطرك ويكف عادية حرك . فتقول له : ويلك !
 ولا كل هذا . فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول لها : فكما جاء على أقوم فأخفك
 وأنا والله إلى التخفيف أحوج . فتفرح المرأة فتقول : هذا أمر مستور . حتى إذا
 قضى لذته منها ، قال لها : أما أنت فقد استرحت وأمنت العيب . ثم يجيء إلى
 الزوج فيقول له : قد واعدتها أن تدخل عليك الليلة ، وأنت رجل عزب ونساء
 المدينة خاصة يردن المطاولة ، وكأني بك كما تدخل عليها تفرغ وتقوم ، فتبغضك
 وتمقتك ولا تعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا . فلا يزال في مثل هذا القول حتى
 يعلم أنه قد هاجت شهوته . فيمكنه من نفسه . فكان ذلك دأبه . إلى أن بلغ
 خبره سليمان بن عبد الملك ، وكان غيوراً شديداً الغيرة . فكتب بأن يخصى هو
 وسائر المخنثين .

ومر الغمر بن يزيد بن عبد الملك حاجاً ، فغناه الدلال :
 بانث سعاد وأمسي جبلها انصرما واحتلت الغمر فالأجراع من إضما^(١)
 فقال له الغمر : أحسنت والله وغلبت فيه ابن سريج . فقال له الدلال :
 نعمة الله علىّ فيه أعظم من ذلك . قال : وما هي ؟ قال : السمعة ، لا يسمعه
 أحد إلا علم أنه غناء مخنث حقا .

واختصم شيعي ومرجعي ، فجعل بينهما أول من يطلع . فطلع الدلال .
 فقالا له : أبا يزيد ، أيهما خير : الشيعي أم المرجعي ؟ فقال : لا أدري ، إلا أن
 أعلاي شيعي وأسفلي مرجعي .

(١) الغمر : بر قديمة بمكة . وإضم : ماء بين مكة واليمامة .

وكان الدلال ملازماً لأم سعيد الأسامية و بنت ليحيى بن الحكم بن أبي العاص ،
وكانتا من أبحر النساء ، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى
تبدو خلاخيلهما . فقال معاوية لمرwan بن الحكم : اكفني بنت أخيك . فقال :
افعل . فاستزارها وأمر بيئر فحفرت في طريقها وغطيت بحصير . فلما مشت عليها
سقطت في البئر فكانت قبرها . وطلب الدلال فهرب إلى مكة . فقال له نساء
أهل مكة : قتلت نساء أهل المدينة وجئت لتقتلنا ؟ فقال : والله ما قتلن أحد
إلا الحكاك . فقلن : اعزب أخراك الله ولا أدنى بك . قال : فمن لكن بعدى
يدل على دأكن ويعلم موضع شفاكن . والله ما زنيت قط ولا زنى بي . وإني
لاشتهى ما تشهى نساؤكم ورجالكم .

وعن ابن الماجشون قال : كان أبي يعجبه الدلال ويستحسن غناؤه ويدنيه
ويقربه ، ولم أره أنا ، فسمعت أبي يقول : غناني الدلال يوماً بشعر مجنون بنى عامر :
فلقد خفت الفتنة على نفسى . فقلت : يا أبت ، وأى شعر تغنى ؟ قال : قوله :

عسى الله أن يُجرى المودة بيننا ويوصل حبلاً منكم بجالنا
فكم من خليلي جفوة قد تقاطعا على الدهر لما أن أطالا التلاقيا
وإني لفي كرب وأنت خلية لقد فارقت في الوصف حالك حاليا
عتبت فما أعتبتني بمودة ورمت فما أسعفتني بسؤاليا

وصلى الدلال يوماً خلف الإمام بمكة فقراً : « ومالى لا أعبد الذي فطرني
وإليه ترجعون » . فقال الدلال : لا أدري والله . فضحك أكثر الناس وقطعوا
الصلاة . فلما قضى الوالى صلاته دعا به وقال له : ويلك ، لاتدع هذا المجون والسفه .
فقال له : قد كان عندي أنك تعبد الله فلما سمعتك تستفهم ظننت أنك قد

تشككت في ربك فثبتك . فقال : أنا أشك في ربي وأنت تثبتني ؟ اذهب لعنك الله ولا تعاود فابالغ والله في عقوبتك .

وخرج الدلال يوماً مع فتية من قریش في نزهة لهم ، وكان معهم غلام جميل الوجه فأعجبه . وعلم القوم بذلك فقالوا : قد ظفرنا به بقية يومنا . وكان لا يصير في مجلس حتى ينقضى وينصرف عنه استئقالاتاً لمحادثة الرجال ومحبة في محادثة النساء . فغمزوا الغلام عليه وفطن لذلك ، فغضب وقام لينصرف ، فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً . فجلس . وكان معهم شراب فشربوا وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح ، ثم سألوه أن يغنيهم . فغناهم :

زبيرية بالعرج منها منازل وبالخيف من أدنى منازلها رسم ^(١)
أسائل عنها كل ركب لقيته ومالي بها من بعد مكنتنا علم
أيأصاحب الخيمات من بطن أرثد إلى النخل من ودآن ما فعلت نعم ^(٢)
فإن تك حرب بين قومي وقومها فإني لها في كل نائرة سلم
فاستطير القوم فرحاً وسروراً وعلا نعيمهم . فنذر بهم السلطان وتعدت الأشراف . فأحسوا بالطلب فهربوا . وبقي الغلام والدلال ما يطيقان براحاً من السكر . فأخذوا فأتى بهما أمير المدينة . فقال للدلال : يا فاسق ، فقال له : من فمك إلى السماء . قال : جئوا فكه . قال : وعنقه أيضاً . قال : يا عدو الله ، أما وسعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام إلى الصحراء ^(٣) .

(١) العرج : من نواحي الطائف . والخيف : بطحاء مكة .
(٢) أرثد : واد بين مكة والمدينة . وودان : ثلاثة مواضع ، أحدها بين مكة والمدينة .
(٣) للحديث بقية فيها فحش وتصريح ، آثرنا الوقوف عنه . وقد ورد للدلال أخبار على هذا النحو تركناها . وحسبنا عنها إشارة أو واحدة . فهذا ما يفني قليله عن كثيره في نعر الرجل وما عليه . والامور تقاس على أشباهها . ثم قد يكون الحديث عن هؤلاء مصنوع على حدو غيره . يؤيد هذا أنك تجد الخير وعلى شاكلته أخبار . وكلها لا تخرج عن أن الرجل ما جن لا يتقى ولا يتستر .

وقال معبد : ماذا كرت غناء الدلال في هذا الشجر :

* زبيرية بالعرج منها منازل *

إلا جدد لي سروراً ، ولوددت أنى كنت سبقته إليه لحسنه عندي . قال
يونس : فقلت له : ما بلغ من حسنه عندك ؟ قال : يكفيك أنى لم أسمع أحسن
منه قط .

وكان بالمدينة عرس فاتفق فيه الدلال وطويس والوليد الخنث . فدخل عبد
الرحمن بن حسان . فلما رآهم قال : ما كنت لأجلس في مجلس فيه هؤلاء . فقال
طويس : قد علمت يا عبد الرحمن نكايتي فيك وأن جرحى إياك لم يندمل ، يعني
خبره معه بحضرة عبدالله بن جعفر وذكره لعمته الفارعة ، فاربح نفسك وأقبل على
شأنك ، فإنه لا قيام لك بمن يفهمك فهمي . وقال لي الدلال : يا أخا الأنصار ، إن
أبا عبد النعيم أعلم بك مني ، وما علمك بعض ما أعلم به . ثم اندفع وتقر بالدف ،
وكلهم ينتر بدفه معه ، فتغنى :

أتهجر يا إنسان من أنت عاشقه ومن أنت مشتاقٌ إليه ووامقه
ورم أحمّ المقلتين موشح زراييه مبشوة ونمارقه
ترى الرقم والديباج في بيته معاً كما زينّ الروض الأنيق حدائقه
وسرب طباء ترتعي جانب الحمى إلى الجوّ فالجنين بيضٌ عقائقه^(١)
وما من حمى في الناس إلا لنا حمى وإلا لنا غريبه ومشارقه

فاستضحك عبد الرحمن وقال : اللهم غفرا ، وجلس .

(١) الجو والجنان : بالجمامة .

وكان سليمان بن عبد الملك قد رق للدلال حين خصى غلطاً^(١) فوجه إليه مولى وقال له : جئني به سرا . وكانت تبلغه نوادره وطيبه . وحذر رسوله أن يعلم بذلك أحد . فنفذ المولى إليه وأعلمه ما أمر به ، وأمره بالسكتان وحذره أن يقف على مقصده أحد . ففعل وخرج به إلى الشام . فلما قدم أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه . فدعاه ليلاً . فقال : ويلك ! ما خبرك ؟ فقال : جبت من القبل مرة أخرى يا أمير المؤمنين ، فهل تريد أن تجبني المرة من الدبر ؟ فضحك وقال : اعزب أخزأك الله . ثم قال له : غن فقال : لا أحسن إلا بالدف . فأمر فأتى له بدف . فغنى في شعر العرجى :

أفى رسم دار دمعك المتحدّر	سفاهاً وما استنطاق ما ليس يُخبر
تغير ذاك الربع من بعد جدة	وكل جديد مرة متغير
لأسماء إذ قلبي بأسماء مغرم	وما ذكر أسماء الجميلة مهجر
ومشى ثلاث بعد هدء كواعب	كمثل الدمى بل هن من ذاك أنضر
فسلمن تسليماً خفياً وسقطت	مصاعبة ^(٢) ظلع من السير حُسْر ^(٣)
لها أرج من زاهر البقل والثرى	ويُرد إذا ما باشر الجلد ينحصر
فقلت لتزييها الغداة تبقينا	بعين ^(٣) ولا تستبعدا حين أبصر
ولا تطهرا برديكما وعليكما	كساءان من خز بنقش وأخضر
فعدنى فما هذا العتاب بنافع	هواى ولا مرجى الهوى حين يتنصر

(١) يقال إن سليمان كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى ، وكان حامله على المدينة : ان أخص من قبلك من الخنثين المغنين . فزعم موسى بن جعفر بن أبي كثير قال : أخبرني بعض الكتاب قال : قرأت كتاب سليمان في الديوان فرأيت عل الحاء نقطة كتمرمة المعجوة . قال : ومن لا يعلم يقول : إله صحف القارىء . فتدبرهم ابن حزم فخص معهم تسعة منهم الدلال .

(٢) مصاعبة : جمع مصعب ، وهو الفحل الذى تركبته فلم تركبه ولم يمسسه جبل حتى صار صعباً .

(٣) تبقيا بين ، أى انتظرا بمرأى منى .

فقال له سليمان : حق لك يا دلال أن يقال لك : الدلال . أحسنت وأجملت ، فوالله ما أدرى أى أمر يك أعجب : أسرعة جوابك وجودة فهمك ، أم حسن غنائك ؟ بل جميعا عجب . وأمر له بصلة سنوية . فأقام عنده شهرا يشرب على غنائه ثم سرحه إلى الحجاز .

وحج هشام بن عبد الملك . فلما قدم المدينة نزل رجل من أشرف أهل الشام وقوادهم تحت دار الدلال . فكان الشامي يسمع غناء الدلال ويصغى إليه ويصعد فوق الصوت ليقرب من الصوت . ثم بعث إلى الدلال : إما أن تزورنا وإما أن نزورك . فبعث إليه الدلال : بل نزورنا . فتهيا الشامي ومضى إليه . وكان للشامي غلمان روقة . فمضى معه بعلامين منهم كأنهما درتان . فغناه الدلال :

قد كنت آمل فيكم أملا والمرء ليس بمدرك أمله
حتى بدا لي منكم خلف فزجرت قلبي عن هووى جهله
ليس الفتى بمخلد أبدا حقا وليس بفائت أجهله
حى العمود ومن بعقوته (١) وقفًا للعمود وإن جلا أهله (٢)

فاستحسن الشامي غناؤه وقال له : زدنى . فقال : أو ما يكفئك ما سمعت ؟ قال : لا والله ما يكفينى . قال : فإن لى إليك حاجة . قال : وما هى ؟ قال : تبيغنى أحد هذين الغلامين أو كليهما . قال : اختر أيهما شئت . فأختار أحدهما . فقال الشامي : هو لك . فقبله الدلال ثم غناه :

دعنى دواع من أريا فهيئت هووى كان قديما من فؤاد طروب
لعل زمانا قد مضى أن يعود لى فتغفر أروى عند ذاك ذنوبى

(١) العمود : هضمية طويلة عندها ماء ابني جعفر . والعقوة : الساحة .

(٢) فى البيت إقواء .

سبتنى أريا يوم نف محسر بوجه جميل للقلوب سلوب^(١)
 وجاء الدلال يوما إلى منزل نائلة بنت عمار السكبي ، وكانت عند معاوية
 فطلتها ، ففرع الباب فلم يفتح له . فغنى في شعر مجنون بنى عامر ونقر بدفه عليه :
 خليلي لا والله ما أملك البكا إذا علم من أرض ألى بداليا
 خليلي إن بانوا بليلي فهيئا لي النعش والأكفان واسنغفريا
 فخرج حشمها فزجروه وقالوا : تنح عن الباب ، وسمعت الجلبة ، فقالت :
 ما هذه الضجة بالباب ؟ فقالوا : الدلال . فقالت : إيدنوا له . فلما دخل عليها شق
 ثيابه وطرح التراب على رأسه وصاح بويله وحر به . فقالت له : الويل ويلك ،
 ما دهاك وما أمرك ؟ قال : ضربني حشمك . قالت : ولم ؟ قال : غنيت صوتا
 أريد أن أسمعك إياه لأدخل إليك . فقالت : أف لهم . نحن نبليغ لك ما تحب
 ونحسن تأديهم . يا جارية ، هاتي ثيابا مقطوعة . فلما طرحت عليه جلس .
 فقالت : ما حاجتك قال : لا أسألك حاجة حتى أغنيك . قالت : فذاك إليك
 فاندفع يغنى شعر جميل :

إرحميني فقد بليت فحسي بعضُ ذا يا بُثينة حسبي
 لامني فيك يا بُثينة صبحي لا تلوموا قد أفرح الحب قلبي
 زعم الناس أن دأى طبي أنت والله يا بُثينة طبي
 ثم جلس . فقال : هل من طعام ؟ قالت : على المائدة . فأتى بها كأنها كانت
 مهياة عليها أنواع الأطعمة . فأكل ثم قال : هل من شراب ؟ قالت أما نبذ فلا
 ولكن غيره . فأتى بأنواع الأشربة . فشرب من جميعها ، ثم قال : هل من فاكهة ؟
 فأتى بأنواع الفاكهة فتفكه . ثم قال : حاجتي خمسة آلاف درهم وخمس حلل من
 حلل معاوية وخمس حلل من حلل حبيب بن مسامة وخمس حلل من حلل النعمان

(١) النمف : المرتفع من الأرض . ومحسر ، بكسر السين : بين مكة وعرفة .

ابن بشير^(١) . فقالت : وما أردت بهذا . قال : هو ذاك والله ، ما أرضى ببعض دون بعض . فأما الحاجة وإما الرد . فدعت له بما سأل ، فقبضه وقام ، فلما توسط الدار غنى ونقر بدقة :

ليت شعري أجفوة أم دلال أم عدو أنى بُئينة بعدى
فمريني أطلعك فى كل أمر أنت والله أوجه الناس عندى

ولما أراد عبد الله بن جعفر إهداء بنته إلى الحجاج ، ابن أبى عتيق عنده فجاءه الدلال متعرضاً فاستأذن : فقال له ابن جعفر : لقد جئتنا يا دلال فى وقت حاجتنا إليك . قال : ذلك قصدت . فقال له ابن أبى عتيق ، غنا . فقال ابن جعفر : ليس وقت ذلك ، نحن فى شغل عن هذا . فقال ابن أبى عتيق : ورب الكعبة ليغنين . فقال له ابن جعفر : هات . فغنى وتقر بالدف والهواذج والرواحل قد هيئت وحيرت ثب ابن جعفر فيها مع جواربها والمشيعين لها :

يا صاح لو كنت عالماً خبراً بما يلاقى الحب لم تلمه
لا ذنب لى فى مقرط حسن أعجبنى دله ومبتسمه^(٢)
شيمته البخل والبعاد لنا يا حبذا هو وحبذا شيمه
مُضْمَخ بالعير عارضه طوبى لمن شمه ومن كئمه^(٣)

فطرب ابن جعفر وابن أبى عتيق وقال له ابن جعفر : زدنى . فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنى :

(١) كانت نائلة عند معاوية ، فقال لفاخنة بنت قرظة ؟ إذ بهى فانظرى إليها . فذهبت فنظرت إليها فقالت له : ما رأيت مثلاً ، ولكنى رأيت تحت سرتها حالا ليوضعن منها رأس زوجها فى حجرها . فطلقها معاوية . فتروجها بعده رجلاً : حبيب بن ملة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما فوضع رأسه فى حجرها .

(٢) المقرط : لابس القرط . (٣) لئمه ، أصل ميمة الفتح فنقلت إليها ضمة الهاء بعدها على لغة لحم لأنهم يحيزون فى الوقف نقل حركة الجزء الاخير إلى المتحرك قبله .

بكر العواذل في الصبا ح يلعنني وألومنه
 ومضت بنت ابن جعفر ، فاتبعها يغنيها بهذا الشعر :
 إنا خلط أجد فاحتملا وأراد غيظك بالذي فعلا
 وإذا البغال تُشد صافنة وإذا الحداة قد ازعموا الرحلا
 فهناك كاد الشوق يقتلني لو أن شوقا قبله قتلا
 فدمعت عينا عبد الله بن جعفر ، وقال للدلال : حسبك . فقد أوجعت قلبي .
 وكان الدلال لا يشرب النبيذ . فخرج مع قوم إلى منزله لهم ومعهم نبيذ ،
 فشربوا ولم يشرب منه ، وسقوه عسلا مجدوحا . وكان كلما تغافل صيروا في شرابه
 النبيذ فلا ينكره ، وكثر ذلك حتى سكر وطرب ، وقال : استقوني من شرابكم .
 فسقوه حتى نمل وغناهم في شعر الأحوص :
 طاف الخيال وطاف الهم فاعتكرا عند الفراش فبات الهم محتضرا
 فاستحسن القوم وطربوا وشربوا ثم غناهم :
 طربت وهاجك من تذكر ومن لست من حبه تعتذر
 وسكر حتى خلع ثيابه ونام عريانا . فغطاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله
 ليلا ، فنوموه وانصرفوا عنه . فأصبح فأنكر نفسه وحلف أن ألا يغنى أبدا ولا
 يعاشر من يشرب النبيذ . فوفى بذلك إلى أن مات .
 وكان يجالس المشيخة والأشراف فيفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم
 حتى قضى نحبه .

دمن

جارية إسحاق الموصلي

كانت من كبار جوارى إسحاق وأحظى من عنده .

حدث محمد بن موسى اليزيدي قال : لقيتها فقلت لها : أى شىء أخذت عن مولاك من الغناء ؟ فقالت : لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدة من جواريه صوتاً قط ، كان أبخل بذلك . وما أخذت منه قط إلا صوتاً واحداً ، وذلك أنه انصرف إلى دار الخليفة وهو مشخن سكران ، فدخل إلى بيت كان ينام فيه ، فرأى عوداً معلقاً فأخذه بيده وقال لخادمه : يا غلام ، صح لى بدمن ، فجاءنى الغلام فخرجت . فلما بلغت الباب إذا هو مستلق على فراشه والعود فى يده وهو يصنع هذا الصوت ويردده ، وقد استحفز فى نغمة وتنوق فيها حتى استقام له ، وهو :

ألا ليلى لا يذهب ونيط الطرف بالكوكب

وهذا الصبح لا يأتى ولا يدنو ولا يقرب

فلما سمعته علمت أنى إن دخلت عليه أمسك ، فوقفت أستمعه حتى فرغ منه وأخذته عنه ، فلما فرغ منه وضع العود من يده وذكر أنه طلبنى ، فقال : يا غلام ، أين دمن ؟ فقلت : هأنذا . فقال : مذ كم وأنت واقفة ؟ فقلت : منذ ابتدأت بالصوت وقد أخذته . فنظر إلى نظر مغضب آسف . ثم قال : غنيه . فغنته حتى استوفته . فقال لها بتوقر وخجل : قد بقيت فيه عليك بقية أنا أصلحها لك . فقلت : لست أحتاج إلى إصلاحك إياه . وقد والله أخذته على رغمك . فضحك .

دنانير

جارية ابن كناسة

أخبر على بن هشام قال : كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير ، وكان له صديق يكنى الشعناء ، وكان عفيفاً مزاحاً ، فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرض لها بأنه يهواها ، فقالت فيه :
لأبى الشعناء حب باطن ليس فيه نهضة للمتهم

يا فؤادى فازدجر عنه ويا عبث الحُب به فاقعد وقم
زارنى منه كلام صائب ووسيلاتُ المُحبين السَّكَم
صلُّ إن أحببت أن تُعطى ن المنى يا أبا الشعشاء لله وضم
ثم ميعادك يوم الحشر فى جنة الخلد إن الله رَحِم
حيث ألقاك غلاماً ناشئاً يافعاً قد كملت فيه النعم

وحدث محمد بن على بن عثمان عن أبيه قال : كنت يوماً عند ابن كناسة فقال
لنا : أعرّفكم شيئاً من فهم دنانير ؟ يعنى جاريته . قلنا : نعم . فكتب إليها :
إنك أمة ضعيفة لكعاء ، فإذا جاءك كتابى هذا فعجلى بجوابى والسلام .. فكتبت
إليه : ساءنى تهجينك إياى ، وإن من أعيى العى . الجواب عملاً لجواب له . والسلام
وحدث على بن عثمان قال : جئت يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده ،
ووجدت جاريته دنانير جالسة . فقالت لى : مالى أراك محزوناً يا أبا الحسين ؟
فقلت : رجعت من دفن أخ لى من قریش . فسكتت ساعة ثم قالت :
بكيت على أخ لك من قریش فأبكانا بكأؤك يا على
فمات وما خبرناه ولكن طهارة صحبه الخبر الجلى
وماتت دنانير فقال ابن كناسة يرثيها :

الحمد لله لا شريك له ياليت ما كان منك لم يكن
إن يكن القول قُلْ فيك فما أفحمنى غيرُ شدة الحزن

دنانير

مولاة يحيى البرمكى

كانت دنانير مولاة يحيى بن خالد البرمكى . وكانت صفراء مولدة ، من أحسن الناس وجها ، وأظرفهن وأكملهن ، وأحسنهن أدباء ، وأكثرهن رواية للغناء والشعر . ولها كتاب مجرد فى الأغاني مشهور . وكان اعتمادها فى غنائها على ما أخذته من بndl ، وهى خرجتها ، وقد أخذت أيضاً عن الأكابر الذين أخذت بndl عنهم ، مثل : فليح وإبراهيم وابن جامع وإسحاق ونظرانهم .

وحدث المكى عن أبيه قال : كنت أنا وابن جامع نعالى دنانير جارية البرامكة فكثيرا ما كانت تغلبنا .

قال يحيى بن خالد لإبراهيم الموصلى : إن ابنتك دنانير قد عملت صوتا اختارته وأعجبت به ، فقلت لها : لا يشتد إعجابك حتى تعرضيه على شيخك ، فإن رضيه فارضيه لنفسك ، وإن كرهه فاكروهه ، فامض حتى تعرضيه عليه . فقال له إبراهيم : أيها الوزير ، فكيف إعجابك أنت به ؟ فإنك والله ثاقب الفطنة صحيح التمييز . قال : أكره أن أقول لك : أعجبني ، فيكون عندك غير معجب ، إذ كنت عندى رئيس صناعتك تعرف منها ما لا أعرف ، وتقف من لطائفها على ما لا أقف ؛ وأكره أن أقول لك : لا يعجبني ، وقد بلغ من قلبي مبلغا محمدا ، وإنما السرور به إذا صادف ذلك منك استجادة وتصويبا . قال إبراهيم : فضيت إليها ، وقد كان تقدم إلى خدمه يعلمهم أنه سيرسل بى إلى داره ، وقال لدنانير : إذا جاءك إبراهيم فاعرضي عليه الصوت الذى صنعته واستحسنته ، فإن قال لك : أصبت ،

سررتنى بذلك ، وإن كرهه فلا تعلمين لئلا يزول سرورى بما صنعت . قال إبراهيم : فحضرت الباب فأدخلت ، وإذا الستارة قد نُصبت ، فسلمت على الجارية من وراء الستارة . فردت السلام ، فقالت : يا أبت ، أعرض عليك صوتا قد تقدم لاشك إليك خبره ، وقد سمعت الوزير يقول : إن الناس يفتنون بغنائهم فيعجبهم منه ما لا يعجب غيرهم ، وكذلك يفتنون بأولادهم فيحسن في أعينهم منهم ما ليس يحسن ، وقد خشيت على الصوت أن يكون كذلك . فقال : هات . فأخذت عودها وتغنت تقول :

نفسى أ كنتُ عليك مدعيًا أم حين أزمع بينهم خُنتِ
إن كنتِ مولعةً بذكرهم فعلى فراقهم ألا متِ

قال : فأعجبني والله غاية العجب واستخفنى الطرب حتى قلت لها : أعيديه . فأعادته وأنا أطلب لها فيه موضعاً أصلحه وأغيره عليها لتأخذ عني ، فلا والله ما قدرت على ذلك ، ثم قلت لها : أعيديه الثالثة . فأعادته ، فإذا هو كالذهب المصفى ، فقلت : أحسنت يا بنية وأصبت ، وقد قطعت عليك بحسن إحسانك وجودة إصابتك فائدة للمعلمين ، إذ قد صرت تحسنين الاختيار وتجيدين الصنعة . ثم خرج ، فلقيه يحيى بن خالد ، فقال : كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير ؟ قال : أعز الله الوزير ، والله ما يحسن كثير من حناق المغنين مثل هذه الصنعة ، ولقد قلت لها : أعيديه ، وأعادته على مرات كل ذلك أريد إعنائها لأجتلب لنفسى مدخلا يؤخذ عني وينسب إلى ، فلا والله ما وجدته . فقال لى يحيى : وصفك لها يقوم مقام تعليمك إياها ، وقد والله سررتنى ، وسأسرك . فوجه إلى بمال عظيم . وكانت دنانير لرجل من أهل المدينة ، وكان خرجها وأدبها ، فلما رآها يحيى وقعت بقلبه فاشتراها . وكان الرشيد يسير إلى منزله فيسمعها ، حتى ألفها واشتد

عجبه بها ، فوهب لها هبات سنوية ، منها أنه وهب لها في ليلة عقدا قيمته ثلاثون ألف دينار ، فرد عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك .
وعلمت أم جعفر خبره فشكته إلى عمومته فصاروا جميعا إليه فعاتبوه ، فقال :
مالى فى هذه الجارية من أرب فى نفسها ، وإنما أربى فى غنائها ، فاسمعوها فإن
استحقت أن يؤلف غنائها وإلا فقولوا ما شئتم . فأقاموا عنده ونقلهم إلى يحيى
حتى سمعوها عنده ، فعذروه وعادوا إلى أم جعفر فأشارو عليها أن لاتلح فى أمرها ،
فقبلت ذلك وأهدت إلى الرشيد عشر جوار ، منهن جارية أم المعتصم ، ومراجل
أم المأمون ، وفاردة أم صالح .

وأخذت دنانير عن إبراهيم الموصلى حتى كانت تغنى غناه فتحكيه فيه ،
حتى لا يكون بينهما فرق ، وكان إبراهيم يقول ليحيى : متى فقدتنى ودنانير باقية
فما فقدتنى . وأصابتها العلة الكلبية فكانت لاتصبر عن الأكل ساعة واحدة ،
فكان يحيى يتصدق عنها فى كل يوم من شهر رمضان بألف دينار ، لأنها كانت
لاتصومه . وبقيت عند البرامكة مدة طويلة .

ودعا الرشيد بدنانير البرمكية بعد قتله إياهم فأمرها أن تغنى . فقالت : يا أمير
المؤمنين ، إني آليت أن لا أغنى بعد سيدى أبدا . فغضب وأمر بصفعها . فصفعت
وأقيمت على رجلها وأعطيت العود ، وأخذته وهى تبكى أحر بكاء ،
واندفعت فغنت :

يا دار سلمى بنازح السند بين الثنايا ومسقط اللبد

لما رأيت الديار قد درست أيقنت أن النعم لم يعد

فرق لها الرشيد وأمر بإطلاقها وانصرفت ، ثم التفت إلى إبراهيم بن المهدي
فقال له : كيف رأيتهما ؟ قال : رأيتهما تحتله برفق وتقهره بحذق .

وخطب عقيل مولى صالح بن الرشيد دنانير البرمكية ، وكان هويها وشغف

بذكرها، فردته ، واستشفع عليها مولاه صالح بن الرشيد وبذل والحسين بن محرز،
فلم تجبه ، فأقامت على الوفاء لمولاها ، فكتب إليها عقيل قوله :

يا دنانيرُ قد تنكر عَقلي وتَحيرتُ بين وعد ومطل
شفعي شافعي إليك وإلا فاقتليني إن كنت تهوين قتلي
أنا بالله والأمير وما آ مل من موعد الحسين وبذل
ما أحب الحياة يا أخت إن لم يجمع الله عاجلاً بك شملي
فلم يعطفها ذلك على ما يحب، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت .

دوشار

لما هرب إبراهيم الموصلي إلى الموصل تزوج هناك امرأته دوشار . وفي دوشار
هذه يقول إبراهيم :

دوشار يا سيدي وغايتي ومنيتي
ويا سروري من جميع الناس ردي منيتي
وكانت تغني بالدف، فهو بها إبراهيم وتزوجها . ولم تلد من إبراهيم إلا بنتاً .

الذلفاء

قال أبو دهبيل الجمحي : كنت أنا وأبو السائب الخزومي عند مغنية بالمدينة
يقال لها الذلفاء ، فغنتنا بشعر جميل بن معمر العذري :

لهن الوجي لم كن عوناً على النوى ولا زال منها ظالع وكسير
كأنني سقيت السم يوم تحملوا وجد بهم حاد وحان مسير

فقال أبو السائب : يا أبا دهبيل ، نحن والله على خطر من هذا الغناء ،
فنسأل الله السلامة ، وأن يكفيننا كل محذور . فما آمن أن يُهجم بي على أمر
يَهْتَكُنِي . وجعل يبكي .

وزار معبد مالك بن أبي السمع فقال له : هل لك أن تصير إلى جميلة ؟
فمضيا جميعاً فتصداها ، فأذنت لهما فدخلا . فأخرجت إليهما رقعة فيها أبيات ،
فقال لمعبد : بعث بهذه الرقعة إلى فلان أغنى بها . فقال معبد : فابتدئ .
فابتدأت جميلة فغنت :

إِنَّمَا الذَّلْفَاءُ هُمِي	فَلَيْدَعْنِي مِنْ يَلُومِ
أَحْسَنَ النَّاسِ جَمِيعاً	فَغَنَى مَعْبِدُ :
حَبَّبَ الذَّلْفَاءُ عِنْدِي	حِينَ تَمْشِي وَتَقُومِ
أَصِيلَ الْحَبْلِ لَتَرْضَى	فَغَنَّتْ جَمِيلَةٌ :
حُبَّهَا فِي الْقَلْبِ دَاءٌ	مَنْطِقُ مِنْهَا رَخِيمِ
	فَغَنَى مَعْبِدُ :
	فَغَنَّتْ جَمِيلَةٌ :
	حُبَّهَا فِي الْقَلْبِ دَاءٌ
	مُسْتَكْنٌ لَا يَرِيمِ
	وَالشَّعْرُ لِلْأَحْوَصِ .

وهي التي قتن بها أهل المدينة . وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلقها :
لا بارك الله في دار عدت بها طلاق ذلفاء من دار ومن بلد
فلا يقولن ثلاثاً قائل أبداً إني وجدت ثلاثاً أنكك العدد

راحة

جارية عبد الله بن العباس الربيعي

صنع عبد الله بن العباس صوته :
أتاني يؤمرني في الصَّبُو ح ليلاً فقلت له غادها

فلما أتى له وضرب عليه، عرضه على راحة جاريته فاستحسنته وأخذته عنه.
وكانت تختلف إلى إبراهيم الموصلي . فسمعها يوما تغنيه وتناغى به جارية من
جواريه . فاستعادها إياه ، وأعادته عليه .

رائقة

كانت الميلاء تغني أغاني القيان من القدماء، مثل رائقة، وكانت رائقة أستاذتها.

رباب

جارية الواصل

حدث يزيد بن محمد المهلب قال : دخلت على الواصل يوما وهو خليفة، ورباب
في حجره جالسة وهي صبية وهو يلقي عليها قوله :
ضيعت عهداً فتى لعهديك حافظاً في حفظه عجبٌ وفي تضييعه
وهي تغنيه ويردده عليها، فما أذكر أني سمعت غناء قط أحسن من غنائهما
جميعاً، وما زال يردده عليها حتى حفظته .

الرباب

كانت عزة الميلاء تغني أغاني النيران من القدماء مثل الرباب .

ريجة الشماسية

من جوارى ابن رامين عبد الملك ، مولى عبد الملك بن بشر . وصارت

ربيحة إلى محمد بن سليمان ، وكانت حظية عنده . وعن جميلة أخذت الغناء .
ولما مات ابن عائشة قال أشعب : قد قلت لكم ولكنه لا يُغنى حذر من قدر :
زوجوا ابن عائشة ربيحة الشامية تخرج لكما بينهما مزامير داود ، فلم تفعلوا .

رحمة

وخرج مع جميلة من الرجال المشهورين الحذاق بالغناء ... ورحمة .

رذاذ

لما صنع رذاذ لحنه في هذا الشعر :
فلو كان للشكر شخصٌ يبين إذا ما تأمله الناظرُ
لمثلته لك حتى تراه لتعلم أني امرؤ شاكر
فغنى به الناس وكان هجيراً^(١) زماناً .

الرطاب

الرطاب ، مدني قليل الصنعة ، ليس بمشهور . وقيل له الرطاب لأنه كان
يبيع الرطب بالمدينة . وله في هذا الشعر غناء :

يا أم عمرو لقد طالبتُ ودَّكم جهدي وأعدت فيه كلَّ إغذارٍ
حتى سقمتُ وقد أصبحتُ سالمةً مما أعالج من همٍّ وتذكّارٍ

(١) هجيراً : عادتهم ودأبهم وشأنهم .

ريق

جارية ابراهيم بن المهدي

حدثت ريق قالت : مرض إبراهيم بن المهدي مرضة أشرف فيها على الموت ، فجعل يتذكر شغفه بالغناء وما سلف فيه ويتندم عليه . فقال له بعض من حضر : فتب وأحرق دفاتر الغناء . فحرك رأسه ساعة ثم قال : يا مجانين ! فبهني أحرقت دفاتر الغناء كلها ، ريق ايش أعمل بها ؟ أأقتلها وهي تحفظ كل شيء في دفاتر الغناء .

وكانت ممن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدي واقتدى به .
قالت : خرجت يوما إلى سيدي — يعني إبراهيم بن المهدي — وقد صنع لحنه في :

وإذا تباع كريمة أو تُشترى فسواك بائعها وأنت المشتري
وإذا صنعت صنعة آتمتها بيدن ليس نداها بمكدر

وجارية لنا رومية أعجمية لا تفصح في أقصى الدار تكنس ، وهو يطرح الصوت على شارية ، والأعجمية تبكي أحر بكاء سمعته قط . فجعلت أعجب من بكائها وأنظر إليها حتى سكت . فلما سكت قطعت البكاء . فعلمت أن هذا من غلبته بحسن صوته لكل طبع فصيح أو أعجمي .

الزبير بن دحمان^(١)

كان أحد المحسنين المتقدمين الرواة الضراب المتقدمين في الصنعة . وقدم على الرشيد من الحجاز .

وكان المغنون في أيامه ضربين : أحدهما في ضرب إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ، والآخر في ضرب ابن جامع وابن المهدي . وكان إبراهيم بن المهدي أوكد أسباب هذا التحزب والتعصب ، لما كان بينه وبين إسحاق .

حماد بن إسحاق عن أبيه قال : لما قدم الزبير بن دحمان على الرشيد من الحجاز قدم معه رجل ما شئت من رجل عقلا ونبلا ودينا وأدبا وسكونا ووقارا . وكان أبوه قبله كذلك ، وقدم معه أخوه عبد الله . فلما وصلا إلى الرشيد وجلسا معنا تخيلت في الزبير الفضل . فقلت لأبي : يا أبت ، أخلق الزبير أن يكون أفضل من أخيه ؟ فقال : هذا لا يجيء بالظن والتخيل ، والجواد إنما يمتحن في الميدان . فقلت له : فالجواد عينه فراره^(٢) . فضحك وقال : ننظر في فراستك . فلما غنيا بان فضل الزبير وتقدمه . فاصطفاه أبي واصطفيته ، وقرظناه ووصفناه وصار في حيزنا .

وغنى الرشيد غناء كثيرا من غناء المتقدمين فأجاد وأحسن . وسأله الرشيد أن يغنيه شيئا من صنعته ، فالتوى بعض الالتواء وقال : قد سمع أمير المؤمنين غناء الحذاق من المتقدمين وغناء من بحضرته من خدمه ومن وفد عليه من

(١) انظر نسبة في ترجمة أبيه دحمان .

(٢) فراره ، بالضم وقد يفتح ، أى يغنيك شخصه . ومنظره عن ان مختبره وأن تقرأ أسنانه .

الحجازيين ، وما عسى أن يأتي من صنعتي . فأقسم عليه أن يغنيه شيئاً من صنعته ،
وجد به في ذلك ، فكان أول صوت غناه منها :

إرحلا صاحبي حان الرحيلُ وأبكيا لي فليس تبكي الطلولُ
قد تولّى النهار وانقضت الشمس س يميناً وحن منها أفول
فطرب الرشيد واستعاد هذا الصوت ثلاث مرات ، وأمر له بثلاثين ألف
درهم ولأخيه بعشرين ألف درهم .

قال إسحاق : ولم يزل الزبير معناه ، وانحاز عبد الله إلى إبراهيم بن المهدي
فكان معه .

قال حماد : فقلت لأبي : كيف كانت صنعة عبد الله ؟ قال : أنا أجهل لك
القول : لو كان زبير مملوكاً لاشتريته بعشرين ألف دينار ، ولو كان عبد الله
مملوكاً ما كابت نفسي على أن اشتريه بأكثر من عشرين ألف دينار .
وحدثوا أن الرشيد كتب في إشخاص الزبير بن دحمان إلى مدينة السلام ،
فوافاهما واتفق قدومه في وقت مخرج الرشيد إلى الري لمحاربة بندار هرمل . فأقام
الزبير بمدينة السلام إلى أن دخل الرشيد . فلما قدم دخل عليه بالخير رانة ، وهو
الموضع الذي يعرف بالشماسية ، فغناه في أول غنائه صوتاً في شعر في مدح الرشيد
وذكر خروجه إلى طبرستان وهو :

ألا إن حزب الله ليس بمُعْجَز وأنصاره في مَنَعَة المتعزِّز
أبي الله أن يعصى لهارون أمره وذلت له طوعاً يد المتعزِّز
إذا الراية السوداء راحت أو اغتدت إلى هاربٍ منها فليس بمُعْجَز
فاستحسن الرشيد الشعر والغناء وأمر له بألف دينار . ومكث ساعة ثم غنى
صوتاً ثانياً وهو :

وأحور كالغُصْنِ يَشْفِي السَّامَ وَيَحْكِي الْغَزَالَ إِذَا مارنا
 شربتُ المدام على وجهه وعاطيته الكأسَ حتى أنثني
 وقلتُ مديحاً أرجى به من الأجر حظاً ونيل الغنى
 وأعنى بذاك الإمام الذي به الله أعطى العبادَ المني
 فما فرغ من الصوت حتى أمرله بألف دينار آخر . وخف على قلبه واستظرفه ،
 فأغناه في مدة يسيرة من الأيام .

وكان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسف عليهم والتندم على ما فعله بهم .
 ففطن لذلك الزبير بن دحمان ، فكان يغنيه في هذا المعنى ويحركه ، فغناه يوماً :
 من للخصوم إذا جدَّ الخُصامُ بهم يوم التَّزال ومن للضمير القود
 وموقف قد كفيت الناطقين به في مجمع من نواصي الناس مشهود
 فرجته بلسان غير ملتبس عند الحفاظ وقول غير مردود
 فقال له الرشيد : أعد . فأعاد . فقال له : ويحك ، كأن قائل هذا الشعر
 يصف به يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى ، وبكى حتى جرت دموعه . ووصل الزبير
 صلاة سنية .

وفي الزبير يقول إسحاق ، وله فيه غناء وهو :

أسعد بدمعك يا أبا العوام صبا صريع هوى ونضو سقام
 ذكر الأحبة فاستجن وهاجته للشوق نوح حمامة وحمام
 لم يبد ما في الصدر إلا أنه حياً العراق وأهله بسلام
 ودعاه داع للهوى فأجابه شوقاً إليه وقاده بزمام
 وعن إسحاق قال : جاءني الزبير بن دحمان ذات يوم مسلماً فاحتبسته .

فقال : قد أمرني الفضل بن الربيع بأن أصيرَ إليه . فقلت :
أقم يا أبا العوَّام ويحك تشرب وتلهو مع اللاهين يوماً وتطرب
إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاءَ خيرُهُ فخذهُ بشكرٍ واترك الفضلَ يَمْضِبُ
قال : فأقام عندي فشرَبنا . ثم سار الزبير إلى الفضل فسأله عن سبب
تأخره عنه . فحدثه الحديث ، وأنشده الشعر .

حدث إسحاق قال : كان عندي الزبير بن دحمان فغنيت :
أشأقتك من أرض العراق طولاً تحمل منها جيرةً وحُمولاً
فقال لي الزبير أنت الأستاذ ابن الأستاذ ، وقد أخذت عن أبيك هذا
الصوت وأنا أغنيه أحسن . فقلت له : والله إنني لأحب أن يكون ذلك كذلك .
فغضب وقال : أنا والله أحسن غناء منك ، وتلاحينا . فقلت له : هلم نخرج إلى
صحراء الرقة فيكون أكلنا وشرَبنا هنالك ، ونرضى في الحكم أول من يطلع علينا .
قال : أفعل . فأخرجنا طعمانا وشرابنا وجلسنا نشرب على الفرات . فأقبل حبشي .
فقلت له : أترضى بهذا ؟ قال : نعم . فدعونا فاطعمناه وسقينا . وبادرنى الزبير
بالغناء فغنى الصوت . فطرب الحبشي وحرك رأسه حتى طمع الزبير في . ثم أخذت
العود فتأملني الحبشي ساعة ثم صاح : وأى شيطان أهوه . ومدبها صوته . فما أذكر
أنى ضحكت مثل ضحكى . وانخزل الزبير .

غضب الرشيد على أم جعفر ثم ترضاها فأبت أن ترضى عنه . فأرق ليلة .
ثم قال : افرشوا لي على دجلة . ففعلوا . فقعد ينظر الماء وقد رأى زيادة عجيبة .
فسمع غناء في هذا الشعر :

جرى السيلُ فاستبكاني السيلُ إذ جرى وفاضتْ له من مُتلَى غروب
وما ذاك إلا حين خُبرت أنه يمرُّ بوادٍ أنت منه قريب
يكون أجاباً ماؤه فإذا انتهى إليكم تلقى طيكم فيسطيب

فياسا كنى شرقى دجلة كلهم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب
فسأل عن الناحية التي فيها الغناء . فقليل : دار ابن المسيب . فبعث إليه :
أنا بعث بالمغنى . فإذا هو الزبير بن دحمان . فسأله عن الشعر . فقال : هو للعباس
ابن الأحنف . فأحضر . واستنشده فأنشده إياه . وجعل الزبير يغنيه وعباس
ينشده ، وهو يستعيدهما حتى أصبح وقام . فدخل على أم جعفر . فسألت عن
سبب دخوله فعرفته . فوجهت إلى العباس بألف دينار وإلى الزبير بألف دينار .
وتشوق الرشيد بغداد وهو بالرقعة ، فأنحدر إليها . وأقام بها مدة وخلف هناك
بعض جواريه ، وكانت حظية له فيهن ، خلفها لمفاضة كانت بينه وبينها .
فتشوقها تشوقا شديدا وقال فيها :

سلامٌ على النازح المُنْتَرِبُ تحيةً صبٍ به مكْتَنَبُ
أيا مَنْ أَعَانَ على نفسه بتخليفه طائعا مَنْ أَحَبُّ
سأسْتُرُ والستر مِنْ شِمْتِي هوى من أحب بمن لا أحبُّ

وجمع المغنين . فحضر إبراهيم الموصلى وابن جامع وفليح وزبير بن دحمان
والمعلى بن طريف وحسين بن محرز وسليم بن سلام ويحيى المكي وابنه وإسحاق
وأبوزكار الأعشى ، وأعطاهم الشعر وقال : ليعمل كل واحد منكم فيه لحنا .
فعملوا فيه عشرين لحنا . فما أعجب منها إلا بلحن الزبير وحده . أعجب به إعجابا
شديدا ، وأجازه خاصة دون الجماعة بجائزة سنوية .

زرزور بن سعيد الكبير

حدث محمد بن المكي المرتجل قال : قلت لزرزور الكبير : كيف كان

اسحاق يتفق على الخلفاء معكم ، وأنت وإبراهيم بن المهدي ومخارق أطيّب
أصواتا وأحسن نعمة ؟ قال كنا والله يابني نحضر معه فنجتهد في الغناء ، وتقيم
الوهج فيه ، ويقبل علينا بعض الخلفاء حتى نطمع فيه ونظن أننا قد غلبناه . فإذا
غنى عمل في غنائه أشياء من مداراته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كلنا ، ويقبل
عليه الخليفة دوننا ويميزه دوننا ويصغى إليه ، ونرى أنفسنا اضطرابا دونه .

وحدث عافية بن شبيب قال : قلت لزرزور : ما لكم تدلون لإسحاق هذا
الذل وما فيكم أحد إلا وهو أطيّب صوتا منه وما في صناعتهكم وصمة ؟ فقال :
لا تقل ذلك ، فوالله لو رأيتنا معه لرحمتنا ورأيتنا ندوب كما يذوب الرصاص
في النار .

وعن عافية بن شبيب قال : قلت لزرزور بن سعيد : حدثني عن إسحاق
كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة ، وهو منقطع ذاهب وحلوكم
ليس مثلها في الدنيا . فقال : كان والله لا يزال بحذقه ورفقه وتأثيره ولطفه حتى
نصير معه أقل من التراب .

وغنى زرزور الكبير في مجلس الواثق صوتا الشعر فيه لأحمد بن عبد الوهاب
أخي صالح والغناء لقلم الصالحية ، وهو :

أبت دارُ الأحبة أن تبينا أجذك ما رأيت لها معينا
تقطعُ نفسه من حُب ليلى نفوساً ما أثبت ولا جزينا

وحدث إسحاق بن عمر بن بزيع قال : أتيت مخارقات يوم ومعى زرزور
الكبير لنقيم عنده ، فوجدته قد أخرج رأسه من حناج له وهو مشرف على المقابر
ويغنى هذا البيت ويبكي :

* أين الملوك التي كانت مسلطة *

قال : فاستحسننا ما سمعنا منه استحسان من لم يسمع قط غناء غيره .

الزرقاء الزرادة

قال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قریش ، فكانت تمر
بى جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها .

ولما حجت جميلة خرج معها من المغنيات والزرقاء .

زرنب

كانت عزة الميلاء تغنى أغاني القيان من القدائم مثل زرنب .

أبوزكار الأعشى

رجل من أهل بغداد ، من قدماء المغنيين . وكان منقطعا إلى آل برمك .
وكانوا يؤثرونه ويفضلون عليه أفضالا .

قال مسرور : لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه وعنده
أبوزكار الأعشى وهو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله :

فلا تبعد فكل فتى سياتى عليه الموت يطرق أو يغادى

وكل ذخيرة لا بد يوما وإن بقيت تصير إلى نفاق

ولو يمدى من الحدثان شيء فديتك بالطريف وبالتلاد
نقلت له : في هذا والله أتيك . فأخذت بيده فأقمته وأمرت بضرب عنقه .
فقال لي أبو زكار : نشدتك الله إلا ألحقتني به . فقلت : وما رغبتك في ذلك ؟
قال : إنه أغنانى عن سواه بإحسانه فما أحب أن أبقى من بعده . فقلت :
أستأمر أمير المؤمنين في ذلك . فلما أتيت الرشيد برأس جعفر أخبرته بقصة
أبي زكار . فقال لي : هذا رجل فيه مصطنع فاضمه إليك ، فانظر ما يجريه عليه
فأتممه له .

قال حماد بن إسحاق : غنى علوية يوما بحضرة أبي . فقال أبي : مه . هذا
الصوت مُعْرِق في العمى . الشعر لبشار الأعمى والغناء لأبي زكار الأعمى وأول
الصوت : « عَمَّيت أُمْرِي » .

تشوق الرشيد بغداد وهو بالركة فأنحدر إليها وأقام بها مدة ، وخلف هناك
بعض جواريه ، وكانت حظية له فيهن خلفها لمغاضبة كانت بينه وبينها ،
فتشوقها تشوقاً شديداً وقال فيها :

سلامٌ على النَّازحِ المُتَرَبِّ تَحِيَّةٌ صَبَّ بِه مُكْتَسَبُ
أَيَّامِنَ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ بِتَخْلِيْفِهِ خَائِفًا مَن أَحَب
سَأَسْتَرُ وَالسَّاتِرُ مِن شَيْمَتِي هَوَى مَن أَحَب بَعْنُ لَا أَحَبُ

وجمع المغنين . فحضر إبراهيم الموصلي وابن جامع وخليدة وزبير بن دحمان
والمعلّى بن طريف وحسين بن محرز وسليم بن سلام ويحيى المكي وابنه واسحاق
وأبو زكار الأعمى ، وأعطاهم الشعر وقال ليعمل كل واحد منكم لحنا . فعملوا فيه
عشرين لحناً .

زيد بن كعب

لم يكن بالخيرة مذكور في الغناء سوى حنين إلا نفرا من السدريين يقال لهم :
عباديس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب ومالك بن حممة . وكانوا يغنون
غناء الخيرة بين الهزج والنصب ، وهو إلى النصب أقرب ، ولم يذروا منه شيئا
لستقوطه وأنه ليس من أغاني الفحول .

سائب خاثر

أبو جعفر

كان سائب خاثر مولى بني ليث . وأصله من فيء كسرى واشترى عبد الله
ابن جعفر ولأه من مواليه . وقيل بل اشتراه فأعتقه . وقيل بل كان على ولأه
لبني ليث ، وإنما انقطع إلى عبد الله بن جعفر ، فلزمه وعرف به .
واسم أبيه الذي أعتقه بنو ليث يشاء ، وهو أول من عمل العود بالمدينة
وغنى به .

وكان عبد الله بن عامر اشترى إماء نائحات وأتى بهن المدينة . فكان لهن
يوم في الجمعة يلعبن فيه . وسمع الناس منهن فأخذوا عنهن . ثم قدم رجل فارسي
يسمى بنشيط فغنى . فأعجب عبد الله بن جعفر به ، فقال له سائب خاثر : أنا أصنع
لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية . ثم غدا على عبد الله جعفر وقد صنع :
* لمن الديار رسومها قمر *

وهو أول صوت غنى به في الاسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة ، ثم

اشترى عبد الله بن جعفر نسيطا بعد ذلك . فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربي . ولم يكن سائب يضرب بالعود وإنما كان يقرع بقضيب ويغنى مرتجلا . ولم يزل يغنى .

وكان سائب من ساكنى المدينة . وكان تاجرا موسرا يبيع الطعام . وكان تحته أربع نسوة ، وكان يخالط سروات الناس وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلى ألا يغنى أحدا سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو ابن خليفة . فكان على ذلك إلى أن قتل . وأخذ عنه معبد غناء كثيرا فتحل الناس بعضه إليه ، وأهل العلم بالغناء يعرفون ذلك .

وزعم أن أم محمد بن عمرو الواقدي القاضى المحدث بنت عيسى بن جعفر ابن سائب خاثر .

وأول صوت صنعه فى شعر امرئ القيس :

* أفاطم مهلاً بعض هذا التمدل *
تتمد الممدل

وأخذ معبد لحنه فيه فغنى عليه :

* أمن آل ليلى باللوى مُترَبَع *
تتمد الممدل

ووفد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر . فوقع له فى حوائجه .

ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر . فقال معاوية : من سائب خاثر ؟ قال : رجل

من أهل المدينة لىنى يروى الشعر . قال : أو كل من روى الشعر أراد أن نصله ؟

قال : إنه أحسنه . قال : وإن أحسنه . قال : أفأدخله إليك يا أمير المؤمنين ؟

قال : نعم . قال : فألبسته مخصرتين : إزارا ورداء . فلما دخل قام على الباب ثم

رفع صوته يتغنى :

* لمن الديار رسومها قفر *

فالتفت معاوية إلى عبد الله بن جعفر فقال : أشهد لقد حسنه . فقضى حوائجه وأحسن إليه .

وأشرف معاوية بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيد ابنه ، فسمع صوتاً أعجبه واستخفه السماع فاستمع قائماً حتى ملّ . ثم دعا بكرسى فجلس عليه واشتهى الاستزادة ، فاستمع بقية ليلته حتى ملّ . فلما أصبح غدا عليه يزيد فقال له : يا بني ، من كان جليسك البارحة ؟ قال : أئى جليس يا أمير المؤمنين ، واستعجم عليه . قال : عرّفتى فإنه لم يخف على شئ من أمرك . قال : سائب خاثر . قال : فأجذل له يا بني من برك وصاتك . فما رأيت بمجالسته بأساً .

وقدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم ، فأمر حاجبه بالأذن للناس . فخرج الأذن ثم رجع فقال : ما بالباب أحد . فقال معاوية : وأين الناس ؟ قال : عند ابن جعفر . فدعا معاوية ببغلة فركبها ثم توجه إليهم ، فلما جلس ، قال بعض القرشيين لسائب خاثر : مطر في هذا لك ، وكان من خز ، إن أنت اندفعت تغنى ومشيت بين السماطين وأنت تغنى . فقام فشئ بين السماطين وغنى :

لنا الجفّنات الغرّيلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرون من نَجدة دماً

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكّت ، وهو مستحسن لذلك . ثم قام وانصرف إلى منزله ، وأخذ سائب خاثر المطرف .

وقتل سائب خاثر يوم الحرة ، وكان خشي على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدثهم ويقول : أنا مغن ومن حالى وقصتي كيت وكيت . وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله . قالوا : فغن لنا . فجعل يغنى . فقام إليه أحدهم فقال له : أحسنت والله . ثم ضربه بالسيف فقتله . وبلغ يزيد خبره ومروءته اسمه

في أسماء من قتل يومئذ فلم يعرفه وقال : من سائب خاثر هذا ؟ فقيل له ، سائب خاثر المغنى . فعرفه . فقال : ويله ماله ولنا ؟ ألم نحسن إليه ونصله ونخلطه بأنفسا ؟ فما الذى حمّله على عدواننا ؟ لاجرم إن بغيه صرعه .

ومر به بعض القرشيين وهو قتيل فضر به برجله وقال : إن هاهنا الحنجرة حسنة . وحدث مويلك عن أبيه قال : قال لى سائب خاثر يوم الحرة : هل سمعت شيئا صنعته ؟ فغناني صوته :

لَمَنْ طَلَلُ بَيْنِ الْكَرَاعِ إِلَى الْقَصْرِ يُغَيِّبُ عَنَّا آيَةَ سَبَلِ الْقَطْرِ^(١)
إِلَى خَالَدَاتِ مَا تَرِيمَ وَهَامِدِ وَأَشْعَثُ تَرْسِيهِ الْوَلِيدَةِ بِالْفَهْرِ^(٢)
قال : فسمعت عجبا . ثم ذكر أهله وولده فبكى . فقلت : وما يمنعك منهم .
قال . أما بعد شيء سمعته ورأيت من يزيد بن معاوية فلا . ثم تقدم حتى قُتل ؟

ابن سريج

هو عبيد بن سريج . ويكنى أبا يحيى . مولى بنى نوفل بن عبد مناف .
وقيل : مولى لبنى الحارث بن عبد المطلب . وقيل : لبنى ليث . وقيل : مولى لبنى عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومنزله بمكة .

وكان آدم أحمر ظاهر الدم سَنَاطَا^(٣) ، فى عينيه قَبَلٌ^(٤) . بلغ خمسا وثمانين سنة ، وصلع فكان يلبس بُجَّةَ مَرَكَبَةٍ . وكان أكثر ما يرى مقنعا .

(١) الكراع : واد .

(٢) لأشعث : الود . والنهر : حجر يملأ الكف

(٣) السناط : الذى لا لحية له ، أو الخفيف العارض . أو من لحيته بالذقن . وليس

بالمعارضين شيء .

(٤) القيل فى العين : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى .

وكان مخنثا يلقب وجه الباب . وكان أبوه تركيا . وكان منقطعا إلى عبد الله ابن جعفر .

وكان أحسن الناس غناء ، وكان يغنى مرتجلا ويوقع بقضيب . وغنى في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه . ومات في خلافة هشام بن عبد الملك . وقيل : مات بعد قتل الوليد بن يزيد . وكانت علته التي مات منها الجذام . وقبره بنخلة^(١) ، قريبا من بستان ابن عامر^(٢) .

وكان عوده من صنعة عيدان الفرس . وكان أول من ضرب به على الغناء العربي بمكة ، وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم ، فقال ابن سريج : أنا أضرب به على غنائى ، فضرب به ، فكان أحق الناس .

وأم ابن سريج مولاة لآل المطلب يقال لها رائفة وقيل : بل أمه هند أخت رائفة ، فمن ثم قيل إنه مولى بنى المطلب بن حنطب .

وكان أول من غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طويس . وكان مولده في خلافة عمر بن الخطاب . وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه . ومات في خلافة هشام . وكان قبل أن يغنى نائحا ، ولم يكن مذكورا حتى ورد الخبر مكة بما فعله

(١) هي نخلة البمانية ، واد به مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين .

(٢) بستان ابن عامر ، كذلك يسميه العامة ، وصوابه بستان ابن معمر ، لأنه كان لمعمر ابن عبد الله بن معمر ، وهو مجتمع النخلتين .

مُسرف بن عقبة^(١) بالمدينة ، فعلا على أبي قبيس وناح بشعر هو داخل في أغانيه :
يا عين جُودى بالدموع السَّفاح وابكى على قتلى قُرَيْش البطاح
فاستحسن الناس ذلك منه ، وكان أول ما ندب به .

وحدثوا أن سَكينة بنت الحسين عليهما السلام بعثت إلى ابن سريج بشعر
أمرته أن يصوغ فيه لحنًا يناح به ، فصاغ فيه . وهو الآن داخل في غنائها ، والشعر :
يا أرض ويحك أكرمي أمواتي فلقد ظفرتِ بسادتي وُحماتي
فقدّمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف .

وبعثت سَكينة إليه بمملوك لها يقال له عبد الملك ، وأمرته أن يعلمه النياحة .
فلم يزل يعلمه مدة طويلة . ثم توفي عنها أبو القاسم محمد بن الحنفية عليه السلام .
وكان ابن سريج عليلًا علة صعبة ، فلم يقدر على النياحة . فقال لها عبدها
عبد الملك : أنا أنوح لك نوحًا أنسيك به نوح ابن سريج . قالت : أو تحسن
ذاك ؟ قال : نعم . فأمرته فنسج . فكان نوحه في الغاية من الجودة . وأفاق
ابن سريج من علته بعد أيام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية . فقال لهم : فمن ناح
عليه ؟ قالوا : عبد الملك غلام سَكينة . قال : فهل جَوّز الناسُ نوحه ؟ قالوا : نعم ،
وقدّمه بعضهم عليك . فخلف ابن سريج لا ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوح
وعدل إلى الغناء ، فلم ينح حتى ماتت حبابة ، وكانت قد أخذت عنه وأحسنّت
إليه ، فناح عليها ، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك . ثم لم ينح بعده
حتى هلك .

(١) هو لقب مسلم بن عقبة المري صاحب وقعة الحرة الذي وجهه يزيد بن معاوية في
جيش عظيم لقتال ابن الزبير بالمدينة ، فقاتل أهلها وهزمهم وأباح المدينة ثلاثة أيام . وقد
لقب مسرِفًا لأنه أسرف في القتل في هذه الواقعة .

وكان ابن سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انتقل إلى الحكم بن المطلب ابن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، أحد بني مخزوم . وكان من سادة قریش ووجوهها .

وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن منجم . وأصل الغناء أربعة نفر : مكيان ومدنيان ، فالمكيان : ابن سريج وابن محرز ، والمدنيان : معبد ومالك .

وشهر ابن سريج بالغناء في ختان ابن مولاة عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي حسين . قال لأم الغلام : خفضي عليك بعض الغرم والكلكة ، فوالله لألهين نساءك حتى لا يدريين ما جئت به ولا ما عزمت عليه .

وسئل هشام بن المُرِّيَّة ، وكان قد عمر ، وكان عالماً بالغناء فلا يبارى فيه من أحقق الناس بالغناء ؟ فقال : ما خلق الله تعالى بعد داود النبي عليه الصلاة السلام أحسن صوتاً من ابن سريج ، ولا صاغ الله عز وجل أحقق منه بالغناء . ويدلك على ذلك أن معبداً كان إذا أعجبه غناؤه قال : أنا اليوم سريجي .

قال إبراهيم : أدركت يونس بن محمد الكاتب فحدثني عن الأربعة : ابن سريج وابن محرز والغريض ومعبد . فقلت له : من أحسن الناس غناء ؟ فقال : أبو يحيى . قلت : عبيد بن سريج ؟ قال : نعم . قلب : وكيف ذلك ؟ قال : إن شئت فسرت لك وإن شئت أجملت . قلت : أجمل . قال : كأنه خلق من كل قلب ، فهو يغني لكل إنسان ما يشتهي .

ولقي عطاء بن أبي رباح ابن سريج بنى طوى ^(١) وعليه ثياب مصبغة ، وفي يده جرادة مشدودة الرجل بخيط يطيرها ويجذبها به كما تخلفت . فقال له

(١) ذو طوى : موضع عند مكة .

له عطاء : ألا تكف عما أنت عليه ، كفى الله الناس مؤنتك .
 فقال ابن سريج : وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجرادتي . فقال له :
 تفتنهم أغانيك الخبيثة . فقال له ابن سريج : سألتك بحق من تبعته من أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 عليك ، إلا ما سمعت مني بيتاً من الشعر ، فإن سمعت منكراً أمرتني بالإمساك
 عما أنا عليه . وأنا أقسم بالله وبحق هذه البنية لئن أمرتني بعد استماعك مني
 بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن ذلك . فأطمع ذلك عطاء في ابن سريج ، وقال :
 قل . فاندفع يغنى بشعر جرير :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَّوْا بُلْبُكَ غَادَرُوا وَشَلَّأَ بَعِينُكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا ^(١)
 غَيْضُنْ مِنْ عَابَرَاتِهِنْ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَفِينَا
 فلما سمعه عطاء اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أريحية فحلف ألا يكلم
 أحداً بقية يومه إلا بهذا الشعر . وصار إلى مكانه من المسجد الحرام . فكان كل
 من يأتيه سائلاً عن حلال أو حرام أو خبر من الأخبار لا يجيبه إلا بضرب
 إحدى يديه على الأخرى وينشد هذا الشعر ، حتى صلى المغرب . ولم يعاود
 ابن سريج بعد هذا ولا تعرض له .

ولما قال عمر بن أبي ربيعة :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِنْ مَنَى وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّعَرَّجُ عَارِمُ
 غنى فيه ابن سريج . وحج يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس .
 وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن سريج على نجيبين رحلتاهما ملبستان بالديباج

(١) المعين ، الجارى السائل على وجه الأرض .

وقد خضبا النجيين ولبسا حلتين . فجعلا يتلقيان الحاج ويتعرضان للنساء إلى أن أظلم الليل . فعدلا إلى كثيب مشرف ، والقمر طالع بضئ ، فجلسا على الكنيب . وقال عمر لابن سريج : غنى صوتك الجديد . فاندفع يغبه . فلم يستتمه إلا وقد طلع عليه رجل راكب على فرس عتيق فسلم ثم قال : أيمكنك — أعزك الله — أن ترد هذا الصوت ؟ قال : نعم ونعمة عين . على أن تنزل وتجلس معنا . قال : أنا أعجل من ذلك ، فان أجملت وأنعمت أعدته ، وليس عليك من وقوفى شيء ولا مئونة . فأعاده . فقال له : بالله أنت ابن سريج ؟ قال : نعم . قال : حياك الله ، وهذا عمر بن أبي ربيعة ؟ قال : نعم . قال : حياك الله يا أبا الخطاب . فقال له : وأنت فحياك الله . قد عرفتنا فعرفنا نفسك . قال : لا يمكننى ذلك . فغضب ابن سريج وقال : والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال له : أنا يزيد بن عبد الملك . فوثب إليه عمر فأعظمه . ونزل ابن سريج إليه فقبل ركابه . فنزع حلته وخاتمه فدفعهما إليه ، ومضى يركض حتى لحق ثقله . فجاء ابن سريج إلى عمر فأعطاه إياهما وقال له : إن هذين بك أشبه منهما بى . فأعطاه عمر ثلاثمائة دينار وغدا فيهما إلى المسجد . فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون : كأنهما والله حلة يزيد بن عبد الملك وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .

وحدث الجمعى قال : حدث عمر بن أبي خليفة قال : كان أبى نازلا فى علو وكان المغنون يأتونه . قال : فقلت : فأيهم كان أحسن غناء ؟ قال : لا أدري ، إلا أنى كنت أراهم إذا جاء ابن سريج سكتوا .

وخرج ابن الزبير ليلة إلى أبى قبيس . فسمع غناء . فلما انصرف رآه أصحابه وقد حال لونه . فقالوا : إن بك لشرًا . قال : إنه ذاك . قالوا : وما هو ؟

قال : لقد سمعت صوتا إن كان من الجن إنه لعجب ، وإن كان من الإنس فما انتهى منتهاه شيء . قال : فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنى :

أمن رَسَم دار بوادی غُدْرُ^(١) لجارية من جوارى مُضر

خَدَلَّجَة الساق مَمْكُورَه سَلُوس الوشاح كمثل القمر^(٢)

تزين الوشاح إذا ما بدت وَيُبْهَت في وجهها من نظر^(٣)

ومر عمر بن عبد العزيز فسمع صوت ابن سريج وهو يغنى :

بَتَّ الخليط قَوَى الحيل الذى قطعوا

فقال عمر : لله در هذا الصوت لو كان بالقرآن .

وقال إسحاق الموصلى : غنى ابن سريج ثمانية وستين صوتا . فقال له إبراهيم ابن المهدي : ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتا . فقال : بلى . ثم جمعا ينشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغ ثلاثة وستين صوتا وهما يتفقان على ذلك . ثم أُنشد إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصوات أيضا . فقال له إبراهيم صدقت ، هذا من غنائه ، ولكن لحن هذا الصوت ثقله من لحنه فى الشعر الفلانى ولحن الثانى من لحنه الفلانى ، حتى عد له الخمسة الأصوات . فقال له إسحاق : صدقت . ثم قال له إبراهيم : إن ابن سريج كان رجلا عاقلا أديبا ، وكان يغنى الناس بما يشتهون ، فلا يغنيهم صوتا مُدَح به أعداؤهم ، ولا صوتا عليهم فيه غضاضة . ولكنه يعدل بتلك الألحان إلى أشعاره فى أوزانها ، فالصوتان واحد لا ينبغى أن نعهما اثنين عند التحصيل منا لغنائه . فصدقه إسحاق .

(١) غدر (كزفر) : من مخاليف اليمين .

(٢) الخدلجة : الريا المثلثة الذراعين والساقين . والمكورة : المطوية الخلق المكتنزة اللحم .

(٣) سلوس الوشاح : قلقة الوشاح لفته .

وقدم فتیان من بنی أمیة یریدون مکه ، فسمعوا معبدا ومالکا فأعجبوا بهما ، ثم قدموا مکه فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مریضا . فأتوا صديقا له فسألوه أن یسمعهم غناه . فخرج معهم حتی دخلوا علیه . فقالوا : نحن فتیان من قریش أتیناک مسلمین علیک وأحببنا أن نسمع منک . فقال : أنا مریض کما ترون . فقالوا : إن الذی نکتفی به منک یسیر . وكان ابن سريج أدیبا طاهر اخلق عارفا بأقدار الناس . فقال : یا جارية ، هاتی جلیابی وعودی . ثم أخذ العود فغناهم ، فأرخى ثوبه علی عینیة وهو یغنی ، حتی إذا اکتفوا ألقى عوده وقال : معذرة . وانصرفوا یتعجبون مما سمعوا . فمرروا بالمدينة منصرفین فسمعوا من معبد ومالك فجعلوا لا یطربون لهما ولا یعجبون بهما ، كما كانوا یطربون . فقال أهل المدينة : تخلف بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج . قالوا : أجل ، لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قط ، ولقد نغص علينا ما بعده .

وقال إبراهیم الموصلی : غناء کل مغن مخلوق من قلب رجل واحد ، وغناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جمیعا . وكان یقول : الغناء علی ثلاثة أضرب مله مطرب یحرك ویستخف ، وضرب ثان له شجأ ورقة ، وضرب ثالث حکمة وإتقان صنعة . قال : وكل هذا مجموع فی غناء ابن سريج .

وكتب الولید بن عبد الملك إلى عامل مکه : أن أشخص إلى ابن سريج . فأشخصه : فلما قدم مکث آیاما لا یدعوه ولا یلتفت إلیه . ثم إنه ذکره فقال : ویلکم ! أين ابن سريج ؟ قالوا : هو حاضر . قال علیّ به . فقالوا : أجب أمیر المؤمنین . فقیما ولبس وأقبل حتی دخل علیه فسلم . فأشار إلیه أن اجلس . فجلس بعیدا . فاستدناه فدنا حتی کان قریبا منه . وقال : ویحک یا عبید ! لقد بلغت عنک ما حملنی علی الوفاة بک من كثرة أدبک وجودة اختیارک مع ظرف

لسانك وحلاوة مجلسك . قال : جعلت فداءك يا أمير المؤمنين ، تسمع بالمعيدي
خير من أن تراد . قال الوليد : إني لأرجو ألا تكون أنت ذاك . ثم قال : هات
ما عندك . قاندفع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص :

أمنزلتني سلمى على القدم أسدما فقد هجمتما للشوق قلباً مئيمًا

فقال الوليد : أحسنت والله وأحسن الأحوص . على بالأحوص . ثم قال :
يا عبيد ، هيه . فغناه بشعر عدى بن الرقاع العاملي يمدح الوليد :

طار الكرى وألمّ الهُمُّ فاكتتعا وحيل يدي وبين النوم فامتتعا^(١)

فقال له الوليد : صدقت يا عبيد ، أئني لك هذا ؟ قال : هو من عند الله .
قال الوليد : لو غير هذا قلت لأحسنت أدبك . قال ابن سريج : ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء . ثم قال الوليد : غنى . فغناه بشعر عدى يمدح الوليد :

عرف الديار توهماً فاعتادها من يعد ماشمل البلى أبلادها^(٢)

فأشار الوليد إلى بعض الخدم فغطوه بالخلع ووضعوا بين يديه كيساً من
الدنانير وبدرام من الدراهم .

وعاتبه رجل من قریش يوماً على الغناء وأنكره عليه وقال له : لو أقبلت
على غيره من الأدب لكان أزين به عليك وبك . قال : جعلت فداك ، امرأته
طالق إن أنت لم تدخل الدار . فدخل ودخل القوم معه . فلما توسطوا الدار قال :
امرأته طالق إن أنت لم تسمع غنائى . فقال : اعزب عني يا لكع . ثم بدر الشيخ
ليخرج . فقال له أصحابه : أطلق امرأته وتحمل وزر ذاك . قال : فوزر الغناء

(١) اكتبتم : دناو حضر .

(٢) اعتادها : أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . والأبلاد : الآثار ،

جمع بلد .

أشد . قالوا : كلا . ما سوى الله عز وجل بينهما . فأقام الشيخ مكانة . ثم اندفع ابن سريج يغنى في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب :

أليست بالتي قالت لمولاة لها ظهراً

أشيري بالسلام له إذا هو نحونا خطراً

فقال للجماعة : هذا والله حسن ، ما بالحجاز مثله ولا في غيره . وانصرفوا .

وسأل الفضل بن يحيى إبراهيم الموصلي ليلة ، وقد أخذ منه الشراب ، عن

أحسن الناس غناء . فقال له : من النساء أم من الرجال ؟ قال : من الرجال .

قال : ابن محرز . فقال : فمن النساء ؟ قال : ابن سريج . قال إسحاق الموصلي :

ويقال : أحسن الرجال غناء من تشبه بالنساء ، وأحسن النساء غناء من تشبه

بالرجال . وكان ابن سريج كأنه خلق من قلب كل واحد فهو يغنى له بما يشتهي .

وقال ابن سريج : مررت ببعض أندية مكة وفيه جماعة ، فحصرت ^(١)

فقلت : كيف أجوزهم مع تعبي وما أنا فيه . فسمعتهم يقولون : قد جاء ابن سريج .

فقال بعضهم ممن لم يعرفني : ومن ابن سريج ؟ فقال : الذي يغنى :

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن من طلحاً ^(٢)

قال ابن سريج : فلما سمعت ذلك قويت نفسي ومررت بهم أخطر

في مُصْبَغَاتِي . فلما حاذيتهم قاموا بأجمعهم فسلموا علي ثم قالوا لأحداً منهم : امشوا

مع أبي يحيى .

وقال ابن سريج : دعاني فتية من بني مروان . فدخلت إليهم وأنا في ثياب

(١) حصرت ، أي أحجمت عن المرور عليهم .

(٢) طلح : كل وأعيا .

الحجاز الغلاظ الجافية ، وهم في القوهي^(١) والوشى يرفلون كأنهم الدنانير
الهرقلية^(٢) فغنيتهم وأنا محتقر لنفسي عندهم لحنألى ، وهو :

أبا لفرع لم تظعن مع الحى زينبُ
بنفسي على النأى الحبيب المغيبُ
قال : قتضاء لوا في عيني حتى ساويتهم في نفسي لِمَا رأيتهم عليه من الإِعظام
لى . ثم غنيتهم :

ودّع بُبابة قبل أن تترحلًا واسأل فإن قلّله أن تسألًا
فطربوا وعظموني وتواضعوا لى حتى صرت في نفسي بمنزلتهم ، لِمَا رأيتهم
عليه ، وصاروا في عيني بمنزلتى . ثم غنيتهم :

ألا هل هاجك الأظعا ن إذ جاوزن من طلمحا

فطربوا ومثلوا بين يدى ، ورموا بجللهم كلها على حتى غطوني بها . فمثلت
لى نفسي أنها نفس الخليفة وأنهم لى خول . فما رفعت طرفى إليهم بعد ذلك تيهًا .
وقدم جرير المدينة — أو مكة — فجلس يوما مع قوم . فجعلوا يعرضون
عليه غناء رجل من المغنين ، حتى غنوه لابن سريج . فطرب وقال : هذا
أحسن ما أسمعتمونى من الغناء كله . قالوا : وكيف قلت ذلك يا أبا حزرّة ؟ قال :
مخرج كل ما أسمعتمونى من الغناء من الرأس ، ومخرج هذا من الصدر .
وسأل محمد بن سلام جريرا المدينى عن ابن سريج . فقال : أتذكره ويحك
باسمه ولا تقول : سيد من غنى وواحد من ترنم .

وسأل مالك بن أبى السمع ابن سريج عن قول الناس : فلان يصيب وفلان

(١) القوهي : نسبة إلى قوهستان كوره في فارس ، وهى ثياب بيض . وكل ثوب يشبهها
يقال له قوهي ، وإن لم يكن منها .

(٢) الهرقلية : نسبة إلى هرقل ، أحد ملوك الروم ، وهو أول من ضرب الدنانير .

يخطيء، وفلان يحسن وفلان يسىء . فقال : المصيب المحسن من المغنين هو الذى يشبع الألبان ، ويملاً الأنفاس ، ويعدل الأوزان ، ويفخم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الأعراب ، ويستوفى النغم الطوال ، ويحسن مقاطيع النغم القصار ، ويصيب أجناس الإيقاع ، ويختلس مواقع النبرات ، ويستوفى ما يشاكلها فى الضرب من النقرات . فعرضت ما قال على معبد ، فقال : لو جاء فى الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا .

وقال يزيد بن عبد الملك يوماً لحبابة : أتعرفين أحداً هو أطرب منى ؟ قالت : نعم ، مولاى الذى باعنى . فأمر بإشخاصه . فأشخص إليه مقبداً . وأعلم بحاله . فأذن فى إدخاله . فمثل بين يديه وحبابة وسلامة تغنيان . فغنته سلامة لحن الغريض فى :

* تشطّ غدا دارُ جيراننا *

فطرب وتحرك فى أقياده . ثم غنته حبابة لحن ابن سريج المجرى فى هذا الشعر . فوثب وجعل يحجل فى قيده ويقول : هذا وأبيكما مالا تُعدلان فيه . حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت . وجعل يصيح : الحريق الحريق يا أولاد الزنا . فضحك يزيد وقال : هذا والله أطرب الناس حقاً . ووصله وسرحه إلى بلده . وتوفى ابن سريج بالعلة التى أصابته من الجذام بمكة فى خلافة سليمان بن عبد الملك فى آخر خلافة الوليد بمكة . ودفن فى موضع بها يقال له : دسم .

سعاد

حدث إسحاق قال : عرضت على الوليد بن يزيد جارية صفراء كوفية مولدة يقال لها سعاد . فقال لها : أى شئ تحسنين ؟ فقالت : أنا مغنية . فقال لها : غنينى . فغنت :

لولا الذي حملت من حُبكم لكان في إظهاره مخرج
أو مذهب في الأرض ذو فسحة أجل ومن حجت له مذبح
لكن سباني منكم شادن مُربب ذو غنة أدعج
أغر ممكور هضم الحشا قد ضاق عنه الحجل والدملج
فطرب طربا شديدا وقال : يا غلام ، استقنى . فسقاه عشرين قدحا ، وهو
يستعيدها . ثم قال لها : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للحارث بن خالد . قال : وممن
أخذته ؟ قالت : من حنين . قال : وأين لقيته ؟ قالت : ربيت بالعراق وكان
أهلى يجيئون به فيطارخني . فدعا صاحبه فقال : اذهب فابتعها بما بلغت
ولا تراجعني في ثمنها . ففعل . ولم تزل عنده حظية .

سعدة

جارية ابن رامين

ابن رامين ، هو عبد الملك بن رامين . ومن جواريه : سعدة وفيها يقول
إسماعيل بن عمار الأسدي :

يا سعدة القينة البيضاء أنت لنا أنس لأنك في دار ابن رامين
لا تحسبن بياض الجص يُؤنسى وأنت كنت كمثل الخز في اللين
واشترى صالح بن علي سعدة بتسعين ألف درهم .
وقال إسماعيل بن عمار : كنت أختلف إلى منزل ابن رامين فأسمع جاريته
الزرقاء وسعدة ، وكانت سعدة أضرف من الزرقاء ، فأعجبتُ بها ، وعلمت ذلك
مني ، وكانت كاتبة ، فكتبتُ إليها أشكو ما ألقى بها . فوعدتني . فكتبت
إليها رقعة مع بعض خدمهم :

يارب إن ابن رامين له بقر عین وليس لنا غير البراذين
قال : فجاءني الخادم وقال : ما زالت تقرأ رقعتك وتضحك من قولك :
فإن تجودي بذاك الشيء أحى به وإن بخلت به عني فزني
وكتبت إلى : حاشاك من أن أزيك ، ولكني أسير إليك فأغنيك وأهليك
وأرضيك . وصارت إلى فأرضتني بعد ذلك .

وحدث ابن أبي الصباح قال : أتيت منزل ابن رامين مع رجل من قریش
فأخرج الزرقاء وسعدة . فقام القرشي ليبول وترك مطرفه . فلبسته سعدة وخرجت .
فرجع القرشي وعليها المطرف قد خاطته فصار درعا ، فقال : أرايتم أسرع من هذا ؟
صار المطرف درعا . فقال القرشي : هو لك . قال : وعلى طيلسان مثنى . فأردت
أن أبول فلففته وقت . فقالت سعدة : دع طيلسانك . فقلت : لأدعه ، أخاف
أن يتحول مطرفا .

وخرجت مع جميلة لما حجت .

سعيد بن جابر

هو الذي يقول فيه حسين بن الضحاك ، وكان نديمه :

* يا سعيد وأين منى سعيد *

وحدث عمرو بن بانة أنهم كانوا عند صالح بن الرشيد . فقال : لست تطرح
على جوارى وغلمانى ما أستجیده ؟ فقال له : ويلك ، ما أغضبك . ابعث إلى
منزلى فجئىء بالدفاتر واختر منها ماشئت حتى ألقيه عليهم . فبعث إلى منزلى فجئىء
إليه بدفاتر الغناء ، فأخذ منها دفترا ليتخير مما فيه . فمر به شعرا لحسين بن الضحاك
يرثى الأمين ويهجو المأمون ، وهو :

أُطِّلْ حَزْنَا وَابْكِ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا بِحُزْنٍ وَإِنْ خِيفَتِ الْحَسَامُ الْمَهْنَدَا
فَلَا تَمُتِ الْأَشْيَاءُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَلَا زَالَ شَمْلُ الْمَلِكِ مِنْهَا مَبْدَا
وَلَا فَرَحَ الْمُأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدَا مُشْرَدَا
فَقَالَ لِي صَالِحٌ : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمُأْمُونُ يَجِيءُ إِلَى فِي كُلِّ سَاعَةٍ ، فَإِذَا قَرَأَ
هَذَا مَا تَرَاهُ يَكُونُ فَاعِلًا ؟ ثُمَّ دَعَا بِسَكِينٍ فَجَعَلَ يَحْكُمُ . وَصَعِدَ الْمُأْمُونُ مِنَ الدَّرَجَةِ .
وَرَمَى صَالِحُ الدَّفْتَرِ . فَقَالَ الْمُأْمُونُ : يَا غَلَامُ ، الدَّفْتَرُ . فَأَتَى بِهِ فَنَظَرَ فِيهِ وَوَقَفَ عَلَى
الْحِكْمِ . فَقَالَ : إِنْ قُلْتَ لَكُمْ مَا كَانَ فِيهِ تَصَدَّقُونِي ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ أَخِي قَالَ لَكَ : ابْعَثْ فَجِيءَ بِدَفَاتِرِكَ لِيَتَخَيَّرَ مَا تَطْرَحُ ، فَوَقَفَ عَلَى هَذَا
الشَّعْرِ فَكَّرَهُ أَنْ أَرَاهُ فَأَمَرَ بِحِكْمِهِ . قُلْنَا : كَذَا . فَقَالَ : غَنَّهُ يَا عَمْرُو . فَقُلْتُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الشَّعْرُ لِحُسَيْنِ بْنِ الضُّحَّاكِ وَالْغَنَاءُ لِسَعِيدِ بْنِ جَابِرٍ . فَقَالَ :
وَمَا يَكُونُ ، غَنَّهُ . فَغَنَيْتُهُ .

أَبُو سَعِيدٍ

مَوْلَى فَائِدٍ

اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ . وَيَعْرِفُ فِي الشُّعْرَاءِ بِابْنِ أَبِي سَنَةَ مَوْلَى بَنِي أُمِيَّةٍ ، وَفِي الْمَغْنِينَ
بِأَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى فَائِدٍ . وَفَائِدٌ مَوْلَى عَمْرُو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .
كَانَ شَاعِرًا مَجِيدًا ، وَمَغْنِيًا ، وَنَاسِكًا بَعْدَ ذَلِكَ فَاضِلًا ، مُقْبُولَ الشَّهَادَةِ
بِالْمَدِينَةِ مَعْدَلًا . أَخَذَتْ عَنْهُ بَذَلٌ . وَلَقَبَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ وَإِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ
وَذُووهُمَا . وَلَهُ قَصَائِدٌ جَيَادٌ فِي مَرَاثِي بَنِي أُمِيَّةٍ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ وَدَاوُدُ ، ابْنَا
عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ .

وَأَمْرُهُ الْمَهْدِيُّ أَنْ يَغْنَى لَهُ :

لقد طُفْتُ سبعا قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا على ولا ليا
ورفق به وأدنى مجلسه . وقد كان نسك . فقال : أو أغنيك يا أمير المؤمنين
أحسن منه ؟ قال : أنت وذاك . فقال :

إن هذا الطويل من آل حفص نشر المجد بعد ما كاد ماتا
وبناه على أساس وثيق وعماد قد أثبتت إثباتا
مثل ما قد بنى له أولوه وكذا يشبه البُناة البناتا
- الشعر والغناء لأبي سعيد فأحسن . فقال له المهدي : أحسنت يا أبا سعيد . فغنى :

« لقد طفت سبعا » . قال : أو أغنيك أحسن منه ؟ قال : أنت وذاك . فغناه :
قَدِمَ الطويلُ فأشرق واستبشرت أرضُ الحجاز وبان في الأشجار
إنَّ الطويل من آل حفص فاعلموا ساد الحُضورَ وساد في الأسفار

فأحسن فيه . فقال : غنى : « لقد طفت سبعا » فقد أحسنت فيما غنيت ،
ولكننا نحب أن تغنى مادعونناك إليه . فقال : لاسبيل إلى ذلك يا أمير المؤمنين ،
لأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامى وفى يده شئ لا أدرى
ما هو ، وقد رفعه ليضربنى به ، وهو يقول : يا أبا سعيد ، لقد طفت سبعا ، لقد
طفت سبعا ، سبعا طفت ، ما صنعت بأمتى فى هذا الصوت ؟ فقلت له : بأبى
أنت وأُمى ، اغفرلى ، فوالذى بعثك بالحق واصطفاك بالنبوة لا غنيت هذا
الصوت أبدا . فردَّ يده . ثم قال : عفا الله عنك إذا . ثم انتبهت . وما كنت
لأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فى منامى فأرجع عنه فى يقظتى . فبكى
المهدي وقال : أحسنت يا أبا سعيد ، أحسن الله إليك ، لا تعد فى غنائك . وجباه
وكساه وأمر برده إلى الحجاز .

قال إبراهيم بن المهدي : كنت بمكة فى المسجد الحرام ، فإذا شيخ قد

طلع ، وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى وقام يصلى . فسألت عنه . فقيل لى : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلت لبعض الغلمان : احصيه . فحصبه . فأقبل عليه وقال : ما يظن أحدكم إذا دخل المسجد إلا أنه له . فقلت للغلام : قل له يقول لك مولاي : ابلغنى . فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : من مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاي إبراهيم بن المهدي ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد ، وقام فجلس بين يدي وقال : لا والله ، بأبي أنت وأمي ، ما عرفتك . فقلت : لا عليك ، أخبرني عن هذا الصوت !

أفاض المدام قتلَى كدوى وقتلَى بكُشوة لم تُرْمِس^(١)
قال : هو لى . قامت : ورب هذه البنية لا تبرح حتى تغنيه . قال : ورب هذه البنية لا تبرح حتى تسمعه . قال : ثم قلب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأخرى وجعل يقرع بحرفها على الأخرى ويغنيه حتى أتى عليه . فأخذته منه . وحضر أبو سعيد مولى فائد مجلسَ محمد بن عمران التيمي ، قاضي المدينة لأبي جعفر ، وكان مقدماً لأبي سعيد ، فقال له ابن عمران التيمي : يا أبا سعيد ، أنت القائل :

لقد طفت سبعا قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا على ولا ليا
فقال : أى لعمر أبيك ، وإني لأدججه إدماجا من لؤلؤ . فرد محمد بن عمران شهادته فى ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مغضبا وحلف ألا يشهد عنده أبدا . فأنكر أهل المدينة على ابن عمران رده شهادته وقالوا : عرّضت حقوقنا للتواء وأموالنا للتلّاف ، لأننا كنّا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليه والقضاة قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فندم ابن عمران بعد ذلك على رد

(١) كد : موضع بمكة .

شهادته ، ووجه إليه يسأله حضور الشهادة في مجلسه ليقضى بشهادته . فامتنع وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه ليمين لزمته إن حضره حنث . فكان ابن عمران بعد ذلك إذا ادعى أحد عنده شهادة أبي سعيد صار إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمع منه ويسأله عما يشهد به فيخبره . وكان محمد بن عمران كثير اللحم عظيم البطن كبير العجيزة صغير القدمين دقيق الساقين يشدد عليه المشى . فكان كثيرا ما يقول : لقد أتعبنى هذا الصوت « لقد طفت سبعا » وأضررتني ضررا طويلا شديدا ، وأنا رجل ثقال ، بترددى إلى أبي سعيد لأسمع شهادته .

وكان المطلب بن عبد الله بن حنطب قاضيا على مكة ، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة . فقال له المطلب : أأست الذي تقول :

لقد طفت سبعا قلت لما قضيتها ألا ليت هذا لا على ولا ليا

لا قبلت لك شهادة أبدا . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذي أقول :

كأن وجوه الحنطيين في الدجى قناديل تسقيها السليط الهياكل

فقال الحنطى : إنك ما علمت إلا دبابا حول البيت في الظلم ، مدمنا

للطواف به في الليل والنهار . وقبل شهادته .

وعمر أبو سعيد إلى أيام الرشيد . فلما حج أحضره فقال : أنشدنى قصيدتك :

تقول أمانة لما رأت نسوزى عن المضعج الأنفس

فاندفع فغناه ، قبل أن ينشده الشعر ، لحته في أبيات منها أولها :

* أفاض المدامع قتلى كدى *

وكان الرشيد مغضبا ، فسكن غضبه وطرب . فقال : أنشدنى القصيدة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، كان القوم موالى وأنعموا على فرثيتهم ولم أهج أحدا ، فتركه .

سلامة الزرقاء

كان في الكوفة صاحب قيان يقال له ابن رامين ، قدمها من الحجاز .
وكان لابن رامين جوار يقال له : سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة ، وكن من
أحسن الناس غناء ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان الزرقاء التي يقول فيها
محمد بن الأشعث :

أسمى لسلامة الزرقاء في كبدي صدع مُقيم طوال الدهر والأبد
لا يستطيع صنّاع القوم يشعبه وكيف يشعب صدع الحب في كبدي
ودخل ابن الأشعث يوما على ابن رامين ، فخرجت إليه الزرقاء ، فبينما هو
يلقى عليها إذ بصر بوصيفة من وصائفهم فأعجبته . فقال شعرا من وقته وتغنى فيه ،
فأخذته الزرقاء ، وهو قوله :

قل لأختي التي أحب رضاها أنتِ لي فأعلميه ركنٌ شديدٌ

إنَّ لي حاجةً إليك فقولي بين أذني وعاتقي ما تريد^(١)

ففظنت الزرقاء للذي أراد ، فوهبت له الوصيفة .

وكانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف فاشتراها يزيد بن عبد الملك .
وكانت مغنية حازقة جميلة ظريفة تقول الشعر . فما رأيت خصالا أربيع اجتمعن في
امرأة مثليها : حسن وجهها ، وحسن غنائها ، وحسن شعرها ، وحذقها .

وعن جميلة أخذت الغناء . وخرجت معها للماحجت .

وقال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قریش فكانت تمر
بي جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها الغناء .

(١) أي ما تريد في عنقي حتى أفعله .

وعن الزبير قال : كانت بالمدينة سلامة ، من أحسن الناس وجها ، وأتمن
عقلا ، وأحسنهن حديثا ، قد قرأت القرآن وروت الأشعار وقالت الشعر . وكان
عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يختلفان إليها فيرويانها الشعر
وينشدانها إياه . فعלת الأحوص وصدت عن عبد الرحمن . فقال لها عبد الرحمن
يعرض لها بما ظنه من ذلك :

أرى الإقبال منك على خليلي ومالي في حديثكم نصيب
فأجابته :

لأن الله علّقه فؤادي فحاز الحب دونكم الحبيب
فقال الأحوص :

خليلي لا تلمها في هواها ألد العيش ما تهوى القلوب
فأضرب عنها ابن حسان وخرج ممتدحا يزيد بن معاوية ، فأكرمه وأعطاه .
فلما أراد الانصراف قال : يا أمير المؤمنين ، عندي نصيحة . قال : وما هي ؟
قال : جارية خلقتها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ،
ولا تصلح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سماره . فأرسل إليها يزيد ، فاشتريت
له وحملت إليه . فوقع منه موقعا عظيما ، وفضلها على جميع من عنده . وقدم
عبد الرحمن المدينة ، ومر بالأحوص وهو قاعد على باب داره . وهو مهموم ، فأراد
أن يزيد به فقال :

يا مبتلى بالحب مفدوحا لاقى من الحب تباريحا
أجله الحب فما ينثنى إلا بكأس الشوق مصبوحا
وصار ما يعجبه مغلقا عنه وما يكره مفتوحا
قد حازها من أصبحت عنده ينال منها الشم والريحا
خليقة الله . فسل الهوى وعز قلبا منك مجروحا

فأمسك الأحوص عن جوابه . ثم إن شابين من بنى أمية أرادا الوفاة إلى يزيد . فأتاهما الأحوص فسألها أن يحملها له كتابا ، ففعلا . فكتب إليها معهما :

سلام ، ذكرك ملصق بلساني	وعلى هواك تعودني أحزاني
مالي رأيتك في المنام مطيعة	وإذا انتبهت لججت في العصيان
أبداً محبك ممسك بفؤاده	يخشى اللجاجة منك في الهجران
إن كنت عاتبة فإني معتب	بعد الإساءة فاقبلي إحساني
لا تقتلي رجلا يراك لئلا به	مثل الشراب لغملة الظمان
ولقد أقول لقاطنين من اهلنا	كانا على خلقى من الإخوان
يا صاحبي على فؤادي جمره	وبرى الهوى جسمي كما تريان
أمرقيان إلى سلامة أنما	ما قد لقيت بها وتحتسبان
لا أستطيع الصبر عنها إنها	من مهجتي نزلت بكل مكان

قال : ثم غلبه جزعه فخرج إلى يزيد ممتدحاً له . فلما قدم عليه قرّبه وأكرمه وبلغ لديه كل مبلغ . فدست إليه سلامة خادماً وأعطته مالا على أن يدخله إليها . فأخبر الخادم يزيد بذلك . فقال : امض برسالتها . ففعل ما أمره به وأدخل الأحوص . وجلس يزيد بحيث يراها . فلما بصرت الجارية بالأحوص بسكت إليه وبكى إليها وأمرت فآلقت له كرسي فقعد عليه ، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة الشوق ، فلم يزالا يتحدثان إلى السحر ويزيد يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما ريبة ، حتى إذا هم بالخروج قال :

أمسى فؤادي في هم وبلبال	من حُب من لم أزل منه على بال
فقلت : صحا المحبون بعد النأي إذ ينسوا	وقد يئست وما أصحو على حال
فقال : من كان يسو يأس عن أخى ثقة	فعن سلامة ما أمسيت بالسالى

فقلت : والله والله لا أنساك يا سَكْنِي حتى يفارق مني الروحُ أو صالى
فقال : والله ما خابَ من أمسى وأنتِ له يا قرة العين في أهل وفي مال
ثم ودَّعها وخرج . فأخذه يزيد ودعا بهما . فقال : أخبراني عما كان جرى
بينكما في ليلتكما وصدقاني . فأخبراه وأنشده ما قالوا . فلم يحرفا حرفا ولا غيرا
شيئا مما سمعه . فقال له يزيد : أتحبها يا أحوص ؟ قال : إى والله يا أمير المؤمنين :
حباً شديداً تليدا غير مطرف بين الجوانج مثل النار يضطرم
فقال لها : أتحبينه ؟ قالت نعم يا أمير المؤمنين :

حبا شديداً جرى كالروح في جسدى فهل يُفَرِّق بين الروح والجسد
فقال يزيد : إنكما لتصفان حبا شديداً . خذها يا أحوص فهي لك ، ووصله
بصلة سنية ، وانصرف بها وبالجارية إلى الحجاز ، وهو من أقر الناس عينا .
واشترى جعفر بن سليمان الزرقاء صاحبة ابن رامين بثمانين ألف درهم
وسترها عن أبيه ، وأبوه يومئذ على البصرة في خلافة المنصور ، وقد تحرك في
تلك الأيام عبد الله بن عليّ ، فهجم عليهما يوما سليمان بن عليّ ، فخبأ العود
تحت السرير ودخل . فقال له : ويحك ، نحن على هذه الحال نتوقع الصيلم ، وأنت
تشتري جارية بثمانين ألف درهم . وأظهر له غضبا عليه وتسخطا لما فعل . فغمر
خادما كان على رأسه وأخرجهما إلى سليمان . فأكبت على رأسه فقبلته ودعت له ،
وكانت عاقلة مقبولة متكلمة . فأعجبه ما رأى منها وقام عنهما فلم يعد لمعاتبته ابنة
بعد ذلك ولما مضت لها مدة عند جعفر سألها يوما : هل ظفرك منك أحد ممن كان
يؤاك بخلوة أو قبلة ؟ فخشيت أن يبلغه شيء كانت فعلته بحضرة جماعة أن يكون
بلغه ، فقلت : لا والله إلا يزيد بن عون العبادى الصيرفى ، فإنه قبلنى قبلة وقذف
فى فى لؤلؤة بعثها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفر يحتال له حتى وقع فى يده
فضربه بالسياط حتى مات .

وقال سليمان الخشاب : دخلت منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريته ،
وهي وصيفته ، حين شالت نهودها ثوبها عن صدرها ، لهاشارب كأنه خط بمسك ،
يلحظه الطرف ويقتصر عنه الوصف ، وابن الأشعث الكوفي يلقي عليها ، والغناء له :
أية حال يابن رامين حال المحبين المساكين
تركهم موتى وما موتوا قد جرعوا منك الأمرين

سلامة القس

كانت مولدة من مولدات المدينة ، وبها نشأت . وأخذت الغناء عن معبد
وابن عائشة وجميلة ومالك بن أبي السمع وذويهم ، فمهرت .
وإنما سميت سلامة القس لأن رجلا يعرف بعبد الرحمن بن أبي عمار
الحبشي من قراء أهل مكة ، وكان يلقب بالقس لعبادته ، شغف بها وشهر ،
فغلب عليها لقبه .
واشترها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان ، وعاشت بعده . وكانت
إحدى من انهم به الوليد من جوارى أبيه حين قال له قَتَلْتَهُ : ننقم عليك أنك
تطأ جوارى أبيك .
وكانت سلامة تقول الشعر . وعن جميلة أخذت الغناء . وُقِنَت القس بسلامة
وفيها يقول :

أهابك أن أقول بذات نفسي ولو أتى أطيع القلب قالاً
حياء منك حتى سُلَّ جسمي وشقَّ عليَّ كتمانِي وطالاً
وسألها عبدُ الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار القس أن تغنيه بشعر مدحها

به ففعلت ، وهو :

ما بال قلبك لا يزال يهيجه ذكرى عواقب غيهن سقام
 إن التي طرفتك بين ركائب تمشي بمزهرها وأنت حرام
 لتصيد قلبك أو جزاء مودة إن الرفيق له عليك زمام
 بانث تعلمنا وتحسب أننا في ذاك أيقاظ ونحن نيام
 ولما قدم يزيد بن عبد الملك مكة وأراد شراء سلامة القس وعرضت عليه،
 أمرها أن تغنيه ، فكان أول صوت غنته :

إن التي طرفتك بين ركائب تمشي بمزهرها وأنت حرام
 فاستحسنه يزيد فاشتراها .

ولما قدم عثمان بن حيان المرى المدينة والياً عليها . قال له قوم من وجوه الناس :
 إنك قد وليت على كثرة من الفساد ، فإن كنت تريد أن تصلح فطهرها من
 الغناء والزنا . فصاح في ذلك وأجل أهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة . وكان
 ابن أبي عتيق غائباً ، وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح . فلما كان آخر
 ليلة من الأجل قدم . فقال : لا أدخل منزلي حتى أدخل على سلامة القس .
 فدخل عليها . فقال : ما دخلت منزلي حتى جئتمكم أسلم عليكم . قالوا : ما أغفلك
 عن أمرنا ؟ وأخبروه الخبر . فقال : اصبروا على الليلة . فقالوا : نخاف ألا
 يمكنك شيء وننكظ^(١) . قال : إن ختمت شيئاً فخرجوا في السحر . ثم خرج
 فاستأذن على عثمان بن حيان . فأذن له . فسلم عليه وذكر له غيبته وأنه جاءه
 ليقضى حقه . ثم جزأه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والزنا وقال : أرجو
 ألا تكون عملت عملاً هو خير لك من ذلك . قال عثمان : قد فعلت ذلك وأشار
 به على أصحابك فقال : قد أصبت . ولكن ما تقول أمتع الله بك في امرأة كانت

(١) يقال ! ننكظه ، إذا أهمله عن حاجته .

هذه صناعتها وكانت تُسكّره على ذلك. ثم تركته وأقبلت على الصلاة والصيام والخير،
وأتى رسولها إليك تقول: أتوجه إليك وأعوذ بك أن تخرجني من جوار رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومسجده. قال: فإني أدعها لك ولكلامك. قال ابن أبي
عتيق: لا يدعك الناس، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها، فإن
رأيت أن مثلها ينبغي أن يترك تركتها. قال: نعم. فجاء بها وقال لها: اجعلي
معك سُبُحَة وتخشعي. ففعلت. فلما دخلت على عثمان حدثته، وإذا هي من أعلم
الناس بالناس، وأعجب بها، وحدثته عن آبائه وأمورهم. ففككها لذلك. فقال لها
ابن أبي عتيق: اقرئي للأُمير. فقرأت له. فقال لها: احدي له، ففعلت. فكثر
تعجبه. فقال: كيف لو سمعتها في صناعتها. فلم يزل ينزله شيئاً فشيئاً حتى أمرها
بالغناء. فقال لها ابن أبي عتيق: غني. فغنت:

سَدَدَن خَصَاصَ الْحَلِيمِ لَمَّا دَخَلْتَهُ بِكُلِّ لَبَانٍ وَاضِحٍ وَجَبِينِ^(١)

فغنته. فقام عثمان من مجلسه فقعده بين يديها. ثم قال: لا والله ما مثل هذا
يخرج. قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، يقولون: أقر سلامة وأخرج غيرها.
قال: فدعوهم جميعاً. فتركوهم جميعاً.

وعن ابن أبي فروة قال: قدمت رسل يزيد بن عبد الملك المدينة فاشترؤا
سلامة المغنية من آل رُمَانة بعشرين ألف دينار. فلما خرجت من ملك أهلها
طلبوا إلى الرسل أن يتركوها عندهم أياماً ليجهزوها بما يشبهها من حلّ وثياب
وطيب وصبغ. فقالت لهم الرسل: هذا كله معنا، لا حاجة بنا إلى شيء منه،
وأمرؤها بالرحيل. فخرجت حتى نزلت سقاية سليمان بن عبد الملك. وشيعها الخلق
من أهل المدينة، فلما بلغوا السقاية قالت للرسل: قَوْمٌ كانوا يغشونني ويسلمون عليّ.

(١) الخاض: الخروقي واللبان: الصدر.

ولا بد لي من وداعهم والسلام عليهم . فأذن للناس عليها ، فانقضوا حتى ملئوا
رحبة القصر ووراء ذلك ، فوقفت بينهم ومعها العود فغنتهم :

فارقوني وقد علمتُ يقيناً ما لِمَن ذاقَ مِيتَةً من إيابِ
إنَّ أهلَ الخضابِ قد تركوني مولعا موزعا بأهل الخضاب
أهلُ بيتٍ تتابعوا للمنايا ما على الدهر بعدهم من عتاب

فلم تزل تردد هذا الصوت حتى راحت ، وانتحب الناس بالبكاء عند ركوها .
وعن رجل من بني نوفل قال : قدمت في جماعة من قريش على يزيد بن
عبد الملك ، فألفيته في علته التي مات فيها بعد وفاة حبابة . فنزلنا منزلاً لاحقاً
بقصر يزيد . فكنا إذا أصبحنا بعثنا بمولى لنا يأتينا بخبره . وربما أتينا الباب
فسألنا . فكان يثقل في كل يوم . فإنا لقي منزلنا ليلة إذ سمعنا همساً من بكاء . ثم
يزيدُ ذلك . ثم سمعنا صوت سلامة القس وهي رافعة صوتها تنوح وتقول :

لا تلمنا إن خشعنا أو هممنا بخشوع
قد لعمرى بت ليلي كأخي الداء الوجيع
كلما أبصرت ربعاً خاليا فاضت دموعي

ثم صاحت : وأمير المؤمنين . فعلمنا وفاته .

وحدث من حضر الوليد بن يزيد وهو يسأل سلامة أن تغنيه شعرها في يزيد ،
وهي تتنقص من ذلك وتدمع عيناها . فأقسم عليها فغنته . فقال لها الوليد : رحم
الله أبى وأطال عمرى وأمتعنى بحسن غنائك يا سلامة . . . بم كان أبى يقدم عليك
حبابة ؟ قالت : لا أدري والله . قال لها : لكنى والله أدري . ذلك بما قسم الله
لها . قالت : يا سيدى . أجل .

ولما ملك يزيد بن عبد الملك حبابة وسلامة القس تمثل :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عيناً بالأياب المسافر
ثم قال : ماشاء بعدُ من أمر الدنيا فليقتلني .

سلسل

مولى بنى هاشم

ليس لسلسل خبر يدوّن ، ولا هو من المشهورين ، ولا ممن خدم الخلفاء ،
أو دُوّن له حديث .

سلسل

مولاة محمد بن حرب

كانت من أحسن الناس وجهاً وغناء . وكانت لبعض المغنين بالبصرة .
وكان محمد بن حرب الهلالي يتعشقها . ولم تكن مولاته .

وحدث حمّاد بن إسحاق قال : أتى أبان بن عبد الحميد الشاعر رجلاً
بالبصرة وله قينة يقال لها سلسل ، فصادف عندها محمد بن قطن الهلالي وعثمان
ابن الحكم بن صخر الثقفي فقال :

فَنتت سلسل قلب ابن قطن ثم ثنّت بابن صخر فافتن
فأتيتُ اليوم كي أنقذهم فإذا نحن جميعاً في قرن
فتوهم أنها مولاة محمد بن حرب .

سالمك

مغن فارسی

أول من غنى رملا بالفارسية سالمك في أيام الرشيد ، استحسناً لحناً من ألحان ابن محرز ، فنقل لحنه إلى الفارسية وغنى فيه .

ابن سلمة الزهرى

التقى ابن سلمة الزهرى والأخضر الجدى ببيت الفصح ، فقال ابن سلمة : هل لك في الاجتماع نستمتع بك ؟ فقال الأخضر : لقد كنت إلى ذلك مشتاقاً . فقعدا يتحدثان ، فمر بهما أبو السائب فقال : يا مطربى الحجاز ، أليس كان اجتماعكما ؟ فقالا : لغير موعد كان ذلك ، أفئونسنا ؟ فقعدوا يتحدثون . فلما مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلمة : يا أبا الأزهر ، قد أبهرت الليل وساعدك القمر ، فوقع ببقية ابن سريج وأصب مغناك . فاندفع يغنى :

تجنّت بلا جرم وصدت تغضباً . وقالت لتربيها مقالة غائب

سيعلم هذا أننى بنت حرة . سأمنع نفسى من ظنون كواذب

فقلولى له عنا تنحّ فإننا . أبيات فحش طاهرات المناسب

فجعل أبو السائب يقول : أبشر حبيبي فلأنت أفضل من شهداء قزوين . ثم قال ابن سلمة للأخضر : نعم المساعد على هم الليل أنت ، فوقع بنوح ابن سريج ولا تعد مغناك . فاندفع يغنى :

فلما التقينا بالحجون تنفست . تنفس محزون الفؤاد سقيم

وقالت وما يرقا من الخوف دمعه . أقاطعها أم أنت غير مقيم

فإنا غداً نُحْدِي بنا العيس بالضحى وأنت بما تلقاه غيرُ عليم
فقطّع قلبي قولها ثم أسبلت محاجرُ عيني دمعها بسُجُوم
فجعل أبو السائب يتأفف ويقول : أعتق ما أملك إن لم تكن فردوسية
الطينة ، وأنها بعلمها لأفضل من آسية امرأة فرعون .

سليمي

كانت عزة الميلاء تغني أغاني القيان من القدام مثل سلمى .

سليم (١)

أخو بابويه

صوت

هل تذكرين عقيل أو أنساكه بعدى تقلبُ ذا الزمان المفسد
يومي ويومك بالعميق إذ الهوى مّا جميعُ الشمل لم يتبدّد
الغناء لسليم أخى بابويه ثقیل أول بالوسطى .

صوت

كواكب دجن كلما انقض كوكبٌ بدا وانجلت عنه الدجّة كوكب
الغناء لسليم أخى بابويه ثانی ثقیل .

سليم بن سلام

أبو عبد الله الكوفي

كان سليم بن سلام كوفياً ، وكان أبوه من أصحاب أبي مسلم صاحب الدولة ودعائه وثقاته . فكان يكتب أهل العراق على يده .

وكان حسن الوجه حسن الصوت . وقد انقطع وهو أمرد إلى إبراهيم الموصلي ، فقال إليه وتعشقه ، فعلمه وناصحته . فبرع وكثرت روايته وصنع فأجاد .

وكان إسحاق يهجو ويطن عليه .

واتفق له اتفاق سيء ، كان يخدم الرشيد فيتفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وقليح بن العوراء وحكم الوادي ، فيكون بالإضافة إليهم كالساقط .

وكان من أبخل الناس ، فلما مات خلف جملة عظيمة وافرة من المال ، فقبضها السلطان عنه .

وقال الرشيد ليرصوما الزامر ، وكانت فيه لُكنة : ما تقول في ابن جامع ؟ قال : زق من أسل ، يريد من غسل . قال : فإبراهيم ؟ قال : بسنان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيزيد حوراء ؟ قال : ما أبيد أسنانه - يريد ما أبيض - قال : فحسين بن محرز ؟ قال : ما أهش خطامه - يريد ما أحسن خضابه - قال : فسليم بن سلام ؟ قال : ما أنظف ثيابه .

وإنما أخر سليماً عن أصحابه في الصفة ولعه بالأهزاج ، فإن ثلثي صنعة هزج . وله من ذلك ما ليس لأحد منهم .

وغنى سليم يوماً بين يدي الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج ولأء ، أولها :

.. رمّت على من غبت عنه أسفا ..

والثاني : .. أسرفت في الإعراض والهجر ..

والثالث : .. أصبح قلبي به ندوب ..

فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم وقال : لو كنت الحكم الوادي ما زدت على هذا الإحسان في أهزاجك . يعني أن الحكم كان منفردا بالهزج .

وحدث أبو الحواجب الأنصاري قال : قال لي سليم يوماً : امض إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادعه ، ووافياني مع الظهر . فجتنا مع الظهر فأخرج إلينا ثلاثين جارية محسنة ونبينا ، ولم يُطعمنا شيئاً ، ولم نكن أكلنا شيئاً . فغمز موسى غلامه ، فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً ، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل . فدخل علينا ، فلما رأنا نأكل غضب وخاصمنا وقال : أهكذا يفعل الناس ، تأكلون ولا تطعمونني . وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا ، حتى فنى الخبز والبيض .

وحدث اليزيدي قال : كان سليم بن سلام صديقي ، وكان كثيراً ما يغشاني ، فجاء في يوماً ، وأعلمني الغلام بمجيئه . فأمرت بإدخاله ، فدخل وقال : قد جئتكم في حاجة . فقلت : مقضية . فقال : إن المهرجان بعد غد ، وقد أمرنا بحضور مجلس الخليفة ، وأريد أن أغنيه لحناً أصنعه في شعر لم يعرفه هو ولا من بحضرته . فقل أحياناً أغنى فيها ملاحاً . فقلت : على أن تقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن . قال : أفعل . فردوا دابته وأقام عندي . وقلت :

أَتَيْتَكَ عَائِناً بِكَ مِنْكَ لَمَّا ضَاقتِ الْحَيْلُ
وَصِيرَنِي هَوَاكَ وَبِي لَحْمِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ
فَإِنْ سَلِمْتَ لَكُمْ نَفْسِي فَمَا لَأَقِيَّتُهُ جَلَلُ
وَإِنْ قَتَلَ الْهَوَايَ رَجُلًا فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ
فَفَعْنِي فِيهِ وَشَرَبْنَا يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِ ، وَغَنَانَا عِدَّةَ أَصْوَاتٍ مِنْ غَنَائِهِ ، فَمَا رَأَيْتُهُ
مَنْذُ عَرَفْتُهُ كَانَ أَنْشَطَ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ .

سليمان

آخر أحيحة

صوت

إِلَهِي مَنْحَتَ الْوَدِّ مَنَى بِخَيْلَةٍ وَأَنْتَ عَلَى تَغْيِيرِ ذَاكَ قَدِيرٌ
شِفَاءُ الْهَوَى بِثُ الْهَوَى وَاشْتِكَاؤُهُ وَإِنْ أَمْرًا أَخْفَى الْهَوَى لَصَبُورُ

الغناء لسليمان أخى أحيحة • خفيف ثقيل أول بالبنصر .

سليمان

غلام محمد بن راشد

حدث محمد بن راشد الخنّاق قال : إني لفي منزلي يوما مع الظهر إذ دخل عليّ
إسحاق بن إبراهيم الموصلي . فسررت بمكانه . فقال : قد جاءت بي إليك حاجة .

قال : قلت : قل ماشاء الله . قال : دعنى فى بيتك ودع غلاميك عندى : بديحا
وسليمان ، وكانا خادمين مغنيين ، ومرهما أن يغنيانى .

سليمان المصاب

صوت

هما فتاتان لما يعرفا خلقى وبالشباب على شيبى يدلان
كل الفعال الذى يفعلنه حسن يُضنى فؤادى ويبدى سرَّ أشجاني
بل احذرا صولة من صول شيخكما مهلا عن الشيخ مهلا يافتاتان
فيه لسليمان المصاب رمل كان يغنيه . فدس الرشيد اليه إسحاق حتى أخذه
منه . وقيل : بل دس عليه ابن جامع .

سليمان بن سليم

قال كثير بن المحول : كان مغنيان بالمدينة يقال لأحدهما : فليح بن أبي
العوراء ، والآخر سليمان بن سليم .
وكان بوادى القرى جماعة من المغنيين فيهم عمر بن زاذان ، وحكم بن يحيى
وسليمان . وكل هؤلاء كان يصنع فيحسن .

سمحة

جارية إسحاق الموصلي

حدث محمد بن عبد الله بن مالك قال : كنا يوما جلوسا عند إسحاق ، فغننتنا جارية يقال لها سمحة :

إن العيون التي في طرفها مرض قتلنا ثم لم يُحمين قتلانا

سمير الأبل

كان سليمان بن عبد الملك مستلقيا على فراشه في الليل وجارية له إلى جنبه ، وعليها غلالة ورداء معصفران وعليها وشاحان من ذهب ، وفي عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت . وكان سليمان بها مشغوبا ، وفي عسكره رجل يقال له سمير الأبل يغني . فلم يفكر سليمان في غنائه . شغلا بها وإقبالا عليها ، وهي لاهية عنه لا تُجيبه مُصغية إلى الرجل ، حتى طال ذلك عليه . فقول وجهه عنها مُغضبا ثم عاد إلى ما كان مشغولا عن فهمه بها . فسمع سميرا يغني بأحسن صوت وأطيب نغمة :

محجوبة سمعت صوتي فأرقها	من آخر الليل حتى شقها السهر
تدني على جيدها ثني معصرة	والحلى منها على لباتها خصر
في ليلة النصف ما يدري مضاجعها	أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوى على قدم	تكاد من رقة للمشي تنفطر

سنان الكاتب

صوت

يأيها القلب المطيع الهوى أتى اعتراك الطربُ النازحُ
تذكرُ جملاً فإذا ما نأت طار شعاعاً قلبك الطامح
الشعر للأعشى . ولسنان الكاتب لحن .

وخرج الوليد إلى متصيد له فأقام به . ومات له ابن يقال له : مؤمن بن الوليد . فلم يقدر أحد أن ينعهاء إليه . حتى ثمل فنعهاء إليه سنان الكاتب ، وكان مغنياً .

سندس

عتب المأمون على مؤنسة ، فخرج إلى الشَّامَسية منزها وخلفها عند أحمد ابن يوسف الكاتب . فرجت أن يذكرها إذا صار في منزله فيُرسل في حملها . فلم يفعل وتمادى في عتبه . فسألت أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً ترفعه إليه . فقال :

يا سيداً فقدُهُ أغرى بي الحزنُ لا ذقتُ بعدك لا نوماً ولا وسناً
لا زلت بعدك مطوياً على حزن أشنا المقامَ وأشنا الأهلَ والوطنَ
ولا التذذتُ بكأس في مُنادمة مُذْ قِيلَ لي إنّ عبد الله قد ظفنا
ولا أرى حسناً تبدو محاسنه إلا تذكرت شوقاً وجهك الحسن

و بعثت به إلى إسحاق الموصلي فغنّاه به . وقيل : بل بعثت به إلى سندس ،

فغنّته به .

سندة الخياط

حدث إبراهيم بن محمد الشافعي قال : جاء سندة الخياط المغنى إلى الأفلح الخزومي ، وكان يوصف بعقل وفضل . فقال له : من أين أقبلت وإلى أين تمضى ؟ فقال : إليك قصدت من مجلس لبعض القرشيين ، أقبلت محاكاً إليك . قال : فيماذا ؟ قال : كنت عند هذا الرجل وحضرت مجلسه رقطاع الحبطين وصفراء العلقميين . فتناولنا بينهما مل ابن سريح :

ليت شعري كيف أبقى ساعة مع ما ألقى إذا الليل حَضَرَ
من يذق نوماً ويهدأ ليلة فلقد بدلت بالنوم السهر
قلت مهلاً إنها جنية إن تخالطها تفز منها بشر

فغنايه جميعاً واختلفنا في تفضيلها . ففضل كل فريق منا إحداها . فرضينا جميعاً بحكمك . فاحكم بينهما وبيننا . قال : فوجم ساعة . وأهل الحجاز إذا أرادوا أن يحكموا تأملوا ساعة ثم حكموا ، فإذا حكم المحكم مضى حكمه كائناً ما كان ، ففضل من فضله وأسقط من أسقطه . إذا تراضى الخصمان به - فكره الأفلح أن يرضى قوماً ويسخط آخرين . فقال لسندة : صفهما أنت ، كيف كانتا إذ غنتاه واشرح لي مذهبهما فيه كما سمعت . وأنا أحكم بعد ذلك . فقال سندة : أما جارية الحبطين فإنها كانت تلوك لحنه كما يلوك الفرس العتيق لجامه . ثم تلقيه في هامة لدنة ثم تخرجه من منخر أغن ، والله ما ابتدأته فتوسطته وأنا أعقل . ولا فرغت منه فأفقت إلا وأنا أظن أني رأيته في نومي .

وأما صفراء العلقميين فإنها أحسنهما حلقاً ، وأصحهما صوتاً ، وألينهما تشنئاً . والله ما سمعها أحد قط فانتفع بنفسه ولا دينه . هذا ما عندي فاحكم أنت يا أخا بني مخزوم . فقال : قد حكمت بأنهما بمنزلة العينين في الرأس فبأيهما نظرت أبصرت .

سياط

أبو وهب

سياط لقب غلب عليه ، واسمه عبد الله بن وهب . ويكنى أبا وهب . مكى
مولى خزاعة . وكان مقدما فى الغناء ، رواية وصنعة . ومقدما فى الضرب معدودا
فى الضراب .

وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلى . وعنه أخذنا ونقلنا ، ونقل نظراؤهما
الغناء القديم . وأخذ هو عن يونس الكاتب .

وكان سيات زوج أم ابن جامع . وفيه يقول بعض الشعراء :

ما سمعت الغناء إلا شجاني من سيات وزاد فى وسواسي

غنى . ياسيات قد ذهب الليل غناء يطير منه نعباس

ولقب سيات هذا اللقب لأنه كان كثيرا ما يتغنى :

كان مزاحف الحيات فيه قبيل الصبح آثار السيات

وغنى إبراهيم الموصلى صوتا لسياط . فقال له ابنه إسحاق : لمن هذا الغناء

يا أبى . قال : لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئا يأكله ، لسياط .

وقال المهدي يوما وهو يشرب لسلام الأبرش : جئني بسياط وعقاب وحبال .

فارتاع كل من حضر وظن جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو بيعضهم . فجاء بسياط

المغنى وعقاب المدنى ، وكان الذى يوقع عليه ، وحبال الزامر . فجعل الجلساء

يشتمونهم والمهدي يضحك .

ومر سيات على أبى ريحانة المدنى فى يوم بارد ، وهو جالس فى الشمس ،

وعليه ثوب رقيق رث . فوثب إليه أبو ريحانة وقال : بأبى أنت يا أبا وهب ، غنى

صوتك فى شعر ابن جنوب :

فؤادى رهين فى هواك ومهجتى تذوب وأجفانى عليك هُمول

فغناه إياه . فشق قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس ، وقد ازداد برداً وجهداً . فقال له رجل : ما أغنى عنك ماغنأك من شق قميصك ؟ فقال له : يابن أخى ، إن الشعر الحسن من المغنى الحسن ذى الصوت المطرب أدفاً للمقرور من حمام محمى . فقال له رجل : أنت عندى من الذين قال الله جل وعز : « فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » . فقال : بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى : « الذين يَستمعون القول فيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ »

واعتل سباط علة ، فجاءه إبراهيم الموصلى وابن جامع يعودانه . فقال له إبراهيم : أعزز على بعلتك أبا وهب ، ولو كانت مما يفتدى لفديتك منها . قال : كيف كنت لكم ؟ قلنا : نعم الأستاذ والسيد . قال : قد غنيت لنفسى ستين صوتاً فأحب ألا تغيروها ولا تنتحلوها . فقال له إبراهيم : أفعل ذلك يا أبا وهب ، ولكن أى ذلك كرهت ، أن يكون فى غنائك فضل فأقصر عنه فيعرف فضلك على فيه ، أو أن يكون فيه نقص فأحسنه فينسب إحسانى إليك ويأخذ الناس عنى لك ؟ لقد استعفيت من غير مكروه .

وحدث النضر بن حديد أن إخوانا لسياط دعوه فأقام عندهم ومات . فأصبحوا فوجدوه ميتاً فى منزلهم . فجاءوا إلى أمه وقالوا : يا هنه ، إنا دعونا ابنك لنكرمه ونسرّبه ونأنس بقربه ، فمات فجأة ، وهما نحن بين يديك ، فاحتكمى ما شئت ، ونشدناك الله ألا تعرضينا للسلطان أو تدعى فيه علينا ما لم نفعله . فقالت : ما كنت لأفعل ، وقد صدقتم . وهكذا مات أبوه فجأة . قال : فجاءت معنا فحملته إلى منزلها . فأصلحت أمره ودفنته .

سيرين

كأبت عزة الميلاء تغنى أغاني القيان من القدائم مثل سيرين .

شاجن

جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

كانت إحدى المحسنات المبرزات المقدمات ، وذلك يتخريجه وتأديبه .
وكان بها معجباً ولها مقدماً .

وحدث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه ، لما صنعت
جاريته شاجن اللحن الذي يجمع النغم العشر ، بطنبي وحبيب ، جاريتي أخيه سليمان
ابن عبد الملك بن طاهر ، حتى أخذتا اللحن عنه ونقلناه إليه . وألقاه على جواريه
قال : ولم يزل يرأسني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر النغم العشر
ويسألني عنها وأشرحها له حتى فهمها جيداً وجمعها في صوت صنعه في شعر
دريد بن الصمة :

يا ليتني فيها جَذع أخب فيها وأضع

ولما اختلت حال عبيد الله كان المعتضد يتفقده بالصلات الفينة بعد الفينة .
واتفق يوماً كان فيه مصطبحاً أن غنى بصوت الصنعة فيه لشاجن جارية
عبيد الله فكتب إليه كتاباً يقسم أن يأمرها بزيارته . ففعل .

فحدث من حضر من المغنيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد ، قالت :
دخلت إلينا وما منا إلا من يرفل في الحلى والحلل ، وهي في أثواب ليست كشيابنا

فاحتقرناها، فلما غنت احتقرنا أنفسنا. ولم تزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجلبل وصرنا كلا شيء.

ولما انصرفت أمر لها المعتضد بمال وكسوة. ودخلت إلى مولاها فجعل يسألها عن أمرها وما رأته مما استطرفت وسمعت مما استغربت. فقالت: ما استحسننت هناك شيئاً ولا استغربته من غناء ولا غيره، إلا عوداً من عود مفحور، فأني استطرفته.

قال جحظه: فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمد عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عود.

وكان المعتضد إذا استحسن شعراً بعث به إلى شاجن فتغنى فيه. وكانت صنعتها تسمى في عصره غناء الدار.

وماتت شاجن في حياة عبید الله بن عبد الله بن طاهر، وكان عليلاً، فقال يرثيها:

يميناً يقيناً لو بليت بفقدها وبى نبض عرق الحياة أو النكس
لأوشكت قتل النفس قبل فراقها ولكنها ماتت وقد ذهبت نفسى

شاج

جارية أمية بن الأسكر

لها غناء.

شارية

كانت مولدة من مولدات البصرة. يقال إن أبها كان رجلاً من بني سامة

ابن لؤى المعروفين ببني ناجية وأنه جردها ، وكانت أمها أمة فدخلت في الرق .
وقيل : بل سرقت فبيعت فاشتريها امرأة من بني هاشم فأدبتها وعلمتها الغناء .
ثم اشتراها إبراهيم بن المهدي فأخذت غناؤه كله أو أكثره عنه . وبذلك يحتج
من يقدمها على عريب .

ويقال إن إبراهيم خرّجها ، وكان يأخذها بصحة الأداء لنفسه ولمعرفة
ما يأخذها به . ولم تكن هذه حال عريب ، لأن المرادى لم يكن يقارن إبراهيم في
العلم ولا يقاس ببعضه فضلا عن سائره .

وحدث عيسى بن هارون أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية
من ولد جعفر بن سليمان ، فحملتها لتبيعها ببغداد ، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم
الموصلى . فأعطى بها ثلثمائة دينار . ثم استغلاها بذلك ولم يردها . فحجىء بها إلى
إبراهيم بن المهدي فعرضت عليه فساوم بها . فقالت مولاتها : قد بذلتها لإسحاق
ابن إبراهيم بثلثمائة دينار ، والامير أعزه الله أولى بها . فقال : زنوا لها ما قالت .
فوزن ثم دعا بقيمتها .

وقيل إنها كانت تدعى أنها من بني زهرة . فحجىء بها إلى بغداد وعرضت
على إبراهيم بن المهدي فأعجب بها إعجابا شديداً . فلم يزل يعطى بها حتى بلغت
ثمانية آلاف درهم .

قال هبة الله بن إبراهيم : ولم يكن عند أبي درهم ولا دينار ، فقال لى :
ويحك ، قد والله أعجبتنى هذه الجارية إعجابا شديداً ، وليس عندنا شيء . فقلت
له : تبيع ما تملكه حتى الخرف وتجمع ثمنها . فقال لى : قد تذكرت فى شيء ،
اذهب إلى على بن عشاء فأقرئه منى السلام وقل له : جعلنى الله فداءك . قد عرضت
على جارية وقد أخذت بمجامع قلبى وليس عندى ثمنها ، فأحب أن تقرضنى
عشرة آلاف درهم .

وكانت أمها خبيثة ، فكانت كلما لم يعط إبراهيم ابنتها ما تشتهي ذهبت إلى عبد الوهاب بن علي ، ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم أن تأخذ ابنتها من إبراهيم .

وابتاع إبراهيم من ابنته ميمونة شارية بعشرة آلاف درهم وستر ذلك عنها . فكان عتقه إياها وهي في ملك غيره . ثم ابتاعها من ميمونة ، فحل له فرجها . فكان يطؤها على أنها أمته وهي تتوهم أنه يطؤها على أنها حرة . فلما توفي طلبت مشاركة بنت محمد بن خالد مولاته وزوجته في الثمن . فأظهرت خبرها . وأخبرت ميمونة هبة الله عن الخبر ، فأخبر به المعتصم . فابتاعها من ميمونة . فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار . وحولت إلى داره . فكانت في ملكه حتى توفي المعتصم . وحدث حمدون بن إسماعيل أنه دخل على إبراهيم يوما فقال له : أتعجب أن أسمعك شيئا لم تسمع مثله قط ؟ فقلت : نعم . فقال : هاتوا شارية . فخرجت . فأمرها أن تغني لحن إسحاق :

* هل بالديار التي قد جئتها أحد *

قال حمدون : فغنتني شيئا لم أسمع مثله .

وكانت شارية أحسن الناس غناء منذ توفي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق . وكانت شارية خاصة بصالح بن وصيف . فلما بلغه رحيل موسى بن بغا الجبل ، يريد به بسبب قتله المعتز ، أودع شارية جوهرة . فظهر لها جواهر كثير بعد ذلك . فلما أوقع موسى بصالح استترت شارية عند هارون بن شعيب العكري ، وكان أنظف خلق الله طعاما وأسراهم مائدة وأسخاهم في كل شيء بعد ذلك . وكان له بسر من رأى منزل وكان له فيه بستان كبير . وكانت شارية تسميه أبي ، وتزوره إلى منزله ، فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه حتى الحصير التي تقعد عليه . وكانت شارية من أكرم الناس لمن عاشرها .

وكان أهل سرمن رأى منحازين : فتقوم مع شارية وقوم مع عريب ، لا يدخل أصحاب هذه في هؤلاء ولا أصحاب هذه في هؤلاء . وكان أبو الصقر إسماعيل عريبيًا . فدعا على بن الحسين يوم الجمعة أبا صقر وعنده عريب وجواريه . فاتصل الخبر بشارية . فبعثت بجواريها إلى على بن الحسين بعد يوم أو يومين ، وأمرت إحداهن أن تغنى :

لا تعدُّ بعدُ بعدها فأرى كيف أصنع
فلما سمع على الغناء ضحك وقال : لست أعود .

وغنت شارية يوما المعتمد بشعر مولاها إبراهيم بن المهدي :
يا طول علة قلبي المعتمد ألف الكرام وصحبة الأجماد
فقال لها : أحسنت والله . فقالت : هذا غنسائي وأنا عارية . فكيف لو كنت كاسية . فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصة . فحمل ذلك إليها .

شاطرة

زوجة منصور زلزل

الحب أول ما يكون حاجة تأتي به وتسوقه الأقدار
حتى إذا سلك الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تُطاق كبار
فيه لشاطرة امرأة منصور زلزل تقيل أول بالوسطى .

شجرا

حدث المهلبى أنه كان عند الواثق فغنته شجرا .
وحدث إسحاق الموصلى أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهرى . وأرسل
الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجى إليه فى الصوت الذى أمرنى به بأن
أغنى فيه ، وهو :

* لقد بخلت حتى لو أنى سألتها *

فغنيته إياه . فأمر لى بمائة ألف درهم . فخرجت وأقت ما شاء الله ليس
أحد من مغنيهم يقدر أن يأخذ هذا الصوت منى . فلما طال مقامى قلت له :
يا أمير المؤمنين ، أليس أحد من هؤلاء المغنين يقدر أن يأخذ هذا الصوت منى .
فقال لى : ولم ؟ ويحك . فقلت : لأنى لا أصححه ولا تسخو نفسى به لهم . فما
فعلت الجارية التى أخذتها منى - يعنى شجرا - وهى التى كان أهداها إلى الواثق
وعمل مجرد أغانيها وجنسه ونسبه إلى شعرائه ومغنيه . فقال : وكيف ؟ قال : لأنها
تأخذ منى ويأخذونه هم منها . فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكن .

وحدث المهلبى قال : كنت عند الواثق فغنته شجرا - التى وهبها له إسحاق :

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس

أوحشت بعد أهلها فهى قفر بسابس

شعف

غلام دعبل

كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع . وقد أفادوا نرى

وكان الشراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه .
وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه ودعا بغلاميه : ثقيف وشعف ،
وكانا مغنيين . فأقعدهما يغنيانه .

شمنين

حدث أحمد بن الطيب السرخسي قال : حضرت مجلس محمد بن علي بن
طاهر وحضرته مغنية يقال لها : شنين مشهورة ، فغنت :
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
ثم غنت بعده :

* لقد عجبت سلمى وذاك عجيب *

فقلت لها : ما أكثر تعجب سلمى هذه . فعلمت أنني أعبت بها لا سمح جوابها ،
فقلت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة :

فهلكُ القتي أن لا يُراح إلى ندى وأن لا يرى شيئا عجيبا فيعجبا
فعجبت والله من جوابها وحدته وسرعته وقلت لمن حضر : والله لو أجاب
الجاحظ هذا الجواب لكان كثيرا منه مستظرفا .

شهدة أم عاتكة

عن حماد بن إسحاق عن أبيه أنه ذكر عاتكة بشت شهدة يوما فقال : كانت
أضرب من رأيت بالعود . ولقد مكثت سبع سنين أختلف إليها في كل يوم
فتضاربني ضربا أو ضربين . ووصل إليها مني ومن أبي أكثر من ثلاثين ألف درهم

وكانت أحسن خلق الله غناء وأرواهم . وماتت بالبصرة . وأمها شهيدة فائحة من أهل مكة .

وكان ابن جامع يلوذ منها بكثرة الترجيع . فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له : إلى أين يا أبا القاسم ؟ ماهذا الترجيع الذى لا معنى له . عدبنا إلى معظم الغناء ودع من جنونك . فأضجرتة يوما بين يدي الرشيد . فقال لها : إني أشتهى — علم الله — أن تحتك شعرتى بشعرتك . فقالت : اخسأ ، قطع الله ظهرك ، ولم تعد لأذاه بعد .

وعن بعض المغنين قال : كنا ليلة عند الرشيد ومعنا ابن جامع والموصلى وغيرهما ، وعنده في تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن على . فتغنى المغنون ، ثم اندفع محمد بن داود فغنائه بين أضعافهم :

أم الوليد سلبتني حلمي وقتلتني فتخوفني إئمى
بالله يأم الوليد أما نخشين في عواقب الظلم
وتركتني أنى الطيب وما لطيبنا بالداء من علم
خفى إهلك في ابن عمك قد زودته سقما على سقم

فاستحسن الرشيد الصوت واستحسنه جميع من حضره وطر بوا له . فقال له الرشيد : يا حبيبي ، لمن هذا الصوت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، سل هؤلاء المغنين . وحياتك ما أدري إلا أنى أخذته من شهيدة جارية الوليد أم عاتكة بنت شهيدة . وحدث على بن جعفر بن محمد قال : دخلت على جوارى المروانى المغنيات بمكة . وعاتكة بنت شهيدة تطارحن لحنها :

يا صاحبي دعا الملامة واعلما أن الهوى يدع الكرام عبيدا
فجعلت واحدة منهن تقول : « يدع الرجال عبيدا » . فصاحت بها عاتكة

بنت شهدة : ويلك ، بNDAR الزيات العاض بظر أمه رجل ، أفن الكرام هو ؟
قال : فكنت إذا مر بي بNDAR أورايت غلبني الضحك فاستحي منه وأخذ بيده
وأجعل ذلك بشاشة . حتى أورث هذا بيني وبينه مقاربة فكان يقول : أبو
الحسن على بن جعفر صديق لى .

وكان مخارق مملوكا لعاتكة وهى عامته الغناء ووضعت يده عل العود ثم باعته
فانتقل من ملك رجل إلى ملك آخر حتى صار إلى الرشيد .

صفراء العلقميين

جاء سنده اخياط المغنى إلى الأفلح الخزومى ، وكان يوصف بعقل وفضل ،
قال له : من أين أقبلت وإلى أين تمضى : فقال : إليك قصدت من مجلس لبعض
القرشين أقبلت محكما إليك . قال : فيماذا ؟ قال : كنت عند هذا الرجل
وحضرت مجلسه رقطاء الحبطين وصفراء العلقميين ، فتناولتا بينهما رمل
ابن سريج :

ليت شعرى كيف أبقي ساعة مع ما ألقى إذا الليل حضر
من ينق نوما ويهدأ ليلة فلقد بدلت بالنوم السهر
قلت مهلا إنها جنية إن تُخالطها تفز منها بشر

فغنياه جميعا واختلفنا فى تفضيلهما . ففضل كل فريق منا إحداهما . فرضينا
جميعا بحكمك فاحكم بينهما وبيننا . قال : فوجم ساعة - وأهل الحجاز إذا أرادوا
أن يحكموا تأملوا ساعة ثم حكموا ، فإذا حكم المحكم مضى حكمه كائنا ما كان .
ففضل من فضله وأسقط من أسقطه إذا تراضى الخصمان به - فكره الأفلح أن

يرضى قوما ويسخط آخرين . فقال اسندة : صفهما أنت لى كيف كانتا إذ غنتاه
واشرح لى مذهبها فيه كما سمعت ، وأنا أحكم بعد ذلك . فقال اسندة : أما جارية
الحبطين فإنها كانت تلوك لحته كما يلوك الفرس العتيق لجامه ثم تلقيه فى هامة لدنة
ثم تخرجه من منخر أغن . والله ما ابتدأته فتوسطنه وأنا أعقل ، ولا فرغت منه
فأفقت إلا وأنا أظن أنى رأيتة فى نومي .

وأما صفراء العلقمين فإنها أحسنهما حلقا وأصحهما صوتا وألينهما تشنبا .
والله ما سمعها أحد قط فانتفع بنفسه ولا دينه .

هذا ما عندى فاحكم أنت يا أخا بنى مخزوم . فقال : قد حكمت بأنهما بمنزلة
العنين فى الرأس فأيهما نظرت أبصرت . ولو كان فى الدنيا من عبيد بن سريج
خلف لكاتنا . قال : فانصرفوا جميعا راضين بحكمه .

الضبط

حدث عبد الله بن المعتز قال : كانت خزامى جارية الضبط المغنى تنادمنى
وأنا حدث .

ضعف

حدث إبراهيم بن المهدي قال : أرسل إلى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى
الصيف مقمرة : يا عم ، إن الحرب بينى وبين طاهر بن الحسين قد سكنت ، فصر
إلى فإنى إليك مشتاق . فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة ، وعنده سليمان بن

جعفر عليه كساء روذباری وقلنسوة طويلة، وجواریه بین یدیه، وضعف جاریته
عنده فقال لها : غنینی فقد سررت بعمومتی . فاندفعت تغنيه :
هم قتلوه کی یكونوا مكانه كما فعلت یوما بكسری مراربه
بنی هاشم كيف التواصل بیننا وعند أخیه سیفه ونجائبه
فغضب وتطیر وقال لها : ما قصتك ويحك ، انثنی وانتهی وغنینی مما
یسرنی . فاندفعت وغنت :

هذا مقام مطرد هدمت منازلہ ودوره
فازداد تطیرا ، ثم قال لها : ويحك ، انتهی غنینی غیر هذا . فغنت :
کلیب لعمری کان أكثر ناصرا وأیسر جرما منك ضرج بالدم
فقال لها : قومی إلى لعنة الله . فوثبت . وكان بین یدیه قدح بلور ، وكان
لحبه إياه سماه باسمه « محمدا » فأصابه طرف ذیلها فسقط علی بعض الصوانی فانكسر
وتفتت . فأقبل علی وقال : أرى والله یاعم أن هذا آخر أيامنا . فقلت : كلا ،
بل یبقیك الله یا أمیر المؤمنین ویسرك .

ضعف

جارية موسى بن خاقان

كانت ضعف إحدى الحسنات . ومن أوائل صنعتها وصدور أغانيها وما
برزت فيه وقدمت فاخترت صنعتها فی شعر جمیل :

أمنك سرى یا یثن طیف تأوبا هدوا فهاج القلب شوقا وأنصبا
عجبت له أن زار فی النوم مضجعی ولو زارنی مستيقظا کان أعجبا

وكان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان له مؤثرا مقدما . فأصاب منه معروفا كثيرا وأجازه بجوائز سننية هناك ، وقبل ذلك . ثم إنه وجد عليه في بعض الأمر فجناه وظهر له منه بعض ما لم يحبه . فرجع حينئذ إلى بغداد وقال :

إن كان عبد الله خلانا لا مبدئا عرفا وإحسانا
فحسبنا الله رضىنا به ثم بعبد الله مولانا
— يعنى عبد الله الثانى المأمون — وغنت فيه جارية ضعف . وسمعه المأمون
فاستحسنه ووصله وإياها .

طبائع

جارية الوائق

كان الوائق يسميها سنن . وكانت تعلم فريدة ، فلم تُبق في تعليمها غاية ، إلى أن وقع بينهما شيء بحضرة الوائق . فخلعت أنها لا تنصحها ولا تنصح أحدا بعدها . فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتا إلا تقصت منه نعمة .

طبائع

جارية محمد بن سهل

قالت : غنيت إسحاق في لحنه :
أعرفت أطلال الرسوم تنسكت بعدى وغبر آبهن دثورا

فأنكر عليّ من مقاطعه شيئاً وقال : ممن أخذته؟ فقلت : من مخارق . فقال :
ليس كما تحدث الخراز ، بل هو كما أقول لك ، وردّه عليّ . فهو يقال كما يقول مخارق
وكما غيره إسحاق .

ابن طنبورة

صوت

أبي القلب اليماني الذي تحمد أخلاقه
ويرفض له اللحن فما تفتق أرتاقه
غزال أدعج العين ربيب خدج لساقه
رمانى فسبى قلبى وأرميه فأشتاقه
لابن طنبورة فيه ثقل أول بالنصر .

طنبي

جارية سليمان بن عبد الملك بن طاهر

حدث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتمد بعث إليه لما صنعت
جاريته شاجن اللحن الذى يجمع النغم العشر ، بطنبي وحبيب ، جاريتي أخيه
سليمان بن عبد الملك بن طاهر ، حتى أخذتا اللحن عنه ونقلتااه إليه وألقاه على جواريه .

طويس

طويس لقب غلب عليه . واسمه عيسى بن عبد الله . وكنيته أبو عبد المنعم ،
وغيرها المختشون فجعلوها أبا عبد النعم .

وهو مولى بنى مخزوم . وكان يلقب بالذائب . وإنما لقب بذلك لأنه غنى :

قد يرانى الحب حتى كدت من وجدى أذوب

وأول من غنى بالعربى بالمدينة طويس . وهو أول من ألقى الخنث بها .

وكان طويلا أحول . وكان لا يضرب بالعود ، وإنما كان ينقر بالدف . وكان

ظريفا عالما بأمر المدينة وأنساب أهلها . وكان يتقى للسانه .

وسئل عن مولده فذكر أنه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفطم يوم مات أبو بكر ، وختن يوم قتل عمر ، وزوج يوم قتل عثمان ، وولد له

يوم قتل على ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وقال طويس : كانت أمى تمشى بين نساء الأنصار بالخميمة .

وأول غناء عناه وهزج به :

كيف يأتى من بعيد وهو يخفيه القريب

نازح بالشام عنا وهو مكسال هيوب

واجتمع يوما جماعة بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويسا ،

فقالوا : كان وكن . فقال رجل : أما لو شاهدتموه لرأيتم ما تسرون به : علما

وظرفا وحسن غناء وجودة نقر بالدف ويضحك كل ثكلى حراء .

وكن بالمدينة مخنث يقال له النقش . فقيل لمروان : إنه لا يقرأ من كتاب الله

شيئا . فبعث إليه يومئذ ، وهو على المدينة ، وقال من جاءنى بمخنث فله عشرة

دنانير ، فأتى بطويس وهو في بني الحارث بن الخزرج من المدينة ، وهو يغني
بشعر حسان بن ثابت :

لقد هاج نفسك أشجانها وعاودها اليوم أديانها
تذكرت هنداً وما ذكرها وقد قطعت منك أقرانها
وقفت عليها فساءلها وقد ظعن الحى ما شأنها
قصدت وجاب من دونها بما أوجع القلب أعوانها

فأخبر بمقالة مروان فيهم ، فقال : أما فضلى الأمير عليهم بفضل حتى جعل
فى وفيهم أمرا واحدا . ثم خرج حتى نزل السويداء على ليلتين من المدينة فى طريق
الشام . ولم يزل بها عمره . وعمر حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك .

وكان عبد الله بن جعفر معه إخوان له فى عشية من عشايا الربيع . ف راحت
عليهم السماء بمطر جود . فانسال كل شىء . فقال عبد الله : هل لكم فى العقيق ،
وهو منزله أهل المدينة فى أيام الربيع والمطر . فركبوا دوابهم ثم انهبوا اليه . فانهم
لينتظرون إذ هاجت السماء . فقال عبد الله لأصحابه . ليس معنا جنة نستجن
بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا . فهل لكم فى منزل طويس فإنه قريب منا
فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكننا . وطويس فى النظارة يسمع كلام عبد الله . فقال
له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : جعلت فداك ، وما تريد من طويس عليه
غضب الله ، مخنت شائن لمن عرفه . فقال له عبد الله : لا تقل ذلك فإنه مليح خفيف
لنا فيه أنس . فلما استوفى طويس كلامهم تعجل إلى منزله فقال لامرأته : ويحك ،
قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس ، فما عندك ؟ قالت : نذبح هذه العتاق .
فبادر فذبحها وعجنت هى . ثم خرج فتلقاها مقبلا اليه . فقال له طويس : يابى
أنت وأمى هذا المطر . فهل لك فى المنزل فنستكن فيه إلى أن تكف السماء ؟ قال :

إياك أريد . فتحدثوا حتى أدرك الطعام . فأكل وأكل القوم . فلما غسلوا أيديهم قال : يا أبى أنت وأمى . أمشى معك وأغنيك . قال : افعل ياطويس . فأخذ ملحفة فأنزرها وأرخص ذنبتين ثم أخذ المربع فتمشى وأنشأ يغنى :

يا خليلي نابني سهدى لم تنم عيني ولم تسكد
كيف تلحوني على رجل أنس تلتذه كبدي
مثل ضوء البدر طلعت له ليس بالزميلة النكد

فطرب القوم وقالوا : أحسنت والله ياطويس . ثم قال : أتدرى يانسيدى لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله ما أدري لمن هو إلا أنى سمعت شعرا حسنا . قال : هو لفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت وهى تتعشق عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام المخزومي وتقول الشعر . فنكس القوم رؤوسهم وضرب عبد الرحمن برأسه . فلو شقت الأرض له لدخل فيها خالداً .

وقدم ابن سريج المدينة فجلس يوما فى جماعة وهم يقولون : أنت والله أحسن الناس غناء . إذ مر بهم طويس فسمعهم وما يقولون . فاستل دفة من حضنه ونقره وتغنى :

إن المُنْخْشَةَ التى مرت بنا قبل الصباح
فى حلة موشية مكية غرثى النوشاح
زين لمشهد قطرهم وتزينهم يوم الأضاحى
فقال ابن سريج : هذا والله أحسن الناس غناء لا أنا .

وتبع طويس جارية فراوغته . فلم ينقطع عنها . فحبت فى المشى . فلم ينقطع عنها . فلما جازت بمجلس وقفت ثم قالت : يا هؤلاء ، لى صديق ولى زوج ومولى ينكحنى ، فسلوا هذا ما يريد منى ؟ فقال : أضيق ماقد وسعوه . ثم جعل يتغنى :

أفق يا قلب عن جمل وجمل قطعت حبلى
أفق عنها فقد عنيدت حولاً في هوى جمل
وكيف يفيق محزون بجمل هائم العقل
براه الحب في جمل فحسب الظن من ثقل
وحسبي فيك ما ألقى من التفنيد والعدل
وقدما لأمنى فيها فلم أحفل بهم أهلى

وكان طويس ولما بالشعر الذى قالته الأوس والخزرج في حرو بهم ، وكان يريد بذلك الإغراء . فقلَّ مجلس اجتمع فيه هذان الحبيبان فغنى فيه طويس إلا وقع فيه شيء . فتهبى عن ذلك . فقال : والله لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسدونى التراب . وذلك لكثرة تولع القوم به . فكان يبدى السرائر ويخرج الضغائن . فكان القوم يتشاءمون به . وكان يستحسن غناؤه ولا يصبر عن حديثه ويستشهد على معرفته . فغنى يوما بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو :

رد الخليط الجبال فانصرفوا ماذا عليهم لو انهم وقفوا
لو وقفوا ساعة نسائلهم ريث يضحى جماله السلف
فليت أهلى وأهل أئمة فى الدار قريب من حيث نختلف
فلما بلغ إلى آخر بيت غنى فيه طويس من هذه القصيدة ، وهو :

أبلغ بنى جحجى وقومهم خطمة أنا وراءهم أنف
تكلموا وانصرفوا . وجرت بينهم دماء . وانصرف طويس من عندهم سليماً
لم يكلم ولم يقل له شيء .

ووفد أبان بن عثمان على عبد الملك بن مروان ، فأمره على الحجاز ، فأقبل

حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلها . وخرج إليه أشرافها . فخرج معهم طويس
فلما رآه سلم عليه ثم قال : أيها الأمير ، إنى كنت أعطيت الله عهداً لأن رأيتك
أميراً لا خضبن يدي إلى المرفقين ثم أتردد بالدف بين يديك . ثم أبدى عن
دفعه وتغنى بشعر ذى جدين الحميرى :

مايال أهلك بارياب خزرا كأنتهم غضاب
فطرب أبان حتى كاد أن يطير . ثم جعل يقول له . حسبك ياطاوس ، ولا
يقول له : طويس ، لنبله فى عيینه عنه .

ظبية

كان معيد قد علم جارية من جوارى الحجاز الغناء ، وهى ظبية ، وعنى
بتخريبها ، فاشتراها رجل من أهل العراق . فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك .
فاشترها رجل من أهل الأهواز . فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه .
ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان ، وأخذ جواريه أكثر غنائها
عنها . فكان لمحبتها إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ،
ويظهر التعصب له والميل إليه والتقديم لغنائها على سائر أغاني أهل عصره ، إلى أن
عرف ذلك منه .

عاتكة

جارية يونس الكاتب

علمها يونس أول صوت وقع له .

عاتكة بنت شهدة

كانت عاتكة بنت شهدة مدنية . وأمه شهدة جارية الوليد بن يزيد ، وكانت مغنية أيضا .

وحدث إبراهيم الموصلي قال : كانت أضرب من رأيت بالعود . ولقد مكثت سبع سنين أختلف إليها في كل يوم . فصار بني ضربا أو ضربين . وكانت أحسن خلق الله لغناء ، ومن أرواهم . وماتت بمكة . وقال علي بن جعفر : دخلت على جوارى المرواني المغنيات بمكة . وعاتكة بنت شهدة تطارحن لحنها :

يا صاحبي دعا الملامة واعلما أن الهوى يدع الكرام عبيدا
وكان مخارق مملوكا لعاتكة ، وهي عامته الغناء ووضعت يده على العود ثم باعته .

ابن عائشة

أبو جعفر محمد

يكنى أبا جعفر . ولم يكن يعرف له أب فكان ينسب إلى أمه ، ويلقبه من عاداه أو أرادوا سبه : ابن عاهة الدار .

وكان هو يزعم أن اسم أبيه جعفر . وليس يعرف ذلك . وعائشة أمه مولاة : لكثير بن الصلت الكندي ، حليف قريش ، وقيل إنها مولاة لآل المطلب بن أبي وداعة السهمي . وكان لغير رشدة . فكانوا إذا سمعوا غناء قالوا : أحسن ابن المرأة .

وقال الوليد بن يزيد لابن عائشة : يا محمد ، ألعنة أنت ؟ قال : كانت أُمِّي
يا أمير المؤمنين ماشطة ، وكنت غلاما ، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا :
ارفعوا هذا لابن عائشة . فغلبت على نسي .

وكان يفتن كل من سمعه . وكان فتیان من المدينة قد فسدوا في زمانه
بمحادثة ومجالسته .

وقد أخذ عن معبد ومالك . ولم يموتا حتى ساواهما ، على تقديمه لهما واعترافه
بفضلهما . وقد قيل إنه كان ضاربا . ولم يكن بالجلد الضرب . وقيل : بل كان
مرتجلا لم يضرب قط . وابتدأه بالغناء كان يضرب به المثل ، فيقال للابتداء الحسن
كأننا ما كان ، من قراءة قرآن أو إنشاء شعر أو غناء يبدأ به فيستحسن : كأنه
ابتداء ابن عائشة .

وقال إسحاق : سمعت علماءنا قديما وحديثا يقولون : ابن عائشة أحسن
الناس ابتداء . وأنا أقول : إنه أحسن الناس ابتداء وتوسطا وقطعا بعد أبي
عباد معبد ، وقد سمعت من يقول : إن ابن عائشة مثله ، وأما أنا فلا أجسر على
أن أقول ذلك .

وكان ابن عائشة غير جيد الدين . فكان أكثر ما يغنى مرتجلا . وكان
أطيب الناس صوتا .

وعن المكي قال : ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حلوقا : ابن عائشة ،
وابن يزن ، وابن أبي الكنت .

وعن صالح بن حسان أنه ذكر يوما المغنين بالمدينة فقال : لم يكن بها أحد
بعد طويس أعلم من ابن عائشة ولا أظرف مجلسا ولا أكثر طيبا . وكان يصلح
أن يكون نديم خليفة وسمير ملك .

ابن أبي عباد

حدث يونس الكاتب قال : أقبلت من عند معبد فلقيني ابن محرز ببطحان
فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند معبد . فلقيني ابن أبي عباد فقال :
ما أخذت عنه ؟ قلت : غنيّ صوتاً فأخذته . قال : وما هو ؟ قلت :
ماذا تأمل واقف جملاً في ربيع دار عافه خدمه
فقال لي : ادخل معي دار ابن هرمة وألقه عليّ . فدخلت معه ، فمازلت
أردده حتى غناه .

عبادة المخنث

وقال المتوكل لمروان الأصغر : بحياتي إن حضرك شيء فهاته ولا تقصر في
شتمه . فقال مروان :

لعمرك ما الجهم بن بدر بشاعر وهذا عليّ بعده يدعى الشعرا
فضحك وقال : زده بحياتي . فقال فيه :

يا بن بدر يا عليه قلت إني قرشيه
قلت ما ليس بحق فاسكني يانبطيه
اسكتي يابنت جهم اسكتي ياحلقية

فأخذ عبادة هذه الأبيات فغناها على الطبل وجاوبه من كان يغني والمتوكل
يضحك ويضرب يديه ورجليه .

العباس بن مقام

صوت

ويلي على ساكن شط الصراه من وجنتيه شمت برق الحياه
(١٣ — مهذب)

ما ينقضى من عجب فكرتى فى خصلة فرط فيها الولاه
ترك المحبين بلا حاكم لم يقعدوا للعاشقين القضاء
الشعر لاسماعيل القراطيسى . والغناء لعباس بن مقام خفيف رمل بالوسطى .

العباس بن منقار الرؤاسى

أمنى تخاف انتشار الحديث وحظى فى ستره أوفر
ولولم أصنه لبقيا عليك نظرت لنفسى كما تنظر
فيه ثانى ثقل ينسب إلى حسين بن محرزو إلى عباس بن منقار .

عبدال

غلام علوية

حدث الأبرارى قال : أتيت علوية يوما بالعشى فقال : إني صنعت البارحة
لحنا أعجبني فاسمعه وقلوا فيه ما عندكم . وغنانا فقال :

هزئت عميرة أن رأت ظهري انحنى

وذؤابتى علت بماء خضاب

ثم استؤذن لعنت غلام أحمد بن يحيى بن معاذ . فأذن له . ومع عثت
كتاب من مولاه أحمد بن يحيى : سمعت ياسيدى منك صوتا عند أمير المؤمنين
يعنى المعتصم . فأحب أن تتفضل وتطرحه على عبدك عثت وهو :

فواحسرتا لم أقض منك لبانة ولم أتمتع بالجوار وبالقرب

يقولون هذا آخر العهد منهم فقلت وهذا آخر العهد من قلبي

وإذا مع الحسين رقعة من مولاه : سمعتك ياسيدي تغني عند الأمير أبي
إسحاق إبراهيم بن المهدي : مرة قالته : ما بقيت في الدنيا
ألا يا حماتي قصر دوران هجما بقلبي الهوى لما تغنيما ليا
أحب أن تطرحه على عبدك حسين . قال : فدعا بغلام له يسمى عبدال
فطرحه عليهما حتى أحكماه . ثم عرضاه عليه حتى صح لهما .

عبد الله بن إسماعيل المراكبي

كانت عريب لعبد الله بن إسماعيل ، صاحب مراكب الرشيد ، وهو الذي
رباها وأدبها وعلمها الغناء

عبد الله بن دحمان

هو عبد الله بن دحمان الأشقر المغني .

كان في جنبة إبراهيم بن المهدي ومتعصبا له . وكان أخوه الزبير في جنبة
إسحاق الموصلي ومتعصبا له . فكان كل واحد منهما يرفع من صاحبه ويشبه
بذكرة . فعلا الزبير بتقديم إسحاق له ، لتمكن إسحاق وقبول الناس منه . ولم
يرتفع عبد الله بذكرة إبراهيم له مع غض إسحاق منه
وكان الزبير على كل حال يتقدم أخاه عبد الله .
وعن حماد عن أبيه قال : كان أبي كثيراً ما يقول : ما رأيت أقل عقلا ومعرفة
ممن يقول : إن دحمان كان فضلا . والله ما يساوي غناؤه كله فلسين . وأشبهه
الناس صوتا وصنعة وبلادة وبردا ابنه عبد الله . ولكن المحسن والله الجمال
المؤدى الضارب المطرب ابن الزبير .

وكان أبو إسحاق يؤثر عبد الله بن دحمان ويقدمه ، وإذا سمع صوتاً عرضه على أبي إسحاق فيقومه له ويصلحه ، مضادة لأخيه الزبير .

عبد الله بن طاهر

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : لم يحب أبي أن يشيع عنه شيء من هذا ولا ينسب إليه ، لأنه كان يترفع عن الغناء ، وما جس بيده وترّاً قط ولا تعاطاه ، لكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة ما لا يعرفه كبير أحد . وبلغ من علم ذلك إلى أن صنع أصواتاً كثيرة فألقاها على جواريه فأخذنها عنه وغنين بها وسمعها الناس منهم ومن أخذ عنهم .

فلما أن صنع هذا الصوت :

هلا سقيتم بنى جرم أسيركم نفسي فداؤك من ذى غلة صادى

نسبه إلى مالك بن أبي السمع .

وكان لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها راحة ، فكانت ترغب إلى عبد الله بن طاهر لما ندبه المأمون إلى مصر . وكانت تغنيه ، وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذته المغنون عنها ورووه لمالك مدة . ثم قدم عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون وغنى الصوت بحضرته ونسب إلى مالك . فضحك عبد الله ضحكا كثيراً . فسئل عن القصة فصدق فيها واعترف بصنعه الصوت . فكشف المأمون عن ذلك . فلم يزل كل من سئل عنه يخبر عن أخذته فتنتهى القصة إلى راحة ثم تقف ولا تعدوها . فأحضرت راحة وسئلت فأخبرت بقصته . فعلم أنه من صنعه حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك .

ويقال : إن إسحاق لم يعجب من شيء عجبه من عبد الله وحذقه بمذاهب
الأوائل وحكاياتهم .

عبد الله بن العباس بن الفضل الربيعي

قال أبو عبد الله بن العباس : دعاني المتوكل فلما جلست مجلس المنادمة
قال لي : يا عبد الله ، تغن . فغنيت في شعر مدحت به . فقال : أين هذا من
غنائك في :

* أماطت كساء الخبز عن حُوجِها *

ومن صنعتك في :

* أقفر ممن يحله سرف *

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن صنعتي حينئذ كانت وأنا شاب عاشق ، فإن استطعت
أن ترد شبابي وعشقي صنعت مثل تلك الصنعة . فقال : هيهات ، وقد لعمري
صدقت . ووصلني .

وقال : رآني الرشيد مشغوفاً بالغناء في شعر أبي العتاهية .

وقال : أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مصعب . فلما جلست واطمأننت
أخرج إليّ خادمه رقعة فقال : اقرأ ما فيها واعمل بما رسمه الأمير أعزه الله . فقرأت بها
فاذا فيها قوله :

يرتاح للذجن قلبي وهو مُقتسم بين الهموم ارتياح الأرض للمطر

إني جعلت لهذا الذجن نخلته أن لا يزول ولي في اللهو من وطر

وتحت هذين البيتين : تقدم ، جعلت فداك ، إلى من يحضرتك من المغنين

بأن ينعون في هذين البيتين . وألقى جميع ما يصنعونه على فلانة ، فإذا أخذته فأنفذها إلى مع رسولى . فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير أعزه الله . فهل صنع فيهما أحد قبلى ؟ فقال : نعم ، إسحاق الموصلى . فقلت : والله لو كلف إبليس أن يصنع فيهما صنعة يفضل إسحاق فيها بل يساويه بل يقاربه ما قدر على ذلك ولا بلغ مبلغه . فضحك حتى استلقى ، وقال : صدقت والله ، وهكذا يقول من يعقل لا كما يقول هؤلاء الحمقى . ولكن اصنع فيهما على كل حال كما أمر . فقلت : أفعل وقد برئت من العهدة . فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القرادين .

وقال : كان سبب دخولى فى الغناء وتعلمى إياه أنى كنت أهوى جارية لعمتى رقية بنت الفضل بن الربيع ، فكنت لا أقدر على ملازمتها والجلوس معها خوفاً من أن يظهر ما لها عندى فيكون ذلك سبب منعى منها . فأظهرت لعمتى أننى أشتهى أن أتعلم الغناء ويكون ذلك فى ستر عن جدى . وكان جدى وعمتى فى حال من الرقة على والمحبة لى لا نهاية وراءها ، لأن أبى توفى فى حياة جدى الفضل . فقالت : يا بنى ، وما دعاك إلى ذلك ؟ فقلت : شهوة غلبت على قلبى إن منعت منها مت غماً . وكان لى فى الغناء طبع قوى . فقالت لى : أنت أعلم وما تختاره ، والله ما أحب منعك من شىء ، وإنى لكارهة أن تحنق ذلك وتشهر به فتسقط ويفتضح أبوك وجدك . فقلت : لا تخافى ذلك فإنما آخذ منه مقدار ما أهوى به . ولازمت الجارية لمحبتى إياها بعلة الغناء ، فكنت آخذ عنها وعن صواحبها ، حتى تقدمت الجماعة حذقاء وأقررن لى بذلك ، وبلغت ما كنت أريد من أمر الجارية . وصرت ألازم مجلس جدى ، فكان يسر بذلك ويظنه تقر بآمنى إليه . وإنما كان وكندى فيه أخذ الغناء . فلم يكن يمر لإسحاق ولا لابن جامع ولا للزبير بن دحمان

ولا لغيرهم صوت إلا أخذته . فكنت سريع الأخذ ، وإنما كنت أسمع مرتين
أو ثلاثاً وقد صح لي . وأحسست من نفسى قوة فى الصناعة ، فصنعت أول صوت
صنعتة فى شعر الرجز :

أماطت كساء الخزع عن خروجهها وأدنت على الخدين برداً مهلهلاً
ثم صنعت فى :

أقتر من بعد حلة سرف فالنحنى فالعقيق فالجرف

وعرضتهما على الجارية التى كنت أهواها وسألتهما عما عندهما فيهما . فقالت :
لا يجوز أن يكون فى الصنعة شئ فوق هذا . وكان جوارى الحارث بن بسخر ،
وجرارى ابنه محمد يدخلن إلى دارنا فيطرحن على جوارى عمى وجوارى جدى
و يأخذن أيضاً منى ما ليس عندهن من غناء ، فسمعنى ألقى هذين الصوتين على
الجارية ، فأخذتهما منى . وسألن الجارية عنهما ، فأخبرتني أنهما من صنعى . فسألتهما
أن أصححهما لهن . ففعلت . فأخذتهما عنها . ثم اشتهرا حتى غنى الرشيد بهما يوماً
فاستظرفهما ، وسأل إسحاق : هل تعرفهما ؟ فقال : لا وإنما لمن حسن الصنعة ،
وجيدها ومتقها . ثم سأل الجارية عنهما ، فتوقفت خوفاً من عمى وحذراً أن يبلغ
جدى أنها ذكرتني . فانتهرها الرشيد . فأخبرته بالقصة . فوجه من وقته فدعا
بجدى . فلما أحضره قال له : يا فضل ، أياكون لك ابن يفتنى ثم يبلغ فى الغناء المبلغ
الذى يمكنه معه أن يصنع صوتين يستحسنهما إسحاق وسائر المغنيين ويتداولهما
جوارى القيان ولا تعلمنى بذلك ، كأنك رفعت قدره عن خدمتى فى هذا الشأن ؟
فقال له جدى : وحق ولأنت يا أمير المؤمنين ونفسك وإلا فأنا نفى منهما برىء
من بيعتك ، أو على العهد والميثاق والعق والطلاق إن كنت علمت بشئ من هذا
قط إلا منك الساعة . فمن هذا من ولدى ؟ قال : عبد الله بن العباس هو .

فأحضرني الساعة . فجاء جدى وهو يكاد ينشق غيظاً فدعاني . فلما خرجت إليه شتمنى وقال : يا كلب ، أبلغ من أمرك ومقدارك أن تجسر على أن تتعلم الغناء بغير إذن ، ثم زاد ذلك حتى صنعت ، ولم تقنع بهذا حتى ألقيت صنعتك على الجوارى فى دارى ، ثم تجاوزتهن إلى جوارى الحارث بن بسخر فاشتهرت ، وبلغ أمرك أمير المؤمنين فتسكروا لى ولامنى ، وفضحت أباك فى قبورهم وسقطت الأبد إلا من المغنين . فبكيت غماً بما جرى وعلمت أنه قد صدق . فرحمى وضمنى إليه وقال : قد صارت الآن مصيبتى فى أهلك مصيبتين : أحدهما به وقد مضى وفاق ، والآخرى بك وهى موصولة بحياتى . وبكى وقال : عز على يابنى أن أراك أبداً ما بقيت على غير ما أحب ، وليست له فى هذا الأسر حيلة ، لأنه أمر قد خرج عن يدي . ثم قال : جئنى بعود حتى أسمعك وأنظر كيف أنت ، فإن كنت تصلح للخدمة فى هذه الفضيحة وإلا جئته بك منفرداً وعرفتته خبرك واستغفيتها لك . فأتيته بعود وغنيته غناء قديماً . فقال : لا بل غنّ صوتيك اللذين صنعتهما . فغنيته إياها . فاستحسنهما وبكى ثم قال : بطلت والله يابنى وخاب أملى فيك ، فواحسرتى عليك وعلى أهلك . فقلت له : ياسيدى ، ليتنى مت من قبل ما أنكرته أو خرست ، ولكنى وحياتك لا غنيت أبداً إلا خليفة أو ولى عهد . ثم ركب . وأمرنى فأحضرت فوقفت بين يدي الرشيد وأنا أرعد . فاستدنانى حتى صرت أقرب الجماعة إليه . وما زحنى وأقبل علىّ وسكن منى وأمر جدى بالانصراف وأمر الجماعة فحدثونى . وسقيت الجماعة وغنى المغنون جميعاً . فأومأ إلى إسحاق الموصلى بعينه : أن ابداً فغن إذا بلغت النوبة قبل أن تؤمر بذلك ليكون أصلح وأجود بك . فلما جاءت النوبة إلىّ أخذت عوداً من كان إلى جانبي وقت قائماً واستأذنت فى الغناء . فضحك الرشيد وقال : غن جالسا . فجلست وغنيت حتى الأول . فطرب واستعاده

ثلاث مرات وشرب عليه ثلاث أنصاف . ثم غنيت الثانى . فكانت هذه حلله
وسكر . فدعا بمسرور فقال له : احمل الساعة مع عبد الله عشرة آلاف دينار
وثلاثين ثوباً من فاخر ثيابه وعيية مملوءة طيباً . فحمل ذلك أجمع معى .
حتى كان الواصل فدعانى فى أيام المعتصم وسأله أن يأذن له فى الغناء . فأذن له
ثم دعانى من الغد فقال : ما كان غناؤك إلا سبباً لظهور سرى وسر الخلفاء قبلى ،
ولقد هممت أن أمر بضرب رقبتك ، لا يبلغنى أنك امتنعت عن الغناء عند أحدك ،
فوالله لأن يبلغنى لأقتلنك . فأرحنا من يمينك . واستفتيت فى يمينى أبابؤسف القاضى
حتى خرجت منها ، وغنيت بعد ذلك إخوانى جميعاً حتى اشتهر أمرى .
وقال : أنا أول من غنى بالكنكة فى الإسلام ووضعت هذا الصوت عليها
أتانى يؤامرنى فى الصبو ح ليلا فقلت له غادها

عبد الله بن موسى الهادى

كان أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء . وكان له غلام أسود يقال له قلم ،
فعلمه الصوت وحذقه . فاشتريته منه أم جعفر بثمائة درهم .
وحدث دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثقيف الخادم
الأسود ، مولى الفضل بن الربيع ، نضارب مولاى عبد الله بن موسى ، وقد أخذ
النبيذ من الجماعة ، فضرب عبد الله وثقيف صوتاً فاختلفا فيه وتشاجرا . فقال
عبد الله : كذا أخذته من منصور زلزل . وقال ثقيف : كذا أخذته منه . وطل
تشاجرها فيه . وكان ثقيف معربداً يذهب عقله من أدنى شىء يشربه . وكان
عبد الله بن موسى أيضاً معربداً . فغضب ثقيف ورفع العود وهو لا يعقل فضرب
به رأس عبد الله بن موسى ، فطوقه إياه . وابتدر خدم عبد الله ، فقال لهم عبد الله

ابن موسى : لا تمسوه وأخرجوا العود من عنقي . فأخرجوه . وكان عبد الله بن موسى أشد خلق الله عريضة أيضا . فرزق في ذلك اليوم حلما لم ير مثله . وقال لخدمه : إن قتلته قتلت كلبا وتحدث الناس بذلك . ولكن اخلعوا عليه وهبوا له ولا يدخل منزلي أبداً .

ومن صنعه :

تقاضاك دهرك ما أسلفا وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تجزعن فإن الزمان رهين بتشتيت ما ألفا
وما زال قلبك مأوى السرور كثير الهوى ناعما مترفا
الحج عليك بروعاته وأقبل يرمىك مستهدفا
الشعر والغناء له .

ولعبد الله بن موسى غناء في قول عمر بن أبي ربيعة :

إن أسماء أرسلت وأخو الشوق مُرسل
أرسلت تستزيدني وتُفدّي وتعدل

عبد الله بن يونس

صوت من المائة المختارة

أتاني سنان بالوداع لمؤمن فقلت له إني إلى الله راجع
ألا أيها الحاني عليه ترابه هبّلت وشكت من يديك الأصابع
يقولون لا تجزع فأظهر جلادة فكيف بما تُحنى عليه الأضالع

قيل : إن فيه لحناً لعبد الله بن يونس .

عبد الرحيم الدفاف

أبو القاسم

هو عبد الرحيم بن الفضل الكوفي ، ويكنى أبا القاسم . وقيل : هو عبد الرحيم بن سعد ، وقيل : عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد ، مولى لآل الأشعث ابن قيس . وقيل : بل هو مولى خزاعة .

قال حماد الراوية : رأيت عبد الرحيم الدفاف أيام هارون الرشيد بالرقعة ، وقد ظهرت ، فحضرني وسمعته يغني يومئذ صوتاً سُئل عنه ، فذكر أنه من صنعته ، وهو :

فديتكِ لاتدرين كيف أحبكم وكيف إذا ما غبت عنك أقول
وصار عبد الرحيم منقطعاً إلى علي بن المهدي المعروف بأمه ريطة بنت أبي العباس .
لو غنت جارية يوماً بحضرة الرشيد :
قل لعليّ أيا قتي العرب وخير نام وخير مكتسب
أعلاك جدك يا علي إذا قصر جدّ عن ذروة الحسب
فأمر بضرب عنقها . فقالت : ياسيدي ، ما ذنبي ؟ هذا صوتُ علمته والله ما أدري من قاله ولا فيمن قيل . فعلم أنها صدقت . فقال لها : عمن أخذته ؟
فقالت : عن عبد الرحيم الدفاف . فأمر بإحضاره . فأحضر ، فقال له : يا عاض بظراًمه ، أتغني في شعر تفتخر فيه بيني وبين أخي ، جردوه ؟ فجردوه ودعا له بالسياط . فضرب بين يديه خمسمائة صوت .
وقال عبد الرحيم : دخلتُ عليّ بن ريطة يوماً وستارته منصوبة .

فغنت جاريته :

أناس أمنأهم فتموا حديثنا فلما كتمنا السر عنهم تقولوا
فقلت : أرأيت إن غنيتك هذا الصوت وفي تمامه زيادة بيت واحد ، أى
شئ لى عليك ؟ قال : خلعتى التى على . فغنيتها :
فلم يحفظوا الود الذى كان بيننا ولا حين هموا بالقطيعة أجمل
قال : فترع خلعتة فخلعها على . وأقمت عنده بقية يومى على عربة
كانت فيه .

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ويكنى أبا أحمد . وله
محل من الأدب والتصرف فى فنونه ورواية الشعر وقوله : والعلم باللغة وأيام
الناس ، وعلوم الأوائل من الفلاسفة فى الموسيقى والهندسة ، وغير ذلك مما يجل
عن الوصف ويكثر ذكره . وله صنعة فى الغناء حسنة متقنة عجيبة تدل على
ما ذكرناه ها هنا من توصله الى ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها فى
صوت واحد تتبعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها .

وكان المعتضد بالله ، رحمة الله عليه ، ربما كان أراد أن يصنع فى بعض
الأشعار غناء وبحضرته أكابر المغنيين ، مثل القاسم بن زرور ، وأحمد بن
المكى ، ومن دونهما مثل أحمد بن أبى العلاء وطبقتهما ، فيعدل عنهم إليه ،
فيصنع فيها أحسن صنعة ، ويطرف فيه عن إظهار نفسه بذلك ، ويومئ إلى أنه من
صنعة جاريته ، وكانت إحدى المحسنات المبرزات المقدمات ، وذلك بتخريجه

وتأديبه ، وكان بها معجبا ، ولها مقدما .

عبيدة بن أشعب

كان أشعب يغنى ، وله أصوات قد حكيت عنه . وكان ابنه عبيدة يغنيها .
فمن أصواته هذه :

أرؤنى من يقوم لكم متمى إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
إلى من تفرعون إذا حثوتم بأيديكم على من الترابِ

عبيدة الطنبورية

كانت عبيدة من المحسنات المتقدمات فى الصنعة والآداب ، يشهد لها
بذلك إسحاق ، وحسبها بشهادته .

وكان أبو حشيشة يعظمها ، ويعترف لها بالرياسة والاستاذية .
وكانت من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم صوتاً . ذكرها جحظة فى كتاب
الطنبورين والطنبوريات ، فقال : كانت من المحسنات ، وكانت لا تخلو من
عشق ، ولم يعرف فى الدنيا امرأة أعطر منها ، وكانت لها صنعة عجيبة ، فمنها
فى الرمل :

كنْ لى شفيعاً إليك إن خفت ذاك عليكَا

وأعفى من سؤالى سواك ما فى يديكا

يا من أعز وأهوى مالى أهون عليكَا

واجتمع الطنبوريون يوماً عند أبي العباس بن الرشيد يوماً وفيهم المسدود وعبيدة ، فقالوا المسدود : غن . فقال : لا والله لا تقدمت عبيدة وهي الأستاذة . فما غنى حتى تغنت .

وكان علي بن أحمد يتعشق عبيدة وهو شاب . وأتفق عليها مالا جليلاً ، فسئل عنها فقال : كانت عبيدة بنت رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء النسائي نديم عبد الله بن طاهر . وأبو السمراء أحد العدة الذين وصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد لكل رجل منهم مائة ألف دينار . وكان الزبيدي الطنبوري أخو نظم العمياء يختلف إلى أبي السمراء ، وكان صباح صاحب أبي السمراء . فكان الزبيدي إذا سار إلى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة وبات وشرب وغنى وأنس . وكان لعبيدة صوت حسن وطبع جيد . فسمعت غناء الزبيدي فوقع في قلبها واشتهته . وسمع الزبيدي صوتها وعرف طبعها فعلمها وواظب عليها ومات أبوها ورقت حالها وقد حذقت الغناء على الطنبور ، فخرجت تغنى وتغنق باليسير . وكانت مليحة خفيفة الروح . فلم يزل أمرها يزيد حتى تقدمت وكبر حظها .

عثت

أبو دليجة

كان عثت أسود مملوكاً لمحمد بن يحيى بن معاذ ، ظهر له منه طبع ، وحسن أخذ وأداء . فعلمه الغناء وخرجه وأدبه ، فبرع في صناعته . وقال : كنتاني بخارق بأبي دليجة . وكان السبب في ذلك أن أول صوت سمعني أغنيه :

أبا دليجه من توصى بأرملة أم لأشعث ذى ظمُرٍ من محال
فقال لى : أحسنت يا أبا دليجة . فقبلت يده وقلت له : يا سيدى أبا المهناء
أتشرف بهذه الكنية إذا كانت نحلة منك .
وكان مخارق يشتهى غناؤه ويحزنه إذا سمعه
وقال : دخلت يوماً على المتوكل وهو مصطبح ، وابن المارقى يغنيه قوله :
أقاتلى بالجيد والقدر والحد وباللون فى وجه أرق من الورد
وهو على البركة جالس ، وقد طرب واستعاد الصوت مراراً ، وأقبل عليه
فجلست ساعة ثم قت لأبول فصنعت هزجا فى شعر البحتري الذى يصف فيه
البركة :

إذا النجوم تراءت فى جوانبها ليلا حسبت سماء رُكبت فيها
فما سكت ابن المارقى سكوتاً مستوجباً حتى اندفعت أغنى هذا الصوت .
فأقبل على وقال : أحسنت وحياتى ، أعد فأعدت . فشرب قدحاً . ولم يزل يستعيدنيه
ويشرب حتى اتسكأ . ثم قال للفتح : بحياتى ادفع إليه الساعة ألف دينار وخلعة
تامة واحمله على شهرى فاره بسرجه ولجامه .

عريب المغنية

كانت عريب مغنية محسنة وشاعرة صالحة الشعر ، وكانت مليحة الخط
والمذهب فى الكلام ، ونهاية فى الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة
الطرب وإتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار والرواية للشعر والأدب . لم يتعلق
بها أحد من نظرائها ، ولا رأت فى النساء بعد القيان الحجازيات القديمات مثل جميلة

وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراها من على قلة عددهن .
وقال وكيع : ما رأيت امرأة أضرب من عريب ولا أحسن صنعة ولا أحسن
وجهها ولا أخف روحا ولا أحسن خطابا ولا أسرع جوابا ولا ألب بالشرنج والترد
ولا أجمع لخصلة حسنة ، لم أر مثلها في امرأة غيرها .
وحدث محمد بن القاسم أنه جمع غناءها من ديوانى ابن المعتز وأبى العبيس
بن حمدون ، وما أخذه عن بدعة جاريتها التى أعطهاها إياها بنو هاشم ، فقابل بعضه
ببعض فكان ألفا ومائة وخمسا وعشرين صوتا .
وكانت تعشق أبا عيسى بن الرشيد . وكانت لا تضرب المثل إلا بحسن وجه
أبى عيسى وحسن غنائه . وكانت تزعم أنها ما عشقت أحدا من بنى هاشم وأصغته
الحبة من الخلفاء وأولادهم سواه
وحدث ابن الفرات قال : كنت يوما عند أخى أبى العباس وعنده عريب
جالسه على دست مفرد لها وجوارىها يغنين بين يديها وخلف ستارتها . فقلت
لآخر . وقد جرى ذكر الخلفاء : قالت عريب : . . . منهم ثمانية ما اشتهيت
منهم أحدا إلا المعتز فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد

عزة الميلاء

كانت عزت الميلاء مولاة للأنصار . ومسكنها المدينة . وهى أقدم من غنى
الغناء الموقع من النساء بالحجاز ، وماتت قبل جميلة . وكانت من أجمل الناس
وجهاً ، وأحسنهن جسما . وسميت الميلاء تميلا لها فى مشيها ، وقيل بل كانت
تلبس الملاء ، وتشبه بالرجال فسميت بذلك . وقيل بل كانت مغرورة بالشراب
وكانت تقول خذ مليثا وأورد فارغا :

وكانت عزة الميلاء ممن أحسن ضرباً بعود . وكانت مطبوعة على الغناء .
لا يعيبها أدائه ، ولا صنعتها ولا تأليفه . وكانت تغنى أغاني العشاق من القدام .
وكانت رائقة أستاذتها . فلما قدم نشيط وسائب خاثر المدينة غنياً أغاني بالانارسية ،
فلقنت عزة عنهما نغماً وألقت عليهما الخائناً عجيبة ، فهو أول من فتن أهل
المدينة بالغناء وحرص نساءهم ورجالهم عليه .

وقال الزبير : إنه وجد مشايخ أهل المدينة إذا ذكروا عزة ، قالوا : لله
درها ! ما كان أحسن غناءها ومد صوتها ، وأندى حلقها ، وأحسن ضربها
بالمزامير والمعازف وسائر الملاحى ، وأجمل وجهها ، وأظرف لسانها ، وأقرب
خلقها ، وأسخى نفسها ، وأحسن مساعدتها !

وكان ابن سريج فى حداثة سنه يأتى المدينة فيسمع من عزة ويتعلم غناءها
ويأخذ عنها ، وكان بها معجبا ، وكان إذا سئل : من أحسن الناس غناء ؟ قال :
مولاة الأنصار ، المفضلة على كل من غنى ، وضرب بالمعازف ، والعيدان : من
الرجال والنساء .

وكان ابن محرز يقيم بمكة ثلاثة أشهر ، ويأتى المدينة فيقيم بها ثلاثة أشهر ،
من أجل عزة ، وكان يأخذ عنها .

وكان طويس أكثر ما يأتى منزل عزة الميلاء ، وكان فى جوارها . وكان
إذا ذكرها يقول : هى سيدة من غنى من النساء ، لله جمال بارع ، وخلق
فاضل ، وإسلام لا يشوبه دنس ، تأمر بالخير وهى من أهله ، أو تنهى عن
السوء وهى بجانبه له .

فناهيك ما كان أنبأها ، وأنبأ مجلسها . وكانت إذا جلست جلوساً عاماً ،
فكان الطير على رؤوس أهل مجلسها ، من تكلم أو تحرك نقر رأسه .

وعن حنبل أنه أتى عزة يوما ، وهو عند جميلة ، وقد أسنت ، وهي تغنى على معزقة في شعر ابن الإطنابة :

عللاني وعللا صاحبها واسقياني من المروق ريا
فما سمع السامعون قط بشيء أحسن من ذلك . قال معبد : هذا غناؤها وقد أسنت فكيف بها وهي شابة .

وعن صالح بن حسان الأنصاري ، قال : كانت عزة مولاة لنا ، وكانت يعقيفة جميلة . وكان عبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق ، وعمر بن أبي ربيعة : غشونها في منزلها فغضبهم . وغنت يوما عمر بن أبي ربيعة لحنا لها أشهى من شعره فشق ثيابه ، وصاح صيحة عظيمة صعق معها . فلما أفاق قال له القوم : لغيرك الجهل يا أبا الخطاب . قال : إني سمعت والله ما لم أملك معه نفسي ولا عقل . وكان حسان بن ثابت معجبا بعزة الميساء ، وكان يقدمها على سائر الأئمة المدنية .

عطر د أبو هارون

عطر د : مولى الأنصار ، ثم مولى بني عمرو بن عوف . وقيل : إنه مولى مزينة . مدني ، يكنى أبا هارون ، وكان ينزل قباء .

كان جميل الوجه ، حسن الغناء ، طيب الصوت ، جيد الصنعة ، حسن الرأي والمروءة ، فقيها ، قارئا للقرآن ، وكان يغني مرتجلا .

وولى سلمة بن عباد القضاء بالبصرة ، فقصد ابنه عباد بن سلمة عطر داً وهو بها مقيم ، قد قصد آل سليمان بن علي وأقام معهم ، فأتى به ليلا ، فدق عليه ،

ومعه جماعة من أصحابه ، أصحاب القلائس . فخرج عطرده إليه ، فلما رآه ومن معه فزع ، فقال : لا ترع :

إني قصدت إليك من أهلي في حاجة يأتي لها مثلي
فقال : وما هي ؟ أصلحك الله . قال :

لا طالبا شيئا إليك سوى حتى الجمول بجانب العزل
فقال : انزلوا على بركة الله . فلم يزل يغنيهم هذا وغيره حتى أصبحوا .
وكان منقطعا في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن علي ، لم يخدم غيرهم . وتوفي
في خلافة المهدي .

وحدث خالد بن كلثوم قال : كنت مع زبراء بالمدينة ، وهو وال عليها ،
فأمر بأصحاب الملاحى فحبسوا وحبس عطرده فيهم . فجلس ليعرضهم ، وحضر
رجال من أهل المدينة شفّعوا لعطرده ، وأخبروه أنه من أهل الهيئة والمروءة والفقّه
والدين . فدعاه ، فدخل سبيله ، وأمره برفع حوائجه إليه . فدعاه وخرج . فإذا
هو بالمغنين أحضروا ليعرضوا . فعاد إليه عطرده ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، أعلى
الغناء حبست هؤلاء ؟ قال : نعم . قال : فلا تظلمهم ، فوالله ما أحسنوا منه شيئا
قط . فضحك وخلي سبيلهم .

ولما استخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عاملة بالمدينة فأمره بالشخص
إليه بعطرده المغنى . قال عطرده : فأقرأني العامل الكتاب وزودنى نفقة وأشخصني
إليه . فأدخلت عليه ، وهو جالس في قصره على شفير بركة مرصعة ، مملوءة خمرًا ،
ليست بالكبيرة ، ولكنها يعدو الرجل فيها سباحة . فوالله ما تركني أسلم عليه ،
حتى قال . أعطرده ! قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : لقد كنت إليك مشتاقا
يا أبا هارون غنى :

حتى الحمول بجانب العزل إذ لا يلائم شكلها شكلي
إني بمجملك واصل جبلي وبريش نبلك راءش نبلي
وشمائي ما قد علمت وما نبحت كلاً بك طارقاً مثلي

قال : فغنيته إياه ، فوالله ما أتممته حتى شق حلة وشي كانت عليه ، لا أدرى كم قيمتها ، فتجرد منها كما ولدته أمه وأبقاها نصفين ورمى بنفسه في البركة . فنهل فيها ، وأخرج منها وهو كالميت سكرأ .
قال : فخرجت من عنده ، وما علم الله أني ذكرت شيئاً مما جرى ، حتى مضت من دولة بني هاشم هذه .

علوية أبو الحسن

هو : علوية عبد الله بن سيف . وكان جده من السغد ، الذين سباهم عثمان ابن الوليد ، زمن عثمان بن عفان ، واسترق منهم جماعة اختصهم لخدمته ، وأعتق بعضهم ولم يعتق الباقيين فقتلوه .
وكان مغنياً حاذقاً ، ومؤدباً محسناً ، وضارباً متقدماً ، مع خفة روح ، وطيب مجالسة ، وملاحة نوادر .

وكان إبراهيم الموصلي : علمه وخرجه وعنى به جدياً ، فبرع وغنى لمحمد الأمين ، وعاش إلى أيام المتوكل . ومات بعد إسحاق الموصلي بمديدة يسيرة .
وكان سبب وفاته أنه خرج به جرب ، فشكاه إلى يحيى بن ماسويه ، فبعث إليه بدواء مسهل وطلاء ، فشرب الطلاء ، واطلى بالدواء المسهل ، فقتله .
وكان إسحاق يتعصب له في أكثر أوقاته على مخارق .

وكان علوية أعسر . وكان عوده مقلوب الأوتار ، البم أسفل الأوتار كلها
ثم المثلث فوقه ، ثم المثني ، ثم الزير . وكان عوده إذا كان في يد مقلوباً على
هذه الصفة ، وإذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى ، فيكون مستويا في
يده ومقلوباً في يد غيره .

وكان بين علوية وبين علي بن الهيثم شر بعريضة وقعت بينهما في حضرة
الفضل بن الربيع ، وتمادى الشر بينهما . فغنى علوية في شعرا هجاه به أبو يعقوب
في حاجة فهجاه ، وذكر أنه دعى . وكان علي يدعى أنه من بني تغلب ، فقال
له أبو يعقوب :

يا علي بن هيثم يا جوثقا أنت عندى من الأراقم حقا
فغنى علوية لحنا ، صنعهُ فيه بحضرة الأمين ، وكان الفضل بن الربيع
حاضراً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، علي بن الهيثم كابني ، وإذا استخف به ، فأنا
استخف بي . فقال الأمين : خذوه ، فأخذوه ، وضرب ثلاثين درة .

وغنى علوية بحضرة الواثق هذا الصوت :
من صاحب الدهر لم يحمد تصرفه عني وللدهر إحلاء وإمراء
فاستحسنه الواثق وطرب عليه .

وعرض علوية على المعتصم رقعة في أمر رزقه وإقطاعه ، وهو يشرب ،
دفعها إليه من يده . فلما أخذها اندفع علوية فغنى :

إني استحييتك أن أفوه بحاجتي فإذا قرأت صحيفتي فنفهم
وعليك عهد الله إن خبرته أحداً ولا أظهرته بتكلم

فقرأ المعتصم الرقعة ، وهو يضحك ، ثم وقع له فيها بما أراد .

عليه بنت المهدي

أمها أم ولد مغنية يقال لها مكنونة . كانت من جوارى المروانية المغنية
وكانت مكنونة أحسن جارية بالمدينة وجها ، وكانت حسنة الصدر والبطن ،
فكانت توضح بهما . فاشترت للمهدي في حياة أبيه ، فغلبت عليه حتى كانت
الخيزران تقول : ما ملك امرأة أغلظ عليّ منها . واستمر أمرها على المنصور حتى
مات ، فولدت له عليه بنت المهدي .

وكانت عليه من أحسن الناس وأظرفهم ، تقول الشعر الجيد ، وتصوغ فيه
الألحان الحسنة . وكان يها عيب ، كان في جبينها فضل سعة حتى يسمح ، فأتخذت
العصائب المكالة بالجوهر لتستر بها جبينها . فأحدثت والله شيئا ما رأيت فيما
ابتدعته النساء وأحدثته أحسن منه .

وكانت حسنة الدين ، وكانت لا تغنى ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة
الصلاة ، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب . فلاتذ بشيء
غير قول الشعر في الأحياء إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على خلافه .
وكانت تقول : ما حرم الله شيئا إلا وقد جعل فيما حلال منه عوضا ، فبأى شيء
يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته . وكانت تقول : لا غفر الله فاحشة ارتكبتها قط ، ولا
أقول في شعري إلا عبثا .

وحدث سعيد بن إبراهيم قال : كانت عليه تحب أن ترسل الأشعار من
تختصه ، فاخترت خادما يقال له طل ، من خدم الرشيد ، فكانت ترسله بالشعر ،
فلم تره أياما ، فشئت على ميزاب وحدثته وقالت في ذلك :

قد كان ما كلفته زمنا يا طل من وجد بكم يكفي
حتى أتيتك زائراً عجلاً أمشي على حنف إلى حنف

فخلف عليها الرشيد ألا تكلم طلا ولا تسميه باسمه . فضمنت له ذلك . واستمع عليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل : « إن لم يصبها وابل فطل » وأرادت أن تقول « فطل » فقالت : والذي نهانا عنه أمير المؤمنين . فدخل وقبل رأسها وقال : قد وهبت لك طلا ولا أمنعك بعد هذا من شيء تريدينه .

عمر الوادى

هو عمر بن داود بن زاذان . وجدّه زاذان، مولى عمرو بن عثمان بن عفان . وكان عمر مهندساً . وأخذ الغناء عنه حكم وذووه من أهل وادى القرى . وكان قدم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن . وكان طيب الصوت شجيه مطرباً . وكان أول من غنى من أهل وادى القرى واتصل بالوليد بن يزيد فى أيام إمارته ، فتقدم عنده جداً . وكان يسميه جامع لذاتى ومحى طربى . وقتل الوليد وهو يفتنيه . وكان آخر عهده به من الناس .

وكان عمر الوادى يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص له .

وقال عمر الوادى : بينا أنا أسير ليلة بين العرج (١) والسقيا سمعت إنساناً يغنى غناء لم أسمع قط أحسن منه . فكدت أسقط عن راحلتى طرباً ، فقلت : والله لألتمس الوصول إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائى ، حتى هبطت

(١) العرج : عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج .

من الشرف (١) ، فإذا أنا يرجل يرعى غما ، وإذا هو صاحب الصوت . فأعلمته
الذي أقصدني إليه وسألته إعادته على . فقال : والله لو كان عندي قرى ما فعلت
ولكني أجعله قراك . فربما ترنمت به وأنا جائع فأشبع ، وكسلان فأنشط ،
ومستوحش فأنس . فأعاده على مراراً حتى أخذته . فوالله ما كان كلام غيره حتى
دخلت المدينة ، ولقد وجدته كما قال .

وقال عمر الوادي : خرج إلى الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوت أحمر
قد كاد البيت يلتصق من شعاعه ، فقال لي : يا جامع لذى ، أتحب أن أهبه لك ؟
قلت : نعم والله يامولاي . فقال : غن في هذه الأبيات التي أنشدك فيها وأجهد
نفسك ، فإن أصبت إرادتي وهبته لك . فقلت : أجتهد وأرجو التوفيق . فخلوت
في بعض المجالس . فما زلت أدير صوتاً حتى استقام . ثم خرجت إليه وعلى رأسه
وصيفة . فقال : ما صنعت ؟ فقلت : فرغت مما أمرتني به . وغنيته . فصاح :
أحسن والله . ثم قال : أعد بأبي أنت وأمي . فأعدته عليه ، ثم نزع الخاتم والحلة
التي كانت عليه .

عمر و بن بانه

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، مولى ثقيف . وكان أبوه صاحب
ديوان ووجه من وجوه الكتاب . ونسب إلى أمه بانه القحطية . وكان مغنياً
محسناً وشاعراً صالح الشعر . وصنعتة متوسطة الندور ، منها ما ليس بالكثير .

وكان يقعده عن اللحاق بالتقدم فى الصنعة أنه كان مرتجلاً ، والمرتل من المحدثين لا يلحق الضراب ، وعلى ذلك فما فيه مطعن ولا يقصر جيد صنعته عن صنعة طبقته ، وإن كانت قليلة . وروايته أحسن رواية ، وكتابه فى الأغاني أصل من الأصول .

وكان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدي فى الغناء وتجنيسه ، ويخالف إسحاق ويتعصب عليه تعصبا شديداً ، ويواجهه بذلك ، فينصره إبراهيم بن المهدي عليه .

وكان تياهاً معجباً شديد الذهاب بنفسه . وهو معدود فى ندماء الخلفاء ومغنيهم ، على ما كان به من الوضع . وفيه يقول الشاعر :

أقول لعمرى وقد مررت فسلم تسليمه جافيه
لئن فضل الله فضل الغناء لقد فضل الله بالعافيه

وقال عمرو : علمت عشرة علمان كلهم ثبتت فيه الثقافة والخلق ، وعلمت أنه متقدم .

واجتمع عمرو بن بانه والحسن بن الضحاك فى منزل ابن مشعوف ، وكان له خادم يقال له مقحم ، وكان عمرو يهتم به . فلما أخذ منهم الشراب سأل عمرو الحسين بن الضحاك أن يقول فى مقحم شعراً فيغنى فيه . فقال الحسين :

وأبأى مقحم بعزته قلت له إذ خلوت مكثما

تحب بالله من يخصك بالود فما قال لا ولا نعماً

فغنى فيه عمرو بن بانه . ولم يزل هذا الشعر غناءهم وطربهم إلى أن تفرقوا .

عمرو بن عثمان بن أبي السكتات

مولى بنى صبح ، يكنى بمعن ، محسن موصوف بطيب الصوت . من طبقة
ابن جامع وأصحابه . وفيه يقول الشاعر :

أحسنُ الناس فاعلموه غناء رجل من بنى أبي السكتات

وحدث ابن فرو قال : قلت لابن جامع يوما : هل غلبك أحد من المغنين
قط ؟ قال : نعم ، كنت ليلة ببغداد إذ جاءني رسول الرشيد فأمرني بالركوب .
فركبت حتى صرت إلى الدار ، فإذا أنا بفضل بن الربيع معه زلزل العواد وبرصوما ،
فسألت وجلست قليلا ، ثم طلع خادم فقال بالفضل : هل جاء ؟ قال : لا . قال :
فابعث إليه . ولم يزل المغنون يدخلون واحدا بعد واحد حتى كنا ستة أو سبعة .
ثم طلع الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال : لا . قال : فابعث في طلبه . فقام فغاب
غير طويل . فإذا هو قد جاء بعمر بن أبي السكتات فسلم وجلس إلى جنبي .
فقال لي : من هؤلاء ؟ قلت : مغنون ، وهذا زلزل وهذا برصوما . فقال : والله
لأغنيك غناء يمزق هذا السقف وتجييه الحيطان ولا يفهمون منه شيئا .

وخرج ابن جامع وابن أبي السكتات حين دفعا من عرفة ، حتى إذا كانا بين
المأزقين جلس عمرو على طرف الجبل ثم اندفع يغنى . فوقف القطارات وركب
الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا : يا هذا ، الله ، الله ! اسكت عنا يجز
الناس .

وحدث عثمان بن موسى قال : كنا يوما باللاحجة ومعنا عمرو بن أبي السكتات
ونحن على شرابننا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : من يحبون أن يجيئكم ؟ قلت :
منصور الحجي . فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر .
فكثنا ساعة ثم اندفع فغنى :

أحسن الناس فاعلموه غناء رجل من بنى أبي الكينات
فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بعد قد أقبل يركض وابنه نحونا .
وأخبر يحيى بن يعلى بن سعيد قال : بينا أنا ليلة في منزلى في الرمضة أسفل
مكة إذ سمعت صوت عمرو بن أبي الكينات ، كأنه معى . فأمرت الغلام فأسرج لى
دابتي وخرجت أريده . فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكتيب
العارض يبطن عرفة يغنى :

خذى العفو منى تستدبى مودتى ولا تنطقى فى سورتي حيث أغضب
ولا تنقرينى نقرة الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب
فإني وجدت الحب فى الصد والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

الغريض

الغريض لقب لقب به لأنه كان طرى الوجه نضيراً غض الشباب حسن
المنظر ، فلقب بذلك . والغريض : الطرى من كل شىء . وقيل شبه بالإغريض ،
وهو الجمار ، فسمى به . وثقل على الألسنة فحذفت الألف منه ، فقل له الغريض .
واسمه عبد الملك . وكنيته أبو زيد . وكان يكنى أبا مروان .
وهو مولى العبلات ، وكان مولداً من مولدى البربر ، وولاًؤه للثريا صاحبة عمر
ابن أبي ربيعة .

وكان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب ، وكان يصنع
نفسه ، ويترفها ، وكان قبل أن يغنى خياطاً ، وأخذ الغناء فى أول أمره عن ابن
سريج لأنه كان يخدمه . فلما رأى ابن سريج طبعه وظرفه وحلاوة منطقته خشى

أن يأخذ غناؤه فيغلبه عليه عند الناس ويفوقه بحسن وجهه وجسده . فاعتل عليه وشكاه إلى مولياته ، ومن كن دفعنه إليه ليعلمه الغناء ، وجعل يتجنى عليه ثم طرده . فشكا ذلك إلى مولياته وعرفهن غرض ابن سريج في تنحيته إياه عن نفسه وأنه حسده على تقدمه . فقلن له : هل لك أن تسمع نوحنا على قتلانا فتأخذه وتغنى عليه ؟ قال : نعم ، فافعلن . فأسمعنه المراثي . فاحتذاها وخرج غناء عليها كالمراثي . وكان ينوح مع ذلك فيدخل المأتم وتضرب دونه الحجب ثم ينوح فيفتن كل من حضر سمعه . ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه ، لما كان فيه من الشجاء . فكان ابن سريج لا يغنى صوتاً إلا عارض الغريض فيه لحناً آخر . فلما رأى ابن سريج موقع الغريض اشتد عليه وحسده ، فغنى الأرمال والأهزاج ، فاشتهاها الناس . فقال له الغريض : يا أبا يحيى قصرت الغناء وحذفت ؟ قال : نعم يا مخنث ، حين جعلت تنوح على أمك وأبيك .

وخرج الغريض على قوم فغناهم هذا الصوت :

جری ناصح بالود بينی و بينها فقر بنی يوم الحساب إلى قتلى

فاشدد سرور القوم .

وسمع الغريض أصوات رهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها ، فقال له بعض من معه : يا أبا يزيد ، صغ على مثل هذا الصوت لحناً . فصاغ مثله في لحنه :

يا أم بکر حبك البادی لاتصرمینی إننی غادی

فما سمع بأحسن منه .

فليح بن أبي العوراء

فليح من أهل مكة ، مولى لبني مخزوم ، ولم يقع إلينا اسم أبيه .
وهو أحد مغني الدولة العباسية . له محل كبير من صباغته وموضع جليل .
وكان إسحاق إذا عد من سمع من المحسنين ذكره فيهم وبدأ به . وهو أحد
الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد .

قال إسحاق : ما سمعت أحسن غناء من فليح وابن جابع ،
وكان المهدي يسمع المغنين جميعاً ويحضرون مجلسه ، فيغنون من وراء
الستارة لا يرون له وجهها إلا فليح بن أبي العوراء ، فإن عبد الله بن مصعب
الزبيري كان يرويه شعره ويغني فيه في مدائح المهدي . فدرس في أضعافها بيتين
يسأله فيهما أن يناديه وسأل فليحاً أن يغنيها في أضعاف أغانيه ، وهما :

يا أمين الإله في الشرق والغرب ب على الخلق وابن عم الرسول

مجلساً بالعشي عندك في الميسدان أبغى والإذن له في الوصول

فغناه فليح إياهما ، فقال المهدي : يا فضل ، أجب عبد الله إلى ما سأل ،
وأحضره مجلسي إذا حضره أهلي وموالي وجلسات لهم ، وزده على ذلك أن ترفع
بيني وبين راويته فليح الستارة . فكان فليح أول مغن عاب وجهه
في مجلسهم .

قال إسحاق : كنا عند الفضل بن الربيع ، فقال : هل لك في فليح
ابن أبي العوراء ؟ قلت : نعم . فأرسل اليه ، فجاء الرسول ، فقال : هو عليل .
فعاد اليه . فقال للرسول : لا بد أن تجيء به . فجاء به محمولا في محفة ، فحدثنا
ساعة ثم غنى ، فكان فيما غنى :

تقول عرسى إذا نبا المضجع ما باللك الليلة لا تهجع
فاستحسنه منه ، واستعدناه منه مرار ثم انصرف . ومات في عاتيه تلك ،
وكان آخر العهد به وهذا المجلس .

ابن القصار

كان مع أبيه قصارا ، وتعلم الغناء فبرع فيه .
قالت قمرية البكتمرية : كنت لرجل من الكتاب يعرف بالبلورى ، وكان
شيخا ، وكانت ستى التى ربتنى مولاته ، وكانت مغنية شجية ، حسنة الغناء ،
وكانت تعشق ابن القصار ، وكانت علامة مصيره اليها أن يجتاز فى دجلة
وهو يغنى ، فإن قدرت على لقائه أو صلته اليها وإلا مضى ، فاجتاز فى ليلة ،
وهو يغنى :

أنا فى يمنى يديها وهى فى يسر يديه

إن هذا لقضاء فيه جور يا أخيه

وكانت ستى واقفة بين يدى مولاهما ، فما ملكت نفسها أن صاحت :
أحسنتم والله يا رجل ، ففضل وأعد . ففعل وشرب رطلا ، وانصرف وعلم أنه
لا يقدر على الوصول إليها .

وكان مولاهما يعرف الخبر ، فتغافل عنها لموضعها من قلبه .

قلم الصالحية

كانت قلم الصالحية جارية موكلة صفراء ، وحلوه حسنة الغناء والضرب حاذقة ،
قد أخذت عن ابراهيم وابنه إسحاق ، ويحيى المكي ، وزبير بن دحمان .

وكانت لصالح بن عبد الوهاب أخى أحمد بن عبد الوهاب ، كاتب صالح ابن الرشيد . وقيل كانت لأبيه . وكانت لها صنعة يسيرة نحو عشرين صوتاً ، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار .

وغنى بين يدي الواثق لحن لها فى شعر محمد بن كناسة :

فى انقباض وحشمة فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسى على سجيتهما وقلت ما قلت غير محتشم

فسأل : لمن الصنعة فيه ؟ فقيل لقلم الصالحية ، جارية صالح بن عبد الوهاب . فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره ، فقال : ويلك ! من صالح بن عبد الوهاب هذا ؟ فأخبره . قال : أين هو ؟ قال : ابعت فأشخصه وأشخص معه جاريته . فقدموا على الواثق . فدخلت عليه قلم ، فأمرها بالجلوس والغناء . فغنت ، فاستحسن عنائها وأمر بابتيعائها . فقال صالح : أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر . فغضب الواثق من ذلك ورد عليه . ثم غنى بعد ذلك زرزور الكبير فى مجلس الواثق صوتاً الشعر فيه لأحمد بن عبد الوهاب ، أخى صالح ، والغناء لقلم وهو :

أبت دار الأحبة أن تبيننا أجذك ما رأيت لها معينا

تقطع نفسه من حب ليلى نفوساً ما أثبن ولا جزينا

فسأل : لمن الغناء ؟ فقيل : لقلم جارية صالح . فبعث إلى ابن الزبير : أشخص صالحاً ومعه قلم . فلما أشخصهما دخلت على الواثق ، فأمرها أن تغنيه هذا الصوت ، فغنته . قال : بارك الله عليك . وبعث إلى صالح فأحضر . فقال : أما إذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين ، فما يجوز أن أملك شيئاً له

فيه رغبة ، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين .

مالك بن أبي السمح

هو : مالك بن أبي السمح بن سليمان بن أوس بن سمالك بن سعد بن أوس ابن عمرو بن درماء ، أحد بني ثعل . وأم أبيه بنت مذكّر بن عوف بن عبيد ابن عمرو بن مخزوم . وكان أبوه منقطعا إلى عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ويتيم في حجره ، وأوصى به أبوه إليه . فساكن ابن جعفر يكفله ويمونه ، وأدخله وإخوته في دعوة بني هاشم .

وكان مالك أحول طويلا أخنى . وأخذ الغناء عن جميلة ومعبد ، وعمر حتى أدرك الدولة العباسية . وكان منقطعا إلى بني سليمان بن علي . ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .

وقال عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، أحد بني الحارث بن عبد المطلب : خرجت من مكة أريد العراق . فحملت معي مالك بن أبي السمح من المدينة ، وذلك في أيام أبي العباس السفاح . فكان إذا كانت عشية الخميس ، قال لنا : يا معشر الرفقة ، الليلة ليلة الجمعة وأنا أعلم أنكم تسألوني الغناء ، وعلى إن غنيت ليلة الجمعة . فإن أردتم شيئا فالليلة ، اقترحوا ما أحببت ، فنسأله فيغنيننا . ثم يمر في الغناء ، فما يكون في ليلة أكثر غناء منه في تلك الليلة بعد الأيمان المغلظة .

وحدث إبراهيم الموصلي أنه رأى مالكا بالبصرة على باب جعفر بن سليمان أو أخيه محمد ولم يعرفه ، فسأل عنه بعد ذلك فعرف أنه قد كان خرج من البصرة . قال : فسألي حسرة مثل حسرتي بأني ما سمعت غناءه .

لما انهزم عبد الله بن علي من أبي مسلم قدم البصرة ، وكان عند سليمان بن علي ، وكان مالك بن أبي السمح يومئذ بها ، فاستزاده جعفر ومحمد ، فزارهما . وغناهما مالك في جوف الليل في دار سليمان بن علي . وبلغ الخبر سليمان ، فدخل عليهم . فعزل جعفر وأحمد وقال : نحن نتوقع الطامة الكبرى وأنتم تسمعون الغناء ، فقالا : ألا تجلس وتسمع ؟ ففعل . فغناهم مالك ، فخرج وترك ولم ينكر عليهم شيئاً .

قال ابن عائشة : حضرت الوليد بن يزيد يوم قتل ، وكان معنا مالك بن أبي السمح ، وكان من أحق الناس ، فلما قُتل الوليد قال : اهرب منا . فقلت : وما يريدون منا ؟ قال : وما يؤمنك أن تأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليحسنوا أمرهم بذلك . قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلاً قط قبل ذلك اليوم .

محمد بن الأشعث

هو محمد بن الأشعث القرشي ثم الزهري ، وكان من فتيان أهل الكوفة ووظرفائهم وأدبائهم ، وكان يقول الشعر ويتغنى فيه .

وكان ملازماً لابن رامين وجاريته الزرقاء .

وقال سليمان الخشاب : دخلت منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريته ، وهي وصيفة ، حين شال نهودها ثوبها عن صدرها ، لها شارب كأنه خط بمسك يلحظه الطرف ويقصر عنه الوصف ، وابن الأشعث الكوفي يلقي عليها ، والغناء له :

أية حال يا ابن رامين	حال المحبين المساكين
تركهم موتى ومأموتوا	قد جرعوامنك الأمرين

محمد بن حمزة

وجه القرعة

هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف ، مولى المنصور . ويكنى أبا جعفر ، ويلقب وجه القرعة ، وهو أحسن المغنين الحذاق الضراب الرواة ، وقد أخذ عن إبراهيم الموصلي وطبقته ، وكان حسن الأداء طيب الصوت ، لاعلة فيه . إلا أنه كان إذا غنى الهزج خاصة خرج بسبب لا يعرف ، إلا أنه إذا تعرض للحنين في جنس من الأجناس فلا يصح له فيه

وحدث إسحاق الهاشمي عن أبيه قال : كئنا في بستان خالص النصراني ببغداد ومعنا محمد بن حمزة وجه القرعة يفتننا قوله :

يادار في أقفر رسمها بين المحصب والحجون

يا بشر إني فاعلمي والله مجتهد يميني

فاذا برجل راكب على حمار يؤمنا وهو يصيح : أحسنت يا أبا جعفر أحسنت والله . فاذا هو مخارق ، فشرب رطلا من شرابنا وقال : لولا أني مدعو الخليفة لأقت عندكم واستمعت هذا الغناء الذي هو أحسن من الزهر غيب المطر .

محمد الزرف

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم ، كوفي الأصل والمولد والمنشأ ، والزرف لقب غلب عليه ، وكان مغنياً ضارباً طيب المسموع صالح الصنعة ، مليح النادرة أسرع خلق الله . أخذنا للغناء ، وأصحبهم أداءه وأذكاهم ، إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثاً

أداه ، لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق . وكان يتعصب على ابن جامع ويميل إلى ابراهيم الموصلي وابنه إسحاق ، فكانا يرفعان منه ويتقدمانه ويحتلباه له الرشد والصلات من الخلفاء .

وكانت فيه عريضة اذا سكر . فعر بدبحضرة الرشيد مرة . فأمر باخراجه ومنعه من الوصول اليه وجفاه وتناساه . وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين . قال إسحاق : غنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد صوتاً فأحسن فيه ماشاء وأجمل ، فغمزت عليه مجدداً الرف وفطن لما أردت ، ثم قمت للصلاة وغمزت الرف فجاءني . وأومأت إلى مخارق وعلويه وعقيد فجاءوني ، فأمرته بإعادة الصوت . فأعاده وأداه كأنه لم يزل يروي به فلم يزل يكرر على الجماعة حتى غنوه ودار لهم ثم عدت إلى المجلس فلما انتهى الدور إلى ، بدأت فغنيتها قبل كل شيء غنيته فنظر إلى ابن جامع محدداً نظره وأقبل على الرشيد فقال : أ كنت تروى هذا الصوت ؟ فقلت : نعم ياسيدي . فقال ابن جامع : كذب والله ما أخذه إلا مني الساعة . فقلت : هذا صوت أرويهِ قديماً وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مني ، وأقبلت عليه . فغناه علويه ثم عقيد ثم مخارق . فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبإطلاق امرأته إن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال ، ما سمع منه قبل ذلك الوقت . فأقبل على فقال : بحياتي اصدقني عن القصه فصداقته . فجعل يضحك ويصفق ويقول : لكل شيء آفة ، وآفة ابن جامع الرف

محمد بن عباد الكاتب

هو محمد بن عباد مولى بني مخزوم . وقيل : إنه مولى بني جمح . ويكنى أبا جعفر . مكى من كبراء المغنيين ، وكان أبوه ، من كتاب الديوان بمكة ، فلذلك

قيل : ابن عباد الكاتب .
وقال ابن عباد : والله انى لأمشى بأعلى مكة فى الشعب إذا أنا بمالك على
حمار له ومعه فتیان من أهل المدينة ، فظننت أنهم قالوا له : هذا ابن عباد . فقال
الى ، فملتُ إليه . فقال لى : أنت ابن عباد ؟ قلت : نعم . قال : ملْ معى هاهنا .
ففعلت ، فأدخلنى شعب ابن عامر . ثم أدخلنى دهايز ابن عامر وقال : غننى . فقلت :
أغنيك هكذا وأنشد مالك . وقد كان يبلغنى أنه يثلب أهل مكة ويتعصب عليهم .
فقال : بالله إلا غنيتنى صوتا من صنعتك . فاندفعت فغنيته :

ألا يا صاحبي رفقا قليلا على ربع تقادم بالمنيف
ماغنيتته اياه الا على احتشار . فلما فرغت نظرا لى وقال لى : قد والله أحسنت .
ولكن حلقك كأنه حلق زانية .

وتوفى ابن عباد ببغداد فى الدولة العباسية ، ودفن بباب حرب .

مخارق

هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار مولى الرشيد ، ويكنى أبا المنأ ، كناه
الرشيد بها ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة .

وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم . فلما بان طيب
صوته علمته مولاته طرفا من الغناء . ثم أرادت بيعه ، فاشتراه ابراهيم الموصلى منها
وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه

وحدث هارون بن مخارق قال : كان أبى اذا غنى هذا الصوت :

ياربع سلمى لقد هيجت لى طربا زدت الفؤاد على علاته وصبا
يبكى ويقول : انا مولى هذا الصوت : فقلت له : وكيف ذلك يا أبت ؟ فقال

غنيته مولاي الرشيد فبكي وشرب عليه رطلا . ثم قال : أحسنت يا مخارق . فسألني حاجتك . فقلت : أن تعتقني يا أمير المؤمنين . أعتقك الله من النار . فقال : أنت حر لوجه الله

وتوفي مخارق في أول خلافة المتوكل ، وقيل بل في آخر خلافة الواثق .

ابن مسجح
أبو عثمان سعيد

هو سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بني جمح ، وقيل إنه مولى بني نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، مكي أسود مغن متقدم ، من فحول المغنين وأكابرهم وأول من صنع الغناء منهم ، ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم ، وانتقل إلى فارس فأخذ بها غناء كثير ، وتعلم الضرب ، ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم

وقيل : إن أول من غنى هذا الغناء العربي بمكة ابن مسجح ، وهو الذي علم الغريضة .

ومن قديم غنائه الذي صنعه :

أسلام إنك قد ملكت فأسجحي

قد يملك الحر الكريم فيسجح

وعاش ابن مسجح حتى لقيه معبد وأخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك

المسدود

المسدود من أهل بغداد ، وكان منزله في ناحية درب المفضل . واسمه الحسن ، وكنيته أبو علي . وكان أبوه قضايا . وكان مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر . وكان

يقول : لو كان منخرى الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائى أهل الحلوم وذوى الألباب .
وشغلت من سمعه عن أمر ديتة ودنياه ومعاشه ومعاده .
وكان أشجى الناس صوتاً واحذره نادرة . ولم يكتسب أحد من المغنين
بطنبور ما كسبه ، وكانت له صنعة عجيبة أكثرها الاهزاج .

ابن مشعب

هو رجل من أهل الطائف مولى لثقيف ، وانتقل إلى مكة فكان بها .
وهو من احسن الناس غناء ، وكان في زمن ابن سريج والأعرح . وعامة
الغناء الذى ينسب إلى أهل مكة له . وقد تفرق غناؤه فنسب بعضه إلى ابن سريج ،
وبعضه إلى الهذليين ، وبعضه إلى ابن محرر .

معبد اليقطيني

كان معبد غلاماً مولداً خلاصياً من مولدى المدينة ، اشتراه بعض ولد على بن
يقطين . وقد نشأ بالمدينة ، وأخذ الغناء من جماعة من أهلها ومن جماعة أخرى ،
من عليّة المغنين بالعراق في ذلك الوقت ، مثل : اسحاق وابن جامع وطبقتهما . ولم
يكن - فيما ذكر - بطيب المسموع ، ولا خدم أحداً من الخلفاء إلا الرشيد . ومات في
أيامه ، وكان أكثر انقطاعه إلى البرامكة .

قال معبد : كنت منقطعاً إلى البرامكة آخذ منهم وألزمهم ، فبينما أنها ذات
يوم في منزلى إذا بابى يدق ، فخرج غلامى ثم رجع الى فقال : على الباب فتى ظاهر
المروءة يستأذن عليك . فأذنت له . فدخل على شاب مارأيت احسن وجهاً منه ،

ولا أنظف ثوباً ولا أجمل زيامنه ، عليه آثار النعم ظاهرة ، فقال لى : انى ارجو
لقاك منذ مدة فلاجد اليه سبيلا ، وان لى حاجة . قلت : ماهى ؟ فأخرج ثلثمائة
دينار فوضعها بين يدى ثم قال : اسألك ان تقبلها وتصنع فى بيتين قلتهما لحناً
تغنينى به . فقلت . هاتهما ، فأنشدهما وقال :

والله ياطرفى الجانى على بدنى لتطعنن بدمعى لوعة الحزن
اولا بوحن حتى تحجبوا سكنى فلا اراه ولو ادرجت فى كفى

قال : فصنعت فيهما لحناً ثم غنيته إياها ، فأعمرى عليه حتى ظننته قد مات ،
ثم افاق فقال : أعد ، فديتك . فأنشده الله فى نفسه ، وقلت : أخشى ان تموت .
فقال : هيهات ، انا أشقى من ذاك . ومازال يخضع لى ويتضرع حتى أعدته :
فصعق صعقة اشد من الأولى حتى ظننت أن نفسه قد قاظت . فلما افاق رددت
الدنانير عليه ووضعتها بين يديه وقلت : يا هذا ، خذ دنانيرك وانصرف عنى ، فقد
قضيت حاجتك وبلغت نظراً مما اردت ولست احب ان اشرك فى دمك .^(١)

يونس الكاتب

هو يونس بن سليمان ، وقيل انه مولى عمرو بن الزبير . ومنشؤه ومنزله بالمدينة .
وكان ابوه فقيهاً ، فأسلمه فى الديوان فكان من كتابه . وأخذ الغناء عن معبد وابن
سريج وابن محرز والغريص . وكان اكثر روايته عن معبد ، ولم يكن فى اصحاب
معبد احذق ولا اقوم بما اخذ عنه منه . وله غناء حسن وصنعة كثيرة وشعر جيد .

(١) ثم كان ان اباح الرجل بذات نفسه لمعبد ، فاذا هو يحب فتاة فسعى
معبد إلى ان جمع بينهما نازواج .

وكتابه في الأغاني ونسبها إلى من غنى فيها هو الأصل الذى يعمل عليه ويرجع إليه . وهو أول من دون الغناء .

ولمسعود بن خالد المورىانى فيه :

يايونس الكاتب يايونس طاب لنا اليوم بك المجلس
إن المغنيين إذا ما هم جاروك أخنى بهم المجلس
تنشر ديباجا وأشباهه وهم إذا ما نشروا كرسوا

اجتمع فتيان من أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يغنى . فخرجوا إلى واد يقال له دومة من بطن العقيق فى أصحاب لهم ، فتغنوا واجتمع إليهم نساء أهل الوادى ، فكان حولهم مثل مراح الضأن . فأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ، فلما رأى جماعة النساء عندهم حسدهم . فأتى قصراً من قصور العقيق فعلا سطحه وتغنى ، فما قضى صوته حتى ما بقيت امرأة إلا جلست تحت القصر الذى هو عليه . فقال يونس : هذا عمل ابن عائشة وحسده .

وخرج يونس من المدينة إلى الشام فى تجارة ، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه ، فلم يشعر يونس إلا برسل قد دخلوا عليه الخان ، فقالوا له : أجب الأمير . والوليد إذ ذاك أمير . قال : قهضت حتى أدخلونى على الأمير ، لا أدرى من هو إلا أنه من أحسن الناس وجهاً وأنبههم . فسلمت عليه ، فأمرنى بالجلوس ، ثم دعا بالشراب والجوارى ، فكننا يومنا وليلتنا فى أمر عجيب ، وغنيته فأعجب بغنائى حتى مضت ثلاثة أيام ، ثم قلت له : جعلنى الله فداء الأمير ، أنا رجل تاجر خرجت مع تجار وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالى . فأمر لى بثلاثة آلاف دينار . وغدوت إلى أصحابى . فلما خرجت من عنده سألت عنه فقبل لى . هذا الأمير الوليد بن يزيد ، لى عهد أمير المؤمنين هشام . فلما استخلف بعث إلى فأتيته فلم أزل معه حتى قتل .

A.U.B. LIBRARY

الاصفهانى، ابو الفرج على بن الحسين
[الاغانى. مختارات ١٩٢٥] مهذب الاغ
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01046190

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



